الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون. تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مسار: تاريخ

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة ماستر في تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الموسومة ب:

التصوف السني في الغرب الإسلامي بين الآراء المنصفة والآراء المجحفة

-دراسة فى الكتابات والمقولات-

إعداد الطالبات:

- بومهرية تركية

-سيار أسماء

-رابحي خديجة

اشراف الدكتور:

- شعلال إسماعيل

لجنة المناقشة:

اعضاء اللجنة	الصفة
- د. كريب عبد الرحمن	**رئيسا**
- د. شعلال إسماعيل	**مشرفا مقررا**
- د. طويلب عبد القادر	**مناقشا**

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اصطنع إليكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى يعلم أنكم قد شكرتم فإن الله شاكل يحب الشاكرين"

نشكر الله العظيم شكرا يليق بجلاله وعظيم سلطانه الذي هيأ لنا الظروف لطلب العلم ووفقنا لإعداد هذا العمل المتواضع.

ثم إنه من تمام الشكر لله نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى:

الوالدان الكريمان وإلى المشرف اللدكتور "شعلال اسماعيل"

وإلى أصحاب الفضيلة السادة أعضاء المناقشة على قبولهم قراءة ومناقشة البحث.

3DLAT.COM

اهداء

أحمد الله وأشكره

أهدي ثمرة جهدي إلى منبع الرق والحنان إلى ربيع الحياة وقارب النجاة إلى من يخجلني عطائها، والتي بكت عيونها لأجلي وسهرت الليالي وهي حبيبة قلبي ودربي وبفضل دعواتها واصلتت مشواري وبزغت هدفي إلى التي الجنة تحت أقدامها "إلى والدتي الحنونة الغالية"

إلى من جعلني زهرة في بستان النجاح ووهبني الثقة والأمن وأعطاني الحنان والإخلاص والوفاء إلى من لم يدخر نفسا في تربيتي، الذي لم ينسى أبدا بتذكيرنا بطلب العلم "إقرأ، اقرا" ، إلى نور قلبي في كل زمان ومكان، إلى الذي تحمل عبئ الحياة من أجلي، إلى صاحب النفس الزكية، إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق إلى صاحب القلب الواسع "إلى أبي العزيز".

"فيارب اجمعني بهما في جنتك وارحمهما كما ربياني صغيرا"

إلى سندي في الحياة أخي وأخواتي، مولاي، الطيب، نعيمة، زينب، عائشة.

وإلى أبناء أخواتي: محمد إسحاق، محمد عبد المالك، يعقوب سراج الدين، لقمان علاء الدين.

وإلى الأستاذ الناصح والموجه: "د. شعلال إسماعيل"

إلى الذين لم يبخلوا علي بالدعوات شفاهم الله وأطال في عمرهم.

إلى من تقاسمت معهم لحظات حياتي، عبو عربية اسماء.

إلى من يحبه قلبي و لم يذكره قلمي.

"بومهرية تركية"

اهداء

أحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا البحث.

وأهدي ثمرة جهدي وعملي إلى الوالدان العزيزان اللذان أعاني وشجعاني على الإستمرار في مسيرة العلم والنجاح

وإلى أخي "سفيان" وأخوتي منال ومروة الذين كانوا لي خير سند.

وإلى المشرف الكريم الدكتور "شعلال اسماعيل"

الذي لم يبخل علينا بدعمه وساعدنا بتوجيهاته وتصحيحاته

وكل من ساعدني على إنجاز هذه المذكرة ولو بالدعاء والكلمة الطيبة

سيار أسماء

FREE PRINTABLE INVITATION - DREVIO.COM

اهداء

نحمد الله ونشكره على إعطائه لنا الصبر والإرادة على التقرب لإتمام دراستنا

ونحمده لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية لمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى

مهداة إلى

الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني ولاتزال من إخوة وأخوات إلى رفيقات المشوار اللاتي قاسمانني

لحظاته رعاهم الله ووفقهم

وإلى كل أساتذة كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

وعلى رأسهم الدكتور "شعلال اسماعيل" حفظه الله ورعاه

رابحي خديجة

مقدمة

مقدمة:

إن الإهتمام بالتصوف ليس حديث الساعة، بل تناوله المؤرخون والعلماء العربي والمسلمون من أمثال: القشيري والكلابذي والغزالي وإبن خلدون.

كما يبدو أنه من الصعب تحديد بداية ظهور التصوف في تراثنا الإسلامي، حيث اختلفت الأراء حول تاريخ هذه التسمية. والراجح أن هذا الإسم (التصوف) ظهر قبل مئتين للهجرة. وقد بدأت نشأته الأولى في نزعات الزهد التي سادت العالم الإسلامي في القرن الأول هجري، وإنتشر التصوف في أرض فارس ثم العراق حتى وصل إلى المغرب.

وقبل أن نتعرض لتعريف التصوف فلابد أن نبحث أولا عن أصل إشتقاقه فهو مشتق من كلمة صافي وصوفي والتصفية والصفا وصفى والصفوة، وهناك من يشتق التصوف من (صفة المسجد). وينقل الكلابذي أبو بكر محمد الصوفي المشهور عن الصوفية أقوالا عديدة في أصل هذه الكلمة وإشتقاقها قال: قالت طائفة: "إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها".

وقال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفة الله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته.

ولا يقل إختلاف الصوفية في إختلاف تعريف التصوف عن إختلافهم في أصله وإشتقاقه بل ازدادوا تعارضا وتناقضا فيه. وهذا ما حدث لمفهوم التصوف حيث تعدد معناه و لم يعد ينطبق عليه تعريف واحد، حيث يقول الحسين جلاب بأن الدارسين أو وصولا عدد التعريفات إلى 1000 تعريف.

ونختار من هذه التعريفات بعضها نموذجا للقراء والباحثين:

فقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد النوري: من الصوفي؟

قال: من سمع السماع وأثر بالأسباب.

ونقل الكلابذي وعبد السلام الأسمر الفتوري عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية.

وللموضوع أهمية كبيرة تكمن في أن التصوف الحياة الروحية للديانات السماوية ويقدم للإنسان حلولا علمية تساعده على ترويض نفسه وتهذيب أخلاقه والجمع بين الشريعة والحقيقة والغاية من هذا الأخير هي بناء المجتمع المسلم على أساس من الفضيلة والتمسك بمبادئ الدين الصحيح. وهو الإنصراف عن الدنيا ومتاعها والعناية بالأمور الدين ومراعاة أمور الشريعة والسنة.

كما أنه بإمكان التصوف أن يحقق لنا الإرتقاء من الخلق إلى الحق إي من عالم الفناء الدنيوي إلى عالم البقاء في الحضيرة الإلاهية وله ضرورة قصوى كونه يمثل الجانب الوجداني في حضارة الأمة ويقرب صورة المعتقد والعبادة على أنها بسيطة غير معقدة.

وترجع أهمية البحث في التصوف الإسلامي إلى توضيح مفهوم التصوف للقارئ والمصادر التي تأثر بها.

وهناك أسباب دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع منها ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الذاتية تتمثل في الرغبة في معرفة الكثير عن التصوف والأراء التي طعنت فيه، الميل الشخصي للبحث في الفكر الصوفي الإسلامي، الرغبة الخاصة في معرفة أهمية التصوف.

أما الموضوعية تتمثل في: توضيح الإختلافات التي جاءت بين المنصفون والمجحفون في موضوع التصوف.

ولقد تفرعت خطة مذكرتنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين آخرين كل فصل فيه مبحثين أما الفصل التمهيدي فكان بعنوان ماهية التصوف وأهم رجالاته وهو يتضمن مبحثين كل مبحث فيه مجموعة من العناصر فأما المبحث الأول عنوناه ب تعريف الزهد لغة وإصطلاحا ويحتوي على عناصر أولها العبارات التي وردت على ألسنة الزهاد وقولهم في الزهد، ثانيا مفهوم الزهد في الإسلام ثالثا التصوف والزهد. والمبحث الثاني عنوناه ب: التعاريف الصوفية فيه مجموعة عناصر أولها التصوف عند ابن خلدون لغة واصطلاحا وثانيا التصوف عند أبي عبد الرحمان السلمي، ثالثا التصوف لأبي سراج الطوسي في كتاب اللمع، رابعا التصوف للإمام أبو القاسم القشيري والمبحث الثالث كان

بعنوان: أهم الشخصيات والطرق الصوفية وشرح مصطلحاته وعناصره متكونة من الشخصيات الصوفية، ثانيا: العبارات الصوفية، ثالث: الطرق الصوفية.

أما الفصل الأول: كان بعنوان: دراسة المصادر المشرقية أصلا والمغربية وصولا ينقسم إلى مبحثين المبحث الأول بعنوان: المصادر المشرقية ذكرنا فيه 7 مصادر أولها كتاب الملل والأهواء والنحل إبن حزم

2- كتاب الفتاوى لإبن تيمية.

3- كتاب إحراء علوم الدين لأبو حامد الغزالي

4- كتاب الفتوحات المكية لمحي الدين بن غربي

5- كتاب رسائل الجنيد لإمام أبو القاسم الجنيد

6- كتاب الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القشيري

7- كتاب الطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي

والمبحث الثاني بعنوان المراجع المشرقية: فيه 7 مراجع هي

1- كتاب الغزالي وعلماء المغرب للطاهر عموري

2- كتاب التصوف إيجابياته وسلبياته لأحمد محمد صبحي

3- كتاب التصوف من الإفراط والتفريط لعمر عبد الله كامل

4- كتاب قطب الشهيد عبد السلام بن بشيش للدكتور عبد الحليم محمود.

5- كتاب قضية التصوف للدكتور عبد الحليم محمود

6- الشطحات الصوفية لعبد الرحمان بدوي

7- مشكاة الحيران لعبد الحميد الجوهري

أما الفصل الثاني عنوناه ب: مصادر التصوف والمراجع المحلية بالغرب الإسلامي انقسم هو الآخر إلى مبحثين المبحث الأول بعنوان المصادر المغربية ذكرنا فيه 7 مصادر وهي:

1- التشوف إلى رجال التصوف

2- قوت القلوب لأبي طالب المكي

3- معجم الإيمان إلى معرفة أهل القيروان.

4- عنوان الدارية من عرف بين العلماء في المائة السابعة في بجاية

5- التذكار إبن غلبون

6- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان إبن مريم

7- السفينة القادرية لعبد القادر الجيلاني.

والمبحث الثاني بعنوان: المراجع المغربية فيه 4 مراجع هم:

1- أعلام التصوف في الجزائر عبد المنعم القاسمي الحسني

2- الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب محمد بركات البيلي

3- المطرب شاهير المغرب للشيخ عبد الله عبد القادر التدلي

4- معراج التشوف إلى رجال التصوف عبد الله أحمد بن عجيبة

وخاتمة كانت عبارة عن نتائج مستقاة من البحث

الدراسات السابقة:

1- التصوف الإشراقي عند شهاب الدين السهرودي: تحدث فيه عن مصادر التصوف الإسلامي ومراحل هذا التصوف.

2- دراسة ثائر الحلاق بعنوان التصوف وتزكية النفس: ركزت هذه الدراسة على التصوف لأنه تجربة خاصة وفريدة في تاريخ الفكر الإسلامي، وقد تضمنت مقدمات عامة حول التصوف وذكر طرقهم ومؤسساته التعبدية.

3- دراسة جميل حمداوي بعنوان التصوف الإسلامي ومراحله: هدفت هذه الدراسة إلى التركيز على مبحث التصوف، وقد اثارت جدل كبير بين المستشرقين والباحثين العرب والمسلمين حول مفهومه ومواضيعه ومصطلحاته ومصادره وأبعاده المنهجية المرجعية.

كانت هذه الدراسات مقتصرة على توضيح مفهوم التصوف ومراحله وطرقه ومصادر التصوف الإسلامي. أي درست الجانب العام للتصوف أما نحن نسعى لذكر جانب خاص من التصوف ألا وهو ذكر ما تعلق بالأحكام الصادرة في حق المتصوفة سلبا وإيجابا.

يصعب تقديم تعريف جامع للتصوف، فالصوفية يختلفون في تعريفه أكثر من إختلافهم في أصله وإشتقاقه، نظرا لطبيعته ذاتها ولإختلاف التجربة الوجدانية الخاصة بكل صوفي ويتوسع في تتبع الجدل الدائر بين المشارقة والمغاربة حول موضوع التصوف وعليه الإشكال العام الذي نطرحه هو:

ماهي الأراء التي أطلقها المتقدمون والمتأخرون حول التصوف إنصافا وإجحافا؟

أما الإشكاليات الفرعية تتمثل في:

1- ماذا نعني بالتصوف لغة وإصطلاحا؟ وماهي أهم شخصياته وطرقه؟

2- ماهي أهم المصادر والمراجع المشرقية التي تحدثت عن التصوف؟

3- ماهي أهم لمصادر والمراجع المغربية للتصوف؟

وبالنسبة للمنهج الذي إستخدمناه في مذكرتنا هذه هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ومنهج المقارنة أما المنهج التاريخي استخدمناه قصد البحث عن التصوف من الجانب التاريخي والمنهج التحليلي ساعدنا في تحليل الكتب الخاصة بالتصوف وما حوته من أراء .

أما الوصفي ساعدنا في وصف بعض الشخصيات الصوفية ووصف أحوالهم، أما منهج المقارنة استخدمناه من أجل المقارنة بين التصوف عند المشارقة وعند المغاربة.

يتميز المجال الصوفي عن غيره من المجالات الفكرية لصعوبة سلوكهم من قبل الباحثين لا لندرة المصادر وصعوبة الولوج إليها، بل لأسباب أخرى ألا وهي:

- صعوبة الموضوع وتعقد مصطلحاته.
- الغموض في النصوص الصوفية وصعوبة التعامل معها لأنها تمتاز بالرمزية.
- تناقض الوجود بين أحوال الصوفية الحقيقين النسبيين والمدعين الذين فتحوا باب الإنتقاد على التصوف.

- إلتباس بعض المعاني والمصطلحات يشكل بعض الصعوبات.

نقد المصادر:

1- الرسالة القشرية للإمام أبو قاسم القشيري النيسابوري الشافعي المتوفي سنة 465ه، تحقيق العارف بالله الإمام عبد الحليم محمود والدكتور محمود بنو شريف 1409ه- 1989م. أفادنا في معرفة أقطاب الصوفية وعلم التوحيد وبيان عقائد أقطاب التصوف في مسائل التوحيد وأخذنا منه بعض التعريفات للتصوف.

2- أبو حامد الغزالي محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد توفي 505ه من أشهر كتبه "كتاب إحياء علوم الدين" الذي يعتبر من أعظم التصانيف التي صنفت في معرفة قواعد الأحكام، وله عدة أبواب أفادتنا في التعرف على العلوم المتعلقة بالدين.

3- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم ذوي الشأن الأكبر –مقدمة- ابن خلدون لعبد الرحمان ابن خلدون. الجزء الأول توفي 808 ه، وهو مؤرخ كبير في تحديد مرحلة ظهور التصوف وتعريفه، أفادنا هذا الكتاب في تعريف التصوف لغة واصطلاحا.

4- أبو قاسم الجنيد بن محمد بن جنيد النهاوندي ثم البغدادي القوايري هو شيخ الصوفية توفي سنة 200ه. أفادنا في التعرف على جميع مؤلفاته وأهم الرسائل وساعدنا في تفسيرالقرآن.

5- التشوف إلى معرفة رجال التصوف وأخبار أبي عباس السبتي لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي عرف بإبن الزيات توفي 617ه . ساعدنا في معرفة إثبات كرامات الأولياء.

6- عنوان الدراية فيمن عرف بين علماء في مئة السابعة في بجاية لأبي عباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله توفي 714ه. أفادنا في التعرف على بعض الشخصيات الصوفية وأحوالهم.

7- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان صنفه أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ توفي 696ه . أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بنو عيسى ابن ناجي توفي 839ه. ساعدنا في معرفة ذكر فضل إفريقية والقيروان وذكر مساجدها والتعرف على بعض الشخصيات.

نقد المراجع:

1- التصوف الطريق والرجال للدكتور فيصل بديرعون أخذنا منه بعض المصطلحات الصوفية وتعريف التصوف وأفادنا في معرفة التوحيد ودرجاته للإمام الغزالي.

2- المطرب بمشاهير أولياء المغرب للشيخ عبد الله عبد القادر التليدي. أفادنا في التعرف على التصوف والصوفي والولي. والتصوف في مغربنا العربي وذكر أهم الشخصيات.

3- الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، محمد بركات البيلي، ساعدنا على معرفة أسباب ظهور نزعة التصوف في العصر الإسلامي.

4- أعلام التصوف في الجزائر: منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى لعبد المنعم القاسيمي الحسيني يتحدث هذا الكتاب عن التصوف بأنه لديه أهمية كبيرة في حياتنا المعاصرة والجزائر كيفية دول العالم الإسلامي وأهم أعلام هاته المنطقة.

5- قطب الشهيد، عبد السلام بن بشيش أفادنا في التعرف على الزهد والتوكل والمقامات الصوفية.

الفصل التمهيدي:

ماهية التصوف

وأهم رجالاته

يحتل موضوع التصوف أهمية كبرى في حياتنا الفكرية وهو من القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني وحتى أننا لم نتمكن إلى يوم الناس هذا من أن نفصل في هذا الموضوع بالرأي النهائي، وانتشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي في ق 03 ه كنزعات فردية تدعوا إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة متنوعة معروفة بإسم الطرق الصوفية، ولقد انتشرت في العالم الإسلامي قديما وحديثا طرق كثيرة وإقترنت بالزوايا والروابط والمساجد.

المبحث الأول: تعريف الزهد لغة وإصطلاحا

1- تعريف الزهد لغة:

قال ابن الجلاء: «الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها»

وقيل: «الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف»

وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: «الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب»

وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه:« الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد، وهذا زهد العارفين، وأعلى منه زهد المقربين فيها سوى الله تعالى ودنيا وجنة وغيرهما إذ ليس لصاحب هذا الزهد إلى الوصول إلى الله تعالى والقرب منه».

فالزهد تفريغ القلب من حب الدنيا وشهواتها، وامتلاؤه بحب الله ومعرفته وعلى قدر تخلص القلب من تعلقاته بزخارف الدنيا ومشاغلها يزداد الله تعالى حبا وله توجها ومراقبة ومعرفة، ولهذا اعتبر العارفون الزهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى وشرطا لنيل حبه ورضاه، وليس غاية مقصودة لذاتها.[1]

الزهد: زهد فيه، كمع وسمع، وكَرُمَ، زهداً وزهادة أو هي في الدنيا، والزهد في الدنيا: ضد رغب وكمنعه حزرة وخرصه، كأزهده والزُهد، محركة: الزكاة والزهيد: القليل، والضيق الخُلق، كالزاهد والقليل الأكل، والوادي الضيق وازدهده عده قليلا، والتزهيد فيه، وعنه: ضد الترغيب والتبخيل وتزاهدوه، احتقروه، وزاهد بن عبد الله، وأبو الزاهد الموصلي محدثان[2].

زهد: الزهد في الدن خاصة، والزهادة في الأشياء كلها ورجل زهيد وإمرأة زهيدة وهما القليل طعمهما.

وأزهد الرجل إزهاداً فهو مزهد لا يرغب في ماله لقلته.[3]

---

[1] – حقائق عن التصوف، العارف بالله عبد القادر عيسى رحمه الله، دار العرفان بحلب، ط16 مصححة ومنقحة، حلب، سوريا.

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفي سنة817هـ، القاموس المحيد مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، ص725.

[3] – أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي 100-175هـ، كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي د ابراهيم السمرائي، ج4، ص12.

الزهاد: الكثير الزهد

الزهيد: القليل: يقال ثمن زهيد

وهو زهيد الأكل: قليله وزهيد العين: يقنعه القليل (ج) زهدان وهي زهيدة زهائد[1].

الزهد إصطلاحا: الزهد من مقامات السالكين، وهو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وبعبارة أصح، هو بيع الدنيا بالآخرة، وحب الله، والانصراف عما سواه، فالتوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات، قيل يوما لإبن مبارك: يا زاهد فقال الزاهد هو عمر بن عبد العزيز الذي جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا ففيما زهدت؟ قال تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**"[2] وأكد لصالحين الزاهدين ربحهم في قوله عز وجل: " **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ**" [3] وهي الدار الآخرة التي هي خير وأبقى وقد يعلم هذا ومن لا يقدر على ترك الدنيا إما لضعف يقينه أو استيلاء الشهوة عليه التي اوقعته في حبل الشيطان فتصرف تحت قهره وغره، حتى إذا اختطفته المنية لا يجد في جعبته إلا الحسرة والفوت، قال تعالى: " **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**"[4]، قيل معناه أيهم زهد فيها، ووصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال، وقال تعالى: " **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نــزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**"[5]، وقيل أن من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله يتابع الحكمة في قلبه وانطلق به لسانه، وعن بعض الصحابة قال قلنا يا رسول الله **:أي الناس أفضل؟ قال :كل مخموم القلب، صدوق اللسان قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال :هو**

[1] – إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية بالقاهرة مكتبة الشروق الدولية ،بدون بلد ، 1425هـ/ 2004م، ص 404.

[2] – القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 111.

[3] – القرآن الكريم، سورة التوبة، لآية 111.

[4] – القرآن الكريم، سورة الكهف، الأية 07.

[5] – القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية20.

التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل، ولا حسد وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في اليوم"[1]

الزهد: خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برودة الدنيا من القلب، وعزوف النفس عنها، فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء، وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال.

وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات، وحاصل الجميع برودة القلب عن السوى أو عن الرغبة في غير لحبيب وهو سبب المحبة كما قال عليه السلام: "ازهد في الدنيا يحبك الله" الحديث هو سبب السير والوصول إذا الأسير للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب[2].

الزهد: أن الأصل في معنى الزهد هو "الإعراض عن الشيء لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه"، ولكن لم يقتصر معناه عند الزهاد على هذا التعريف. ولندلل على صحة ذلك فإننا نستشهد ببعض

2- **العبارات التي وردت على ألسنة الزهاد:**

أنهم سيتدنون إلى الحديث "الزهاد في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت لها أرغب فيها لو أنها بقيت لك.

ويستنتج ابن رجب من هذا الحديث أن تفسير الزهد في الدنيا يعني ارتباط هذه التفسيرات الثلاثة بأعمال القلوب، فالثقة بما في يد الله تعالى، والصبر على المكاره والمصائب، واحلال الخشية من الله وحده في القلب مع اسقاط منزلة المخلوقين في قلبه أن كل هذه المعاني نابعة من قوة اليقين.

ولهذا كان تعريف الزهد عند شيوخ السلف تدور حول هذه المعاني.

فإن الدراني أوضح أنه لا يستطيع أن يستدل على الزاهد، لأن الزهد في القلب وعند الفضيل بن عياض "الزهد هو الرضا عن الله". ويقول سفيان الثوري رحمه الله ، فإنه يرى أن: "الزهد في الدنيا

[1] – الأستاذ عبد الحميد الجوهري، التصرف مشكاة الحيران، افريقيا الشرق، بدون بلد، 01/01/1996 ص151.

[2] – عبد الله بن أحمد بن عجيبة 1224هـ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن ستر الألباب، تق وتح: د. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب،ص30.

قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ول بلبس العباء" ووصف الزهرى الزهد بأنه صرف النفس عن الشهوة. ويقول الحسن البصري رحمه الله "الزاهد الذي إذا رأى أحد قال هو أفضل مني.

وهؤلاء جميعا مع تنوع عباراتهم إلا أنها تلتقي في إناء المعاني الروحية على تعريفهم للزهد فلم يصدوا به التقشف في المأكل والملبس حيث فهم المستشرقون خطأ، ومن ثم افترضوا نظرية الزهد الساذج البسيط.

لم يكن الزهد عند الزهاد الأوائل بخاصة والمسلمين بعامة بسيطا ساذجا ولكنه كان مؤسسا على المعاني التي ذكرها الكتاب وأتت بها السنة.

يقول ابن تيمية: "لا يحصل الاخلاص إلا بعد الزهد، ولا الزهد إلا بالتقوى والتقوى متابعة الأمر والنهي".

ويمكن أن نتساءل: أيكون الرجل زاهد وله مال؟

أجابنا كل من سفيان بن عينية وسفيان الثوري رحمه الله على هذا السؤال بالإيجاب، واشترط أن يصبر إذا ابتلى، ويشكر إذا أنعم عليه من هذا يتضح خطأ قصر مفهوم الزهد على الزهد في المال وحده وربما يرجع ذلك إلى تأثر المستشرقين بنظرية الزهد الرهبانية حيث يقطع الراهب صلته بالحياة الدنيوية.

أما الزهد الإسلامي فإنه يختلف عن ذلك تماما[1].

قول العلماء في الزهد:

قال الجنيد: الزهد خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من التتبع قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " وسئل عن الزهد ما كان فقال: هو أن لا تبالي من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر قال يحي: الزهد ترك البد.

[1] – د مصطفى حلمي أستاذ، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، م شارع منشأ محرم بك، الإسكندرية، مصر، ص66.

قال مسروق: الزاهد الذي لا يملكه مع الله سببا، سئل الشبلي عن الزهد فقال: ويلكم أي مقدار لأقل من جناح بعوضة حتى يزهد فيها. قال أبو بكر الواسطى: كم تصول بترك كنيف، وإلى متى تصول بأعراضك عما لا يزم عند الله جناح بعوضة. وسئل الشبلي عن الزهد فقال: لا زهد في الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد؛ أو يزهد فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده فليس إلا ظلف النفس وبذل ومواساة، كأنه جعل الزهد ترك الشيء فيما ليس له وما ليس له لا يصلح له تركه لأنه متروك وما خو له لا يمكن تركه[1].

3- **مفهوم الزهد في الإسلام:** يعتبر الزهد عند مؤرخي التصوف مرحلة سابقة عليه، ويستحسن بادئ ذي بدء تحديد مفهومه.

للإسلام مفهوم خاص للزهد، فهو ليس رهبانية أو انقطاعا عن الدنيا وإنما هو معنى يتحقق به الإنسان، يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا، يعمل فيها ويكد ولكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه، ولا يدعها تصرفه عن طاعة ربه.

ولذلك ليس من شروط الزهد في الإسلام أن يكون مقترنا بالفقر، بل يتفق الإنسان الغني والزهد معا. وكان عثمان بن عفان وعبد الرحمان بن عوف من كبار الأغنياء، ولكنهما كانا زاهدين فيما يملكان، فقد جهز عثمان جيش العسرة واشترى بئر رحمة من يهودي كان يمنع المسلمين عنها وكان لا يتوانى عن بذل ماله في سبيل المجتمع وكذلك كان عبد الرحمان بن عوف يخرج عن تجارته وأرباحها اذا شعر بحاجة المسلمين إليها، وقد عرف أحد الصوفية الزهد الإسلامي بقوله: "أن تكون معرضا عما تملك لا أن تكون معرضا عما لا تملك"[2]

الزهد في المفهوم الشرعي:

لغة: زهد فيه وعنه زهدا وزهادة: أعرض عنه، وتركه لاحتقاره أو لتحرجه منه، أو لقلته أو زهد في الشيء رغب عنه أو يقال زهد في الدنيا، ترك حلالها مخافة حسابه، وترك حرامها مخافة عقابه.

[1] – أبو بكر محمد بن اسحاق البخاري الكلابذي المتوفي سنة 380هـ(990م)، كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، ص65.

[2] – أبو وفاء التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، كلية الأدب، بجامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع. ص81-82.

اصطلاحا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، كما في الحديث الذي في الترميذي أليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال أو الإضاعة المال ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك وأن تكون في ثاب المصيبة إذا أصبت أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك.

وقال ابن الجوزي: هو عبارة عن انصراف الرغبة من الشيء إلى ماهو خير منه[1].

تحول الزهد إلى تصوف: ولما استشارى خلال هذا القرن (القرن الثاني الهجري الانغماس في معترك الحياة والرغبة في التمتع بخيراتها وتوفير أسباب الراحة والبهجة فيها، ترتب عليه تعاظم زهد هؤلاء الذين صاروا يعرفون بالصوفية، ورأو أن العبادة الحقة يجب أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، لا لغرض آخر حتى ولو كان الجنة، وربما كان ذلك تأثرا بقوله تعالى: " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ"[2]، فقالو نعبد الله محبة فيه لأنه أهل للعبادة.

ولعل أول من نسب له هذا المذهب هي رابعة العدوية (ت185هـ) التي صهرها الفساد والطبائع واستعبدتها لقمة العيش، في مجتمع تفشت فيه الأثرة وغابت فيه القيم الإنسانية الرفيعة، وحل محلها التفسخ والإحتيال رحب الظهور، ولهذا فلا عجب أن ينتهي بها الأمر إلى اعتزال الدنيا وإساءة الظن بنوايا الناس، ويبدوا أن رابعة العدوية مرت في سلوكها الصوفي بثلاث مراحل هي: الأولى: مرحلة الاستغراق في التوبة والاستغفار. ثانيا: مرحلة إرهاصات الحب الإلاهي. ثالثا: مرحلة الحب الإلاهي الخاص[3].

4- التصوف والزهد:

هل الطريق هو الزهد؟

---

[1] – التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة، قاموس المحيط المعجم الوسيط.

[2] – القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 28.

[3] – مفهوم التصوف وتطوره، عمارة السياسي، جامعة الوادي، ص81- 82.

إن كثيرا من الناس لا يكادون يفرقون بين التصوف والزهد وكثيرا منهم يرون أن الزهد هو الطريق المؤدي إلى التصوف، أو هو الطريق المؤدي إلى جلاء البصيرة. والواقع أننا حينما نفكر في الزهد ترى منه ألوانا عديدة إن منه هذا اللون المنطقي الفلسفي الذي يرى صاحبه أن أسمى ما في الحياة إنما هو الهدوء، والسكينة وراحة البال، وطمأنينة النفس، ولا يأتي ذلك بالجري وراء الدنيا والكفاح في سبيل الثراء والإنغماس ورائه في الملاذ.

إن الناس يتكالبون على الدنيا تكالبا شديدا. وإلقاء الإنسان نفسه في المعركة، معركة التنازع على الدنيا. لا ينتج غالبا إلا انشغال البال، والهم والفكر والقلق، وسبيل السكينة والراحة وإنما هو البعد مصدر التراع.

وهؤلاء الذين يفكرون هذا التفكير، فيؤديهم إلى الزهد يكون زهدهم زهدا منطقيا فلسفيا. يقول ابن سينا: "المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها يخص باسم الزاهد".

وهذا الزاهد إما أن يكون هدفه سكينة في الدنيا، لا يتطلع إلى غير ذلك، وهو ما سبق أن تحدثنا عنه، وإما أن يتخطى الدنيا فلا تحط له على بال، أو يكون أمرها في نظره ثانويا ويتجاوزها إلى الآخرة. يزهد من أجلها ويعرض عن متاع الدنيا وطيباتها من أجل نعيم الآخرة فيكون الزهد عنده على حد تعبير ابن سينا: " معاملة ما كأن يشتري بمتاع الدنيا متاع الآخرة". وغاية هذا الزاهد الامتناع عن طيبات هذا العالم أن يمنحه الله الدار الآخرة طيبات ألذ وأمتع إن مثله فيما يروي ابن سينا: كمثل التاجر الذي يشري بمتاع الدنيا متاع الآخرة، وهؤلاء الزهاد لهم أجرهم و ثوابهم عند الله في الآخرة ولهم سكينتهم في الدنيا، ولكن هذه الطريقة من الزهد المنظور فيه إلى الجزاء والمكافأة والأجر فيما يرى الصوفية –لا يقصد الله فيها مباشرة بالعمل ليكون الله سبحانه- وحده هو المطلوب، وإنما يقصد في قليل أو كثير بطريقة شعورية، أو لا شعورية إلى نعيم الآخرة وملاذها.

والزهد الفلسفي، وزهد الراغبين في الأجر لا يؤدي إلى أن يصبح السر مرآة مجلوة. وما من شك في أن طريق الكشف عن البصيرة وينطوي على الزهد ويتضمنه ولكنه زهد.

هو تسامي على أن يكون لغير الله شأن يشغل نفسه به، فكل ما سواه سبحانه لا يساوي جناح بعوضة، إنه "تتره ما" إن الطريق ينطوي على الخلق الكريم، وعلى الزهد الخاص، ولكنه يتجاوزهما إلى شيء آخر[1].

الزهد والتصوف:

لا يستطيع أحد أن يفصل الزهد عن التصوف أو يميز بينهما بل إن كثيرا من المسلمين الذين أطلقوا عن أنفسهم اسم الصوفية (حتى في القرن الثالث الذي ظهرت فيه التفرقة بين الزهد والتصوف واضحة جلية) لم يكونوا في الحقيقة إلا زهادا على حظ قليل جدا من التصوف، فالأولى إذن أن نعتبر أوائل الصوفية منتمين إلى حركة الزهد التي نحن بصددها، تاركين الكلام الفانقوات والزوايا وما إليها، والكلام في الزهد المنظم في العصر المتأخر إلى الفصل التالي، أما الآن فسنقصر قولنا على بعض الرياضيات النفسية والنظريات التي تفسر لنا الروح العامة في الزهد الإسلامي[2].

1)**اللباس:** كانت الثياب مصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الإسلام، وفي هذا حاكى العرب رهبان المسيحيين. وقد شاع إستعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد المسلمين الأوائل، ومنه اشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري على أن اسما آخر أطلق على هؤلاء الزهاد وإن كان أقل شيوعا من اسم الصوفي وهو "مسوحي" نسبة إلى مسوح جمع مسح وهو لباس من الشعر، وقد جرت العادة بأن يلبس الزهاد، رجالا كانوا أو نساءا جبة أو مدرعة من الصوف وأن تلبس المرأة أحيانا غطاءا على الرأس من القماش نفسه وهذا الغطاء هو معروف بالخمار.

وقد استنكر سفيان الثوري المتوفي سنة (161ه/ 777م) رحمه الله لبس الصوف وعده بدعة، واستنكره كذلك غيره من المسلمين لأنهم اعتبروه رمزا للمسيحية وعلامة على الرياء. يقول أبو سليمان الداراني المتوفي سنة (830م): "يجوز لباس الصوف لمن لبسه يريد بقاءه (أي لبسه اقتصادا)، ويجوز لباسه في السفر، ومن لبسه في الدنيا (لعلها في الدين) فلا يلبسه). ويقول في تفضيل الثياب

[1] – د. عبد الحليم محمود، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ط3، دار المعارف، ص427-428.

[2] - لرينولد نوكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، نقلها إلى العربية وعلق عليها: أبي العلا عفيفي أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر 13/ 197م، ص48.

البيضاء على عباءة لصوف: "وإذا لم يبق في قلبه (أي قلب الزاهد) من الشهوات شيئا جاز له أن يتدرع عباءة ويلزم الطريق، لأن العباءة علم من أعلام الزهد، ولو أنه ستر زهدة بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له". وقد كثر ذكر الثياب المتخذة من الشعر، وكانوا يلبسونها أحيانا تحت فاخر الثياب كما فعل جعفر الصادق، "دخل عليه الثورى رضي الله عنه فرأى عليه جبة من خز فقال له: إنكم من بيت النبوة تلبسون هذا؟ فقال ما تدري؟ أدخل يدك، فإن تحته مسح من شعر خشن" وامتاز بعض الزهاد بلبس البرانس[1].

2)**الطعام والصيام:** ذكر كثير من الزهاد فضل أكل الحلال من الرزق دون غيره، يقول ابراهيم بن أدهم "كل الطيب من الرزق ولست بحاجة بعدها إلى أن تقوم الليل أو تصوم النهار". [ويقول لشقيق البلخي: "يبقى عندنا من نبل بالحج ولا الجهاد، وإنما نبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه -يعني الرغيفين- من حله". وقد أثر عنه أنه كان يأكل الطين والتراب إذا لم يجد طعاما لا سبهة فيه، وكان سرى السقطى المتوفي سنة (867م) معروفا بشدة حرصه على أكل الحلال، وكان لا يرغب في الطعام يكون الله عليه، فيه تبعة، أو لمخلوق عليه فيه منه، وقد اعترف أنه لم يجد إلى ذلك سبيلا وفي قصص أولياء المسلمين أمثلة كثيرة تبين كيف عصم الله بعضهم عن أكل ما فيه شهة من الطعام -كطعام ولائم العرس أو طعام الحكام- بإظهار الكرامات على أيديهم يحكى القشيري عن الحارث المحاسبي المتوفي سنة (857م) أنه كان إذا مقيده إلى طعام فيه شبهة تحرك على اصبعه عرق فكان يمتنع منه[2].

ويرى ابراهيم أدهم أن خير طعام الزاهد الخبز الساخن مع زيت الزيتون وفضل غيره الخبز والملح و ثريد الشعير وغير ذلك وقد امتنع بعضهم عن أكل اللحم امتناعا تاما. ولكن لا يظهم رأنهم اتخذوا من ذلك عادة لهم، بل المعروف أنهم كانوا يأكلون القليل من اللحم وكان من تقاليدهم أخذ العهود على أنفسهم ألا يقربوا ألوانا خاصة من الطعام كالجزر والتمر مثلا[3].

[1] - لرينولد نوكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، المصدر السابق، ص49.

[2] - مصدر نفسه، ص50.

[3] - نفسه، ص51.

وكان الزهاد يصومون إلى جانب فريضة رمضان أو أخرى من الصيام تختلف مددها ودرجاتها من الشدة وقد أصبح هذا النوع من الصيام مع الزمن جزءا لا غنى عنه في الزهد الإسلامي، وكانت الغاية منه إماتة البدن و إحياء الروح، وتحصيل المعرفة الحقة والابتعاد عن المعاصي، قال عبد الواحد بن زيد المتوفي سنة (793م): "من قوى على بطنه قوى على دينه، ومن قوى على بطنه قوى على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرة في دينه من قبل بطنه فذاك رجل في العابدين أعمى". وكان سهل بن عبد الله التسترى المتوفي سنة (896ه) معروفا بصيامه، وكان يرى أن الطعام يجب إلا يؤكل إلا ليقيم الأود ويبقي على العقل أو ينهي عن الأكل الذي يقصد به تقوية البدن، ويقول إن العجز عن أداء العبادات لضعف البدن الناشئ عن قلة الأكل أفضل من القدرة على أدائها مع امتلاء البطن قال عن نفسه: "عزمت أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت عليه عشرين سنة"[1].

المبحث الثاني: التعاريف الصوفية:

1- التصوف عند ابن خلدون:

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها. والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعباد وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة. وقال القشيري رحمه الله: "ولا يشهد لهذا الإسم اشتقاق من جهة العربية ولا يقاس والظاهر أنه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي. قال: "وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه.

[1] - لرينولد نوكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، المصدر السابق، ص52.

قلت: والأظهر إن قيل بالإشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والإنفراد عن الخلق والإقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة لهم وذلك أن الإنسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك وإدراكه نوعان: إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرض والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ[1] من ادراكات وارادات وأحوال وهي التي يميز بها الإنسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المؤ لم أو المتلذذ به والنشاط عن الحمام والكسل عن الإعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لابد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد وإما أن لا تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات.

ولا يزال المريد يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم: "من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة"، فالمريد لابد له من الترقي في هذه الأطوار وأصلها كلها طاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات، ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه إنما أتى من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القبلية فلهذا يحتاج المريد إلى محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك، والمريد يحدد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك إلا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات مخلصة من نظر الفقه في

[1] – عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم ذوي الشأن الأكبر– مقدمة إبن خلدون–، ج1، دار لفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 832- 808ه/ 1332_1406م، ص611.

الأجزاء والإمتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليطلعوا على أنها خالصة من التقصير أولا فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام في هذه الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما يترقى منها إلى غيرها ثم لهم مع ذلك أداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة فإذا عرض من المعاني ماهو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات. وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الإصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما ثبتت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك [1].

كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهر وردي في كتاب عوازف المعارف وأمثالهم. وجمع الغزالي رحمة الله بين الأمرين في كتاب الإحياء فدون فيه أحكام الورع ولاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك ثم إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والإطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشؤه وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما ويكشف حجاب الحس، ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الإدراك

[1] – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مصدر سابق، ص612.

فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى إلى أفق الملائكة، وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم في الموجودات السلفية وتصير طموع ارادتهم، فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون من إذا هاجمهم. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثلى هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لها بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منهما. وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم[1].

2-التصوف عند عبد الرحمان السلمي[2]:

أول أبواب المقدمة في موضوع (صحبة الصوفية) وذلك من حيث الأهمية والأثر البالغ (للصحبة) في سلوك الإنسان... وقد ركزوا الصوفية على تلك الناحية؛ واهتموا بعلاقة الصوفي بأصحابه، وسوف نرى أن الصوفي يسمي أصحابه (الاخوان) وأن أهل التصوف يرفعون من شأن هذه الاخوة الروحية إلى درجة عقلية تفوق الاخوة في الدم، وكيف لا تفوقها، وهي اخوة في الله.

أما الباب الثاني، فموضوعه: المحبة... عند الصوفية الاسلام يطول ويتسع، نظرا لاتساع بهار العشق التي تغرق (السالك) في محبة الذات الإلهية، إلا أن الصوفية أثروا وضع كلامهم في المحبة في كلمات ذوقية وعبارات رمزية، وحتى لا يتهمهم الجهلة بالتجديف... ومن هنا كان علينا أن ننظر في كلمات الحب الصوفي، بعين القلب[3].

---

[1] – عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص613- 614.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، تقديم وتحقيق: الدكتور: يوسف زيدان، ط01، دار الجيل، بيروت، 1419ه- 1999م، ص23.

[3] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر نفسه، ص25- 26.

وفي الباب الثالث، يحدثنا السلمي عن (المعرفة) بالمعنى الصوفي، وسوف نرى أن الصوفية يسمعون إلى إدراك لون من المعرفة الإشراقية اللدنية، هي فيض نوراني يتجلى الله به على عباده العارفين، وهذه المعرفة اللدنية تختلف في معناها الصوفي عن (العلم) بالمعنى الظاهري والذي نفهمه الآن.

وبعد (المعرفة) يحدثنا السلمي عن (التوكل) في المفهوم الإسلامي الصحيح، وكما عرفه الصوفية... بعيدا عن التواكل وترك الكسب والتبطل، وقريب الصلة بالثقة في الله، وزهد المظاهر الفانية... فالتوكل بهذا المعنى هو اسقاط للتدبير مع المولى عز وجل، وفي النهاية يتحدث السلمي عن صفة المتوكل وثواب توكل، وثواب توكل الكفاية[1] .

ثم يتناول السلمي موضوع (الفتوة) حيث تجتمع مكارم الأخلاق الإسلامية كالأمانة والنجدة والعفو، وغير هذه السمات الخلقية التي تواضع عليها المسلمون الأوائل، ثم تلقاها الصوفية وركزوا على جانبها الروحي العميق...

وهكذا يستمر السلمي، فيحدثنا عن السخاء، والشفقة، والتواضع... وهي سمات خلقية كدنا أن ننساها في غمرة اندفاعتنا الآلية وراء كل ما هو مادي ... واعتقدنا أن التنافس والتفوق الفردي والأنانية وغير ذلك من أخلاقيات الزحام هو الأسلوب الذي يلائم طبيعة واقعنا... و لم ننتبه إلى أننا نصنع هذا الواقع، وليس هو الذي يصنعنا.

والباب الأخير من مقدمة أبي عبد الرحمان السلمي بعنوان: شرائط التصوف، وهذا الباب في جملته، محاولة إظهار التصوف الإسلامي على حقيقته، من خلال ما كان عليه أوائل الصوفية.. وكأن السلمي قد شعر منذ ذلك الوقت المبكر، بخطر أولئك المنحرفين، الذين يلبسون رداء التصوف، ويخوفون تحته ما يستوجب الإخفاء من نقائض.

وكتاب (المقدمة في التصوف) على هذا النحو السابق، يعتبر واحدا من أهم كتب التراث التي عنيت بإظهار التصوف الإسلامي في صورته الحقيقية، المستمدة من الكتاب والسنة. وإلى جانب تلك الصورة التي قدمها لنا السلمي التصوف الإسلامي في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ التصوف..

[1] - نفسه، ص: 30- 34.

وذلك حين عرض للمعاني الصوفية من خلال أقوال ومواقف هؤلاء الصوفية الأوائل، الذين لا نعرف الكثير عنهم اليوم..

وتبقى لنا نقطة أخيرة يجدر أن نشير إليها، وهي أن الأقوال والعبارات التي ذكرها السلمي لرجال التصوف، لم تكن مجرد عبارات بليغة أو مقطوعات شعرية منمقة، بل كانت كلمات مشايخ الصوفية ترجمة صادقة لأحوالهم مع الله عز وجل وتصوير صادق لسلوكهم الأخلاقي والروحي القائم على فهم صحيح للمبادئ والقيم الإسلامية، وسوف نرى أمثلة لذلك في (المقدمة) فنجد صوفيا كأبي الجرييني، يستحي أن يكلم مريديه عن التوكل وفي بيته بعض المال[1].

وهكذا كانت كلمات مشايخ الصوفية، تصدر عن قلوب يملؤها الإيمان العميق والعمل الصالح، ولهذا بقيت كلماتهم الذوقية وإرشاداتهم الشوقية في وجدان من أنوا بعدهم، لهذا الطريق الروحي الذي يضع أقدامه على أول سلم المعراج الصوفي... وكان أبو حامد الغزالي قد لاحظ من قبل في كتابه (المنقذ من الضلال) أن الصوفية يعولون على العمل الصادق وطهارة الباطن، ومن هنا قال الغزالي: الصوفية أرباب أحوال لا أصحاب أقوال[2].

قال أبو القاسم الصر آبادي: المحبة والمحنة نقطتان مقرونتان، ما المحنة بعين المحنة وعين المحبة! فينبغي للمحب أن ينظر إلى المحنة بعين المحبة حتى تصح له المحبة.

انشدت لبعضهم قوله:

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للمحلق يحكيه الحب حرفان، حاء وباء.. والحاء آخر الحروف من الروح، والباء أول الحروف من البدن، والمحب يكون روحا بلا بدن، وبدنا بلا روح! ولكل شيء عبارة، إلا المحبة، فإنها لا عبارة لها، وهي ألطف وأحمل من أن تدخل في العبارة ولذلك خلق الله تعالى الملائكة للخدمة، والجن للقدرة، والشياطين للعنة، وخلق العارفين للمحبة، فالمحبة نار حطبها أكباد المحبين والخوف نار، والحب نور، ولا تكون أبدا نار بلا نور.

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص12– 13.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص21.

قال محمد بن أحمد البغدادي: من صحب الصوفية، فليصلحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك، فمن نظر إلى شيء من أسبابه، قطعه ذلك عن بلوغ قصيده.. قال ابراهيم: بصحبة الفقراء العارفين، يصل العبد إلى مقام العارفين، حكي عن أحمد بن عبد الله الشرويني أن أبا بكر بن دانيال الأرموني رآه في النوم فقال له: أي الأعمال أضر؟ فقال: الوقوع في الصوفية، و لولا أنهم استوهبوني، لكنت من الهالكين، وكاد أن يحبط علمي فيهم، فبفضل معرفتهم بجوت[1].

وقال أبو سعيد الخراز: صحبت الصوفية خمسين سنة، فما وقع بيني وبينهم خلاف قبل لم ذلك؟ لأني كنت على نفسي!

وقال ذو النون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالمحاربة...

والمحبة نار، والشوق لهيبا.. أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود، من طالبني قتلته في هواي شوقا إلى لقاي، ومن أحبني أحببتهم، أي أشعفته حتى لا صبر له دوني فأما المعرفة، أول فرض افترضه الله على عباده، بدليل قوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" قال ابن عباسن أي ليعرفون...[2]

سئل النبي صلى الله عليه وسلم: "بماذا عرفت الله عز وجل؟ فقال: "ما شاء الله! إني لا أعرف ربي بشيء، بل عرفت الأشياء به" وقال أبو بكر الصديق: سبحان من لم يجعل لخلقه طريقا إلى معرفته، إلا بالعجز من معرفته". وقال بعضهم: الطريق إلى اللهن لأنه لا يعرف قرقسيا سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فرأيت فيها شخصا يعرف بأبي الأزهر له أربعمائة من التلامذة كلهم يقول بالتوكل وترك الكسب.

[1] – المصدر نفسه، ص23.

[2] - أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص31.

وقال الحسن البصري رحمه الله: من توكل وقنع ورضى آتاه الشيء بلا طلب... حكى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: توكل علي أكفك، ولا تتوكل غيري أخذلك، فإنه من استغنى بالله اكتفى، ومن انقطع إلى غير الله تعنى.

وقال سهل بن عبد الله: أول مقام التوكل، أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء وترك الأسباب إنما هو وبال[1].

المتوكلون على ثلاث طبقات: توكل المؤمنين وتوكل أهل الخصوص، وتوكل خصوص الخصوص، فهو كما قال الشبلي حين سئل عن التوكل، فقال: أن تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل![2] وقال عامر بن عبد القيس: والله ما اهتممت برزقي منذ قرأت: " **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** "[3] نكتة: كن آمنا بالله، ولا تكن آمنا عن الله، واطرح تدبيرك إلى من خلقك تسترح

وقيل: وما الراحة؟ فقال: ترك مطالبة ما لا يجري في القسمة... والمتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحبس.

قال الله عز وجل: " **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** "[4] كما سئل عن الرضى بعض المشايخ فقال: أن ترضى بمر القضاء[5].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الفقراء، اعطوا الرضا من قلوبكم، تثبتوا بثبوت فقركم، وإلا فلا..."[6].

---

[1] – المصدر نفسه، ص: 35.

[2] - المصدر نفسه، ص: 36.

[3] – سورة هود، الآية6.

[4] – سورة التوبة، الآية 100.

[5] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص: 36.

[6] – المصدر نفسه، ص: 38.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: العبودية ثلاثة: الأمر بوعد الله، والشغل بأمر الله، والصبر لحكم الله[1].

قال أبو عثمان النيسابوري: أنا منذ أربعين سنة، ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته، ولا نقلني إلى غيره فسخطته... وقال أيضا: الرضى سرور القلب بمر القضاء، وأفضل الرضى أن لا تسكن إلى الرضى، والحياة الطيبة في الرضى[2].

وقال محمد بن علي الترمذي: ليس من الفتوة طلب الآجر على العمل، فإن طلب بالعمل أن يأخذ بدله أو أجره، فقد بان عن حقارة نفسه وخسته! ألا ترى سحرة فرعون لما جاؤوا إليه قالوا: "إنا لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين" طلبوا الأجرة منه وكان عاقبة إبطال سعيه[3].

وقد مدح الله عز وجل السخاء في قوله: ويطعمون الطعام على حبه" وذم من بخل "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة"[4].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لسخاء شجرة في الجنة ثابتة، فلا يلج الجنة إلا سخي، والبخل شجرة في النار فلا يدخل النار إلا كل بخير"[5].

وقال أحمد بن أبي الحواري: "إتمام الإحسان خير من ابتدائه، لأن الإبتداء هوى، والإتمام صبر... والصبر أشد من الهوى"[6].

وقال عبد الله بن المبارك: لا تكن خصما لنفسك على الخلق، ولكن كن خصما للحق على نفسك... وكان يقول: لا سرور في الدنيا يعادل رؤية الإخوان، ولا غم من غمها يعادل مفارقهم[7].

---

[1] - مصدر نفسه، ص40

[2] - نفسه، ص44.

[3] - نفسه، ص49

[4] - نفسه، ص52.

[5] - نفسه، ص56.

[6] - أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص: 58.

[7] - المصدر نفسه، ص59.

قال الله تعالى: " **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**"[1] فمدح الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه...

وقيل: أقرب الخلق من الله تعالى، السالكون آثاره، والمقتفون أخباره.

وقال الله عز وجل:" **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ** "[2] فمن كان على نور الله كان قلبه واسعا وخلقه حسنا، ثم قال: " **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** "[3] فمن كان قلبه قاسيا، كان قلبه ضيقا وخلقه سيئا وقال أبو علي الروذباري: لا يرفع أحد إلا بالتواضع، ولا يتضع أحد إلا بالكبرياء.

وقال الله تعالى: " **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** "[4] لما نزلت هذه الآية قال جبريل: يا محمد، أتيتك بمكارم الأخلاق! قال: وما هي؟ قال: أن تعفو عن من ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحن لمن أساء إليك، فقال بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكي يقتدى به في أمته من بعده قال محمد بن حرب: جمع الله تعالى المروءة... في هذه الآية.

وقال الجنيد: الكريم لا يحوجك إلى وسيلة.. قيل لأبي عمرو الملكي: ما الكرم؟ فقال: التغافل عن زلل الإخوان... وقال أبو عثمان: الكريم يعتذر، واللئيم لا يزال يفتخر!.

وسئل عن المكاسب فقال: الماء وإلتقاط الاوى!

وروى في الخبر: أطيب ما أكله العبد، من كسب يده![5]

وقال الله تعالى: " **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ** "[6].

---

[1] – سورة القلم، الآية 04.

[2] – سورة الزمر، الآية 22.

[3] – سورة الزمر، الآية 22.

[4] – سورة الأعراف، الآية 199.

[5] - أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص 58.

[6] – سورة آل عمران، الآية7.

حكى أن القاسم عثمان الحريري: قال لأصحابه: أوصيكم بخمسة: إن ظلمتم فلا تظلموا وإن مدحتم فلا تفرحوا، وإن ذممتم فلا تجزعوا وإن كنتم كذبتم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا"

وأوصى سهل بن عبد الله رجلا، فقال: وقتك أعز الأشياء فاحفظه، واشغله بأعز الأشياء![1].

وأهم شرائط التصوف: ما كان عليه المشايخ المتقدمون من الزهد في الدنيا والإشتغال بالذكر والعبادة والغنى عن الناس والقناعة والرضى بالقليل من المطعوم والشروب والملبوس، ورعاية الفقراء وترك الشهوات والمجاهدة والورع وقلة النوم والكلام، وجمع الهمة، والمراقبة، والوحشة من الخلق، والغربة ولقاء المشايخ، والأكل عن الحاجة، والكلام عند الضرورة، والنوم على الغلبة، والجلوس في المساجد، ولبس المرقعة والرث... فما كان على ذلك فالكتاب العزيز الناطق به رسول الله صل الله عليه وسلم شاهد بقوله: فالصوفية هي أمان الله في أرضه وأخذان أسراره وعلمه، وصفوته من خلقه، وهم ممدحون بلسان النبوة، لما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: "من سره أن ينظر، فلينظر إلى أشعث أغبر شاحب امشمر، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة علم فشمر ليوم المضمار وغدا السباق، والغابة الجنة والنار"[2]

وقال عز وجل: وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم"، والذي يدعي هذا المذهب وهو يدئ ما ليس له ليقربه ذلك من الناس فرو ذهب وخسر وافتضح وصار يترك هذه الأوصاف خارجا من دعواه وهو متصنع والتصنعات بلا خشية ولا مجاهدة فإنه إنما يخسروا ويسخر نفسه فالتصوف يلعنه والدعاوي تحجبه، والشيطان يقربه، والملائكة تعبده، والله عز وجل يمقته، وأهل تصوف الحقيقة خصاؤه فمن لم يكن للعلم مستعملا، وفي الإرادة مبادرا، وفي الوجد سابقا، وفي المعرفة محققا وادعى التصوف، كان مرتهنا بدعواه، متبعا لهواه، محجوبا عن معناه...[3].

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص 67.

[2] – نفسه، ص72.

[3] – أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص 72.

أما كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف في الباب الأول: قولهم الصوفية لم سميت الصوفية صوفية"، قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها بنقاء آثارها وقال بشير بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله، وقال بعضهم: الصوفي من صفت الله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته[1]. وقال قوم إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همتهم إليه، واقبالهم يعلو بهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقال قوم إنما صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قوم إنما سموا الصوفية للبسهم الصوف وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا من الأوطان وهجروا الأخذان لم يأخذوا من الدنيا إلا ما يجوز تركه من ستر عورة.

وقال صلى الله عليه وسلم يرقون ولا يسترزقون ولا يكوون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فلصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم صحت معازفهم بالله فلم يرجعوا إلى الأسباب ثقة بالله عز وجل وتوكلا عليه ورضا بقضائه فإن المعاني يتفقه أنها آخذت من الصفاء والصفوة كانت صوفية؛ وإن أضيفت إلى الصف أو الصفة كانت صفية أو صفية ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء فلفظ الصوفية وزيادتها، من لفظ الصفية إنما كانت مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة كلها من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس عنها، وترك الأوطان ولزوم الأسفار، ومنع النفوس وصفاء المعاملات، وانشراح الصدور وقال بندار بن الحسين الصوفي: من اختاره الحق لنفسه فصافاه وعن نفسه" وصوفي على زنة صوفى أي عفاه الله فعوفى، وكوفى أي كفاه الله فكوفى، وجوزى أي جازاه الله، وقال أبو علي الروذباري وسئل عن الصوفي فقال: من لبس الصوف على الصفاء وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وعندما سئل بن عبد الله التستري من الصوفي فقال: من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر، وسئل أبو الحسن النوري ما التصوف؟ فقال: ترك كل حظ للنفس وسئل الجنيد عن التصوف فقال: تصفية القلب عن موافقة

[1] – نفسه، ص73.

البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية، والصفات الروحانية والوفاء لله وإتباع الرسول صلى اله عليه وسلم في الشريعة.

قال التستري: من أصحاب من طوائف الناس؟ فقال: عليك بالصوفية فإنهم لا يستنكرون شيئا. ولكل فعل عندهم تأويل فهم يعذرونك على كل حال[1].

وقال يوسف بن الحسين سألت ذو النون من أصحاب؟ فقال: من لا يملك ولا ينكر عليك حالا من أحوالك، ولا يتغير بتغيرك وإن كان عظيما فإنك أحوج ما تكون إليه أشد ما كنت تغيرا وقال ذو النون: رأيت امرأة ببعض سواحل الشام فقلت لها من أين أقبلت رحمك الله؟ فقالت: من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع قلت وأين تريدين، فقالك إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله[2].

3-التصوف عند أبي سراج الطوسي في كتاب اللمع[3]:

باب الكشف عن اسم الصوفية و لم سموا بهذا الاسم و لم نسبوا إلى (هذه اللبسة) قال الشيخ رحمه الله: إن سأل سائل فقال: قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ونسبت الفقهاء إلى الفقه قلم قلت: الصوفية و لم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم، و لم تضف إليهم حالا كما أضفت الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين والصبر إلى الصابرين؟ فقال له: لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، و لم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، والأخلاق الشريفة سالفا ومستأنفا، وهم مع الله تعالى في الإنتقال من حال إلى حال مستجلبين للزيادة، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحققين إسما دون إسم، فلما لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر، اللبسة لأن لبسة الصوب دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك إسما محملا عاما مخبرا عن جميع

---

[1] - أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، المصدر السابق، ص 74.

[2] - نفسه، ص75.

[3] - أبي سراج الطوسي، للمع، حققه: د. عبد الحليم محمود+ طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر- مكتبة المثني ببغداد 1280هـ - 1960م، ص: 40.

العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة، ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل: " **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ** "[1] وكان قوما يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك و لم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مترسمين فذلك الصوفية عندي والله أعلم.

ونسبوا إلى ظاهر اللباس، و لم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون، لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار (السالكين) المتنسكين[2].

4-التصوف في الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القشيري:

عند الدكتور محمد بن الشريف التدين في أسمى صوره... والإيمان في ايجابيته... والإحسان في العادة والعبادة، والتصوف، كل هذه المفاهيم بمعنى واحد، تتكتل وتجتمع تحت ظلال كلمة واحدة كلمة "الإسلام" وكل هذه المسميات روافد فرعية تتلاقى عند النبع الأصيل عند الشريعة الإسلامية في روحانيتها وسماحتها وفي اشراقها وشفافيتها.

ولقد وقر في بعض الأذهان أن التصوف يباين التدين أو يغاير الإسلام، وأن له مفهوما سلبيا يدعو إلى الركون والركود والخمود والخمول، ويهدف إلى العزلة والإنطواء انفر منها الأذواق وتنبو عنها العيون وتعزف عنها النفس الآبية[3].

وتبلبلت الفكرة في أذهان الكثرين عن التصوف وحقيقته وطقوسه ورسومه فحملوا على التصوف وعلى رجاله مدعين أن هذا الأمر مستحدث في الدين وأن الشرع يعارضه ولا يعاضده ولو تزود خصوم التصوف بالإطلاع على أمهات كتب التصوف التي أرخت لرواده وتحدثت عن خطوطه واتجاهاته لوحدوا أنهم تسرعوا في الحكم من غير أن يتسلحوا بالبرهان ومن أمهات الكتبات التي جلت مفهوم التصوف وفصلت في قضيته في حسم وحزم كتاب "الرسالة القشيرية" للإمام أبي القاسم

---

[1] – القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 112.

[2] – أبي سراج الطوسي، اللمع، المصدر السابق، ص41.

[3] – الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشري، تح: العارف بالله الإمام عبد الحليم محمود، ود. محمود بن شريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1409- 1989م، ص:04.

عبد الكريم القشيري من علماء ق 5ه وفي أوائل ذلك القرن رأى الإمام القشيري مناحي تنبعث منها روائح الإنحراف الديني تخالف التعاليم الأصلية تتنافى مع روح الدين وسماحته.

رأى تعاليم الدين تنتهك باسم التصوف... رى كل ذلك يرتكب باسم التصوف... رأى أهل القشور المظعرية، ورأى أهل المغالاة والشطط، ورأى أهل الزيف والجنوح، جلهم يدعون أنهم متصوفة ويسيرون تحت لواء التصوف يزعمون أنهم وحدهم هم حفظته ودعاته ورعاته، وخشي القشيري أن تمتد أثواب الباطل فتغطى وجه الحق وتنبلد سماء الحقيقة بغيوم الأكاذيب وبسحب الترهات فتحول بين اشراق الحق أو تحجب نوره ولو إلى حين[1].

حتى لا تضيع معالم الحق بين متاهات الباطل لأجل أن يضع حدا فاصلا بين التصوف الصرف والتصوف الزائف، أخرج هذه الرسالة القشيرية لتكون نبع الصافي الذي يستقي منه كل دارس للتصوف وكل مستشرق للنور، ولنبين المنهج الصوفي الصحيح، وأنه هو المنهج الإسلامي بعينه لا فارق ولا لبس واختلاف وأن التصوف في صفاته ونقائه وهو الإيمان المتين وهو الإسلام في سماحته وسموه، وهو التدين في أسمى صورة وهو الإرستقراطية الإسلامية على حد تعبير الأستاذ محقق الرسالة القشيرية الدكتور عبد الحليم محمود. ويسوق المؤلف في كثير من مواضع الكتاب كثيرا من الأدلة والأقوال يقرن بها تلك القصة السالفة ويؤكدها، فهو ينقل عن الزار قوله: من علم الطريق الحق سهل عليه ادراكه، لا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله[2].

وقد صدر الإمام القشيري رسالته بمقدمة عرض فيها بايجاز وعمق وتركيز خصائص التصوف والسلوك، الصوفي ومناخه العقيدي ثم كشف عن نفسيات المنتفعين من السوقة المتسربلين برداء التصوف المتسترين به ليخفوا وراءه نوازعهم الشريرة منازعهم الآثمة، ثم فضح حال المستهنين بالعبادة المجترئين على الله الذين تحللوا من بقات التكاليف بحجة أنهم قد وصلوا وتحرروا وزالت عنهم أحكام

[1] - الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص04.

[2] – المصدر نفسه، ص05.

البشرية فلم تبق فيهم بقية يتعلق بها التكاليف لتمام فنائهم حتى صاروا إلى حالة ينتفى فيها العتب وينعدم اللوم على كل ما يصدر عنهم وفي نهاية المقدمة أعرب القشيري عن أحاسيسه تجاه هؤلاء الذين حادوا عن السنة الصوفية وعن المنهج الصوفي وعن يأسه، وعن ذلك يقول: "مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء وقل الشباب الذين لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه، وارحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، واستخفوا بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال حتى ادعوا أنهم تحرروا من رق الأغلال وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه وليس الله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم ثم يقول: "ولما أبى الوقت ألا استصعابا اشعفت على القلوب أن يحسب أن هذا الأمر داي الصوفية" على هذه الجملة "أي المزاعم والإفتراءات" بنى قواعده فألفت هذه الرسالة[1].

وفي صدر الرسالة القشيرية باب أرخ للتصوف وبين مجراه التاريخي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عهد المؤلف وأبان كيف أطلقت التسمية "بالصوفية" وكيف تطورت خلال المائتي سنة من بدء الهجرة كما أرخ لرواد التصوف وشيوخه فترجم في صنف شخصيات الصوفية وسجل أحوالهم جميعا نقل عن أساتذته وفي نهاية حديثه عنهم قال: "هذا هو ذكر جماعة من الشيوخ هذه الطائفة، وكان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم مجموعون على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات و لم يبد أمره على أساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه، مفتونا هالكا في نفسه وأهلك من اغتر به من ركن إى أباطيه، وها نحن: ألاء نراه أيضا في أقواله السالفة تلك يعرج على تلك القضية السابقة قضية أن الدين هو

[1] – الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص05.

التصوف لا فارق ولا اختلاف ويعرض هؤلاء المنحرفين الذين أحدثوا فراغا وهوة بين الدين وبين ما زعموه أنه تصوف وخلص إلى أن المتصوف هو الورع النقي هو المتمسك بآداب السنة وتعاليم الديانة ثم يبسط القول بعد ذلك في باب خصصه لتبيان الألفاظ والمصطلحات والتعبيرات التي تدور في محيط الصوفيين وكان هدفه من ذلك كما قال: ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طرقهم ومتبعي سنتهم، ثم يدلف إلى مفاهيم التصوف، التي هي مفاهيم الإسلام وكلياته فيفسرها ويفصلها بعد أن يدعمها بآيات من كتاب الله ويدعمها بأحاديث من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم فيفرد أبوابها يتحدث فيها عن التوبة ولتقوى وعن الورع والخشوع وعن الصبر والرضا وعن الغيرة والحرية وعن التوحيد والعبودية وعن الإخلاص والإستقامة وعن السلوك والأخلاق وغير ذلك من الكليات التي بلغ تعدادها الخمسين وفي باب التصوف تحدث في مقدمته عن الصوفية وهل هي اسم أو لقب وقال أنه ليس يشهد لهذا الإسم من حيث العربية فياس والاشتقاق وفند قول من قال إنه مأخوذ من الصوف أومن النسبة إلى الصفة أو أنه مشتق من الصفاء، ثم تحدث عن معنى التصوف وأورد عدة أقوال لعديد من الأئمة ذكر منها قول الجنيد، وقد سئل عن التصوف فقال هو: أن يميتك الحق عن وحييك به وقول "رويم" هو استرسال النفس مع الله على ما يريد وقول ذي النون عن الصوفية: هم قوم أثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء ومؤلف تلك الرسالة هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري، عربي من قبيلة "قشير ابن كعب" ولد في نهاية القرن الرابع الهجري ببلاد فارس فهو عربي الأصل خرساني المولد حاطته[1] ، مظاهر النعيم منذ صغره وكان يتميز بنضج ذهني وبفطرة نقية وعقلية نيرة قريته من أساتذة أبي علي الدقاق وقربت أستاذه منه، وانتهى الأمر بالإمام القشيري إلى أن أصبح كما يقول عن عبد القادر "إمام مطلقا" المتكلم الأصول المفسر الأديب النحوي الكاتب الشاعر وسيد وقته وكان يعرف الأصول، مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي وقد توفي الإمام القشيري بعد أن ترك

[1] – الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص05.

ذخائر من تواليف قيمة في ميدان التفسير والسلطة والأخلاق والتوحيد والحديث وقارب ما عرف من كتبه المخطوطة والمطبوعة قرابة ثلاثين كتابا وقد مات سنة 465ه بمدينة نيساب ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقاق.

هذه الرسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن هوران القشيري إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أما بعد:

رضي الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره واختصم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغيات للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، صفاهم من كدورات البشرية، ورقاهم إلى محال المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجارى أحكام للربوبية[1].

فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقليب والتصريف، ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الإفتقار، ونعت الإنكسار، و لم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال، علما منهم بأنه جل وعلا بفعل ما يريد، ويختار من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق ولا يتوجه عليه مخلوق حق ثوابه: ابتداء فضل وعذابه: حكم بعدل وأمره قضاء فصل.

ثم اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم، و لم يبقى في زماننا من هذه الطائفة إلا أثرهم، كما قيل:

أما الخيام فإنما كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم سيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطه[2].

[1] – الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص 05

[2] – الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشيري، المصدر السابق، ص06.

المبحث الثالث: أهم الشخصيات والطرق الصوفية:

1- الشخصيات الصوفية:

رابعة العدوية

أصلها ونشأتها:

هي رابعة بنت إسماعيل، العدوية البصرية مولاة إل عتيك وتكنى «أم الخير» كما ذكر ابن خانكان صاحب كتاب وفيات الأعيان، ولدت في مدينة البصرة، ويرجح مولدها حوالي عام 100هـ/717 م، من أب عابد فقير، وهي ابنته الرابعة وهذا يفسر سبب تسميتها رابعة فهي البنت «الرابعة» وهي من عشيرة القيسيون ومنهم رياح القيسي وحيان القيسي وهم من نسبها إليهم الجاحظ والذين كان لهم دوراً هاماً في حياة رابعة. وبالرغم من كثرة التراجم التي نقلت عن رابعة إلا أن هناك خلط بينها وبين سميات لها مثل «رابعة بنت إسماعيل» زوجة أحمد بن أبي الحواري لذلك كان كل من الشعرواي وابن الجوزي يميزوها باسم رابعة العدوية البصرية عن الاخرى الشامية[1].

عمر بن عبد العزيز(101ه – 719م)

لمع اسم عمر عبد العزيز كذا ه حتى كاد يخفي سيرة خلافته العادلة وأبقى زهده وورعه ولكن الحق أن السيرة أبت ألا تقرن عدله بزهده، وكأن خلافته دعمت نظرية الزهد وغذته ان فأثبتت أنه الامكان بين الخلافة والزهد– أعنة بين الرياسة وامتلاك ناصية الحكم والتصرف في شؤون المسلمين، وبين الحياة الروحية ي إطارها الإسلامي الأصيل الذي يعد عمر بن عبد العزيز أحد الرواد الأوائل فيه، فأصبح من المألوف أن يعتبره أهل السنة والجماعة خامس خلفاء الراشدين(294)[2].

ويبدو أنه أثر في زهاد الشام تأثيرا كثير، إذا اتخذوا منه قدوة فيصفه أبو سليمان الدراني بأنه أزهد من أويس القرني، لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها، ثم تسأل عن حالة أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون.

---

[1]– سهام خضر، رابعة العدوية بين الأسطورة والحقيقة، دار الكتب العالمية ، لبنان، ص 18.

[2] – د. مصطفى حلمي، ابن تيمية والتصوف، مرجع سابق ، ص:169.

الحسن البصري رحمه الله:

ومن هو حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان فضول الدنيا وزينتها نابذا ولشهوة النفس ونخوتها وافدا وقد قيل: إن التصوف التنقية من الدرن، والتوقية من البدن، التبقية في البدن فقال الحسن: إن المؤمن يصبح حزينا ويمسي حزينا ولا يسعه غير ذلك، لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ما الله يضع فيه، بين أجل قد بقى لا يدري ما يصيب فيه من المهالك فكان الحسن رحمه الله قلبه محزونا، قال أيضا: إن المؤمن يصبح حزينا ويمسي حزينا وينقلب بالبقين في الحزن ويكفيه ما يكفي العنيزة الكف من التمر والشربة من الماء، قال أبي حزم قال: سمعت الحسن يحلف بالله الذي لا اله إلا هو ما يسمع المؤمن في دينه إلا الحزن، يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن ساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده، أن يطول حزنه، فقال: طول الحزن في الدنيا تلقيح العمل الصالح، وقال حوشبا يقول سمعت الحسن يحلف بالله يقول: والله يا إبن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

علقمة بن مرتد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فمنهم الحسن بن أبي الحسن، فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا منه، ما كنا نراه إلا حديث، عهد بمصيبة[1].

كتابة إلى عمر بن عبد العزيز:

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز واللسياق لأبي حميد الشامي:

أعلم أن التفكر يدعو إلى الخير والعمل ، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يغني وإن كان كثيرا يعدل ما يبقى وإن كان طلبه عزيزا، واحتمال المؤونة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤونة باقية، فإحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التي قد تزينت يخدعها، وغرت بغرورها، وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلوة،

[1] - أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفاء، ت سنة 430ه/ ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء2، بيروت، سنة 1416ه- 1996، ص131.

العيون إليها ناطرة، والنفوس عاشقة، والقلوب إليها والهة، لألبابها دامغة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة[1]، فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف (بالله) والمصدق له حين أخبر عنها مذكر.

فإحذرها الحذر كله فإنها مثل الحية لئن مسها يقتل، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما عانيت من فجائعها، وأيقنت به من فراقها وشدد ما اشتد منها لرخاء ما يصيبك وكن (أسر) ما تكون فيها احذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور له أشخصته عنها بمكروه، فالسار فيها غار، والنافع فيها غدا صار، ووصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن وآخر الحياة فيها الضعف والوهن، فانظر إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر نظر العاشق الوامق وأعلم أنها تزيل التاوى الساكن.

والله لو كانت الدنيا من أراد منها شيئا وجده إلى جنبه من غير طلب ولا نصيب غير أنه إذا أخذ منها شيئا لزمته حقوق الله فيه وسأله عنه ووقفه على حسابه لكان ينبغي للعاقل أن لا يأخذ منها إلا قدر قدرته وما يكفي.

وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة! فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا الى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحضورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان، وأصحاب السلطان وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه البشرية وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية والقائل عنهم غيرهم إذا نطقوا والنائب عنهم سواهم فما تصرفوا بل صرفوا.

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوحت بعضه من هذه القصة أن يذكر أهلها بسوء، أو نجد مخالف إذا البلوى في هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة.

[1] – أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مصدر سابق، ص132.

سري السقطي رحمه الله: التصوف وعلامات الحب على جسده:

حياته ومترلته: هو الحسن السري بن المغلس السقطي، خال الجنيد وأستاذه صحب معروفا الكرخي وتتلمذ على يديه وهو "أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال"، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته ذكر عنه أنه كان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلم التوحيد ومع هذا كله كان وجبها عند الملوك والأكابر معظما بين أرباب السيوف والمخابز سمي السقطي بنسبه إلى بيع السقط[1].

قال عنه أبونعيم: "هو العلم المنشور والحكم المذكور، شديد الهدى، حميد السعي، ذو القلب التقي والورع الخفي، عن نفسه راحل ولحكم ربه نازل" أما الكلابذي فقد أورد اسمه ضمن من نطق بعلوم الصوفية، وعبر عن مواجدهم ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولا وفلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم.

أما عن سبب توبته وسلوك طريق التصوف فقد حكي عنه أنه قد مرت به جارية معها إناء فيه شيء، فسقط من يدها فانكسر، فأخذ شيئا من دكانه فدفعه إليها بدل ذلك الإناء، فنظر إليه معروف الكرخي فأعجبه ما صنع فقال: "بعض الله إليك الدنيا" وهناك قصة أخرى عن سبب توبته وهي أنه كان يتجر في السوق، فجاءه معروف يوما ومعه صبي يتيم فقال له: إكس هذا اليتيم قال سريفكسوته ففرح به معروف وقال له: بغض الله إليك الدنيا وأرواحك مما أنت فيه فقمت من الحانوت وليس شيء أبغض إلي من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف، وهذا يؤكد أن معروفا الكرخي هو الذي قاد سري السقطي إلى الطريق الروحي.

وكان السري متأثرا في قوله ببشرين الحارث الحافي.

وكانت وفاة سري السقطي رحمه الله سنة 253ه وقيل سنة 251ه، وقيل أيضا إن وفاته كانت سنة 257ه، ودفن في مقبرة الشونيزية، وقبره ظاهر معروف، وإلى جنبه قبر الجنيد، مات سري

[1] - أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مصدر سابق،ص132.

السقطي وكان الناس يرجون أن يحفظه الله ويؤكد ذلك قول حسن البزار بأن أحمد بن حنبل كان ههنا، وكان بشر بن الحارث أيضا ههنا.

اسناد سري السقطي للحديث: يؤكد لنا مؤرخو طبقات الصوفية أن سري السقطي امتنع عن التحدث و لم يخرج له كثير حديث فقد ذكر له شيء من الحديث فقال: ليس من زاد القبر وهو متأثر هنا برأي بشر بن الحارث الحافي، ويعبر سري السقطي عن اتجاهه هذا بقوله: "إن الإنسان إذا ابتدأ بالنسك ثم كتب الحديث فتر، وإذا ابتدأ يكتب الحديث ثم تنسك نفذ"[1].

قال سري سقطي: حدثنا محمد بن معن الغفاري صاحب رسول الله صلة الله عليه وسلم قال: ممرت يوما فرآني رسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا حازم أكثر من قول "لا حول ولا قوة إلا بالله" فإنها من كنوز الجنة[2].

وقد أورد له ابو نعيم أحاديث: قال السري بن المغلس السقطي حدثنا هشيم حدثنا عبد الله بن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمينك على ما يصدك به صاحبك.

أما الحديث الآخر هو: رواه سري السقطي سنده إلى أنس بن مالك حيث يقو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولون، هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟

التصوف ومقاماته عند سري السقطي:

وضع تعريفا للتصوف نتبين منه النظرة الحقيقية والسمة الجوهرية للتصوف الإسلامي في مدرسة بغداد حيث يقول" إنه إسم لثلاثة معان: هو الذي لا يطفئ معرفته نور روعه، ولا يتكل بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله[3].

[1] – د. محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، سنة 1991، ص179.

[2] – المصدر نفسه، ص180.

[3] – نفسه، ص181.

المعنى الأول: هو ألا يفسد الورع معرفة الصوفي، وقد ذهب بعض أدعياء الصوفية إلى أن من وصل إلى مقام المعرفة سقطت عنه التكاليف، وسري السقطي يحذر من هذا ومن هؤلاء الذين سماهم فخر الدين الرازي بإسم "المباحية": أنه لا قيمة لعلم باطن، ما لم يكن له سند من ظاهر الشرع[1].

فمعنى الشطر الأول هو الكف عن محارم الله تعالى، بخلاف من يطفئ نور معرفته نور ورعه، فيترك العمل لأنه لا يدري ما سبق له على التعيين والظاهر عنوان الباطن ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ودليل ذلك في العلم قوله تعالى: "وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون" وقوله صلى الله عليه وسلم: "كل ميسر كما خلق له"[2].

فإذا اتبعنا أقوال سري السقطي تجدها تسيير جنبا إلى جنب مع هذا التعريف حيث يقول سري "إن قليلا في سنة خير من كثير مع بدعة، كيف يقل عمل مع التقوى" ويضاف إلى ذلك قوله: "إن هناك خصلتان تبعدان العبد من الله وهو هنا يفضل الفرض على النافلة وهي ظاهرة واضحة في مدرسة بغداد الصوفية السنية وعلى راسها الحارث المحاسبي ويؤكد هذا كله ما قاله سري السقطي: "إن من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط"

وقد وصل به زهده وورعه، أنه كان يمتنع عن شرب الماء البارد الذي كان تفسيرا للآية القرآنية: " ثم لتساءلن يومئذ عن النعيم" فامتنع عنه خوفا من السؤال وذلك ليتفرغ قلبه ويحسن أدبه مع الله ودليل ذلكما حكاه السري انه صلى ورده ليلة ومد رجليه في المحراف فنودي يا سري كذا تجالس الملوك؟ فضم إليه رجليه قائلا: وعزتك لا مددن رجلي أبدا، وهنا نرى اشتراك الصوفية في الحرب والغزو والدفاع عن الإسلام وتوسيع رقعته، والمرابطة بالثغور على العكس مما يدعيه بعض من أرخو التصوف الإسلامي من أنهم كانوا دعاة الفوضى والإنحلال وكانوا بلاء على الاسلام وسببا لتدهوره وانحطاطه.

[1] – د. محمد جلال شرف ، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب ،المصدر السابق،ص182.

[2] – المصدر نفسه، ص183.

وقد أدى به زهده وورعه مرة أخرى إلى مقام الهيبة والأنس بالله حيث يقول: "إن الحياء والأنس يطرقان القلب"، فالأنس بالله لا يتم إلا بذكره الدائم حتى يصل إلى درجة العشق، أما عن حب السري لله، وهو حب العبد للرب، فقد كان له دلائله وعلاماته على جسده الذي أضناه الحب، بدأ هنا الشوق إلى الله يستبد بالسري فأخذ طريقا أقرب إلى الجينا الهندي لتغيب النفس في شوق عارم إلى الحبيب[1]

وكان هذا المحب الواله العاشق يخاف ذل الحجاب: فيقول: "اللهم مهما عذبتني بشيء، فلا تعذبني بذل الحجاب" وفي هذا دليل على كمال معرفته بربه[2]، ودوام أنسه به وتلذذه بمناجاته في ليله ونهاره حتى صار الحجب عنه أشق عليه من كل حجب، وبشير قوله: "ذل الحجاب" إلى أن النار هي نار العبد، والجنة هي القرب فالنار مع الشهود نعيم، والجنة مع لغفلة عذاب مقيم[3].

وقد ذكر مؤرخو السري أنه تحقق له هذا المقام، مقام القرب حتى أحبه الله وأدناه إليه، بل ويغار عليه من خلقه، بل تتضح هذه الغيرة أيضا في فرض الحجاب على غير المؤمنين فيحكي عن السري أنه قرئ بين يديه "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالآخرة حجابا مستورا".

وأخيرا، أصبح سري السقطي كما يقول الخطيب البغدادي ربانيا في مقام الحب العارم أحبه الله وأصبح بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به[4].

منهج السري في تأويل القرآن:

لما كان الصوفية يستعملون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإجماع والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مشتبهة على الأجانب غيرة منهم على

[1] – د. محمد جلال شرف ، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، نفس المصدر السابق ، ص184.

[2] – د. جلال شرف، المصدر نفسه، ص185.

[3] – المصدر نفسه، ص186

[4] – نفسه، ص187.

أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص حقائقها أسرار قوم[1].

من هنا تتضح أراء مختلفة سأعرض لها بمناسبة مشكلة الحروف والأسماء التي اهتم بتفسيرها الفقهاء والصوفية والمستشرقون الرأي الأول يذهب إلى أن الفقهاء فهموا منهج الصوفية بلا شك وقد رأوا أن الإستنباط الصوفي للآيات ولغير الآيات يخرج النص عن حقيقته الظاهرية ويجعل الدين عرضة لمنازع التأويل، وفي التأويل عند الفقهاء "نزع" و"زيغ" إنه يرتبط ويستند على مزاج فردي وهذا يؤدي إلى تفسيرات متعارضة أما عن الإستخدام للحروف فهناك قولان فيها: أولا: أنها منهج قرآني استخدمه القرآن في فواتح بعض السور، لكن الفقهاء يرون أن هذه الفواتح هي أمور توقيفية لا مجال للعقل للكشف عنها. ثانيا: إنها منهج غنوصي حروفي يتصل بالفيثاغورية الحديثة وما دخلها من خصوصيات تجعل لكل حرف مزايا وصفات، ودلالة على عالم من عوالم الآفاق والأنفس يتعلق أيضا بفواتح السور التي اهتم بها الفقهاء والصوفية فلعل السراج الطوسي وهو أول وأقدم من كتب عن تاريخ التصوف، يفتح لنا ما استغلق فهمه على الفقهاء حيث يقول: "إن جميع ما أركته العلوم وألحقته الافهوم، ما عبر عنه وما أشير إليه، مستنبط من حرفين من أول كتاب الله وهو قوله: "بسم الله، والحمد لله" لأن معناه بالله ولله ويعطينا تفسيرا صوفيا نجده عند الشبلي عندما سأله عن معنى الإشارة في الباء من "بسم الله" فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء لموبه فتيت، وبتجلية حسنت، وباستنارة قبحته وسمحت لأن في اسمه الله وفي اسمه الرحمان، كحبته ومودته، وفي اسمه الرحيم عونه ونصرته[2].

الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد:

[1] – نفسه، ص188.

[2] – د. محمد جلال شرف ، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، نفس المصدر السابق ، ص189

سيد هذه الطائفة وإمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له: القواريري كان فقيها على مذهب أبي ثور وكان بفتي في حلته بحضرته وهو ابن عشرين سنة صحب خاله السري والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب[1].

مات سنة سبع وتسعين ومائتين 297ه

سمعت محمد بن الحسين: رحمه الله، يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت الفراغاني يقول: سمعت الجنيد وقد سئل: من العارف؟

قال: من نطق عن سرك وأنت ساكت.

سمعت أبا عبد الرحمان السلمي، رحمه الله، يقول، سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أن محمد الجريري يقول: سمعت الجنيد يقول: ما آخذنا التصوف عن القيل والقال، لكنعن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات.

سمعت أبا علي الروذباري يقول سمعت الجنيد يقول لرجل: ذكر المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله: يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل[2].

فقال الجنيد: إن هذا القول قوم تكلموا بأقساط الأعمال وهو عندي عظيمة والذي سرف ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا فان العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم انقص من عمال البر ذرة إلا أن تحال بي دونها.

وقال الجنيد: إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك ولا خرفا فافعل.

وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من افتتن أثر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال أيضا: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة؟ كان ما فاته أكبر مما ناله.

وقال الجنيد: من لم يحفظ القرآن، و لم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ويقول: أن مذهبنا هذا: مقيد بالكتاب والسنة.

---

[1] - د. محمد جلال شرف ، نفس المصدر السابق ، ص191.

[2] - د. محمد جلال شرف ، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، نفس المصدر السابق ،ص192.

وقال الجنيد: علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أنبأنا محمد بن الحسن رحمه الله قال: سمعت أبا الحسين بن فارس يقول: سمعت أبا الحسين على ابن ابراهيم لحداد يقول: حضرت مجلس القاضي أبي العباس بن شريح، فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما رأى اعجابي قال: أتدري من أين هذا؟ قلت: يقول به القاضي فقال: هذا ببركة مجالسة أبي القاسم الجنيد. وقيل: للجنيد من أين استفدت هذا العلم؟

فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة وأومأ إلى درجة في داره.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله يحكي ذلك وسمعته يقول: رئة في يده سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟

فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه.

سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله يقول:

كان الجنيد يدخل كل يوم حانوته، ويسبل الشر ويصلي أربعمائة وكعة ثم يعود إلى بيته وقال أبو بكر العطوى:

كنت عند الجنيد حتى مات فرأيته ختم القرآن... تم ابتدأ من البقرة.. وقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله.

أبو القاسم جنيد: توفي أبو القاسم جنيد سنة 297ه حيث قال عنه السبكي "هو سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة و شيخ طريقة التصوف." وحكى عن نفسه عندما كان صبيا: كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون من الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ قلت أن لا تعصي الله بنعمه، فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك، قال الجنيد: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها لي السري لي، وحكايته عن نفسه هذه تدل على منزلته في التصوف.

الجنيد هو أول من نادى صراحة بالتمسك بالكتاب والسنة واتباع الشريعة في ميدان التصوف فهو القائل: "الطريق إلى الله مسدود على خلق الله الا على المقتضين أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لسنته، كما قال الله: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"[1]

أبو عبد الرحمان السلمي:

ولادته: قد ولد بخراسان في جمادى الأخرة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة ثلاثين وثلاثمائة، وكان والده ورعا زاهدا صوفيا وكانت والدته سيدة فاضلة صوفية.

نشأته: نشأ أبو عبد الرحمان في رعاية والديه، وحفظ القرآن الكريم وروى الشعار، وتعلم العربية وعنى بالحديث والتصوف.

شيوخه: الدار قطني والسراج والنصراباذي والأبزاري والصبغي وأبو نعيم الأصبهاني وأبو سعيد النخصى والطرائفي وأبو عمرو السلمي.

مؤلفاته: وقد ظل السلمي يؤلف عهدا طويلا في التفسير والحديث والتصوف والطبقات وله الكتب التالية: حقائق التفسير، الأخوة والأخوات الصوفية، آداب التعازي، آداب الصحبة وحسن العشرة، آداب الصوفية، الأربعون في الحديث، والإستشهادات وأمثال القرآن[2].

وفاته: وقد مات أبو عبد الرحمان السلمي في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن في "خانقاه" بناها في نيسابور[3].

الإمام الغزالي:

[1] - د. محمد جلال شرف ، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، نفس المصدر السابق ، ص193.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، تحقيق: د. أحمد الشرياصي، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1419ه- 1998م، ص5- 6.

[3] – النيسابور: يفتح أوله وعامة يسمونه نشاؤور وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء وومنبع العلماء

ولد سنة 540ه- 1058م بمدينة طوس[1] وكان أبوه عفيف القلب وهو إمام صوفي لقب بحجة الإسلام جاء الإمام الغزالي في القرن الخامس الهجري بأرائه من خلال كتابه الأحياء، الذي كان سندا لأهل التصوف متماشيا في القرآن والسنة وداعيا إلى الزهد والتقشف عملا على مذاهب فلسفية، المعتزلة والباطنية وانتهى به الإمر إلى إرساء قواعد نوع من التصوف المعتدل يساير مذهب أهل السنة توفى الإمام الغزالي سنة(505ه- 1111م)[2].

بومدين شعيب:

هو شعيب بن الحسن البصري رحمه الله انصاري ولد في حصن قنطبانية من أعمال اشبيلية في حوالي العقد الثاني من القرن السادس الهجري[3].

منهجه هو منهج التصوف السني قائم على الجمع بين الشريعة و الحقيقة وقد استقى الشيخ أبو مدين أصول ذلك المنهج و أسراره بالحذق أمام الطريقة الصوفية الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد استطاع أبو مدين بمنهجه هذا تطهير حركة التصوف من الدخلاء فيها وتحديد معالمها توفي سنة 594ه، أي سنة 1198 فقيه ومتصوف وشاعر أندلسي، يعد أهم مؤسس للمدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلسي[4].

الإمام الشعراني:

[1] – أنظر معجم البلدان، مج4، طوس: قال بطليموس: طول طوس إحدى وثمانون درجة، وعرضها سبع وثلاثون وهي في الإقليم الرابع وهي مدينة بخرسان.

[2] – صابر طعيمة، دراسات في الفرق الشيعية، الباطنية، الصوفية، الخوارج، ط1، مكتبة المعرف، المملكة العربية السعودية، 1400ه- 1980م، ص: 7.

[3] – صابر طعيمة، دراسات في الفرق الشيعية، الباطنية، الصوفية، الخوارج، المصدر السابق، ص10.

[4] – عبد الوهاب فرحان، أبو مدين شعيب مكانته في التصوف العربي، جامعة الأمير عبد القادر، ص84.

مولده ونشأته: ولد الشعراني في قلقشندة في مصر يوم 27 رمضان سنة 898ه، ثم انتقل إلى ساقية أبي شعرة في قرى المنوفية، وإليها نسبته، فيقال: الشعراني والشعراوي، نشأ يتيم الأبوين إذ مات أبوه وهو طفل صغير ومع ذلك ظهرت عليه علامة النجابة ومخايل الرئاسة فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين وواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها وقد كان يتلو القرآن كله في ركعة واحدة قبل بلوغ سن الرشد[1].

شيوخه: أفاض الشعراني في ذكر شيوخه في كتبه وبين مدى اجلاله لهم خاصة في كتابه الطبقات الكبرى، وذكر بأنهم نحو خمسين شيخا منهم مشايخ العلم، شمس الدين الدواخلي الإمام شهاب الدين المسيري، نور الدين المحلي، ملا علي العجمي، وجمال الدين الصاني، صلاح الدين القسطلاني.

وفاته: توفي في القاهرة في جمادى الأولى سنة 973ه، ودفن بجانب زاويته بين السوريين، وقد قام بالزاوية بعد والده الشيخ عبد الرحمان ثم توفي سنة إحدى عشرة بعد الألف[2].

2- العبارات الصوفية:

الحق، الحقيقة، الإشارة، الصفاء، الخاطر، الحيرة، الدهشة، الطوارق، الطوالع، النفس، الصول، التفريد، التجريد، المناجاة، المسامرة، الذات، الدعوى، الإحتيار، البلاء، اللسان، العقد، السر، المحو، الطمس، الوصل، الفصل، الأصل، الوسايط، العلايق، البادي، الوسم، الرسم، البسط...الخ.

1- **وأما الطوابع:** فأنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بشعاعها، فيطمس سلطان نورها سائر الأنوار، كما أن سلطان الشمس يخفى الكواكب.

2- **وأما الطوارق:** ما يطرق قلوب أهل الحقايق من طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم، ومعناه في اللغة: ما يطرق بالليل، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من كل طارق إلا طارقا يطرق بخير".

3- **وأما الحق:** فهو الله تعالى ذكره، وهو قوله تعالى: "ذلك بأن الله هو الحق".

---

[1] - عبد الوهاب فرحان، أبو مدين شعيب مكانته في التصوف العربي، المصدر السابق، ص85.

[2] – عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، إخ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ص:4، 6، 9.

4- **وأما الحقيقة:** فهو وقوف العبد بدوام الانتصاب بين يدي سيده الذي آمن به، فلو تخلل القلب شك أو ريب في من آمن به اضمحل الإيمان فبطل، وهو قوله النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة: ان لكل حق حقيقته ايمانك[1].

5- **وأما الإشارة:** فما ل يأتي للمتكلم للإبانة عنه بالعبارة لكونه لطيفا في معناه، وإيماء الإشارة أيضا أنها لا تتعلق بالله ولهذا قال الشبلي، رحمه الله، من أومأ إليه فهو كعابد ولأن الايماء لا يصلح إلا إلى الأوثان.

6- **الصفاء:** فالخلوص من أثر الطبع والتعلق بالحقايق ومزايلة المذمومات وقال بعضهم: الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل والميل إليه[2].

7- **الخاطر:** فحركة تظهر في القلب وتطوفه به و لا تلبث بل تزول بخاطر آخر مثله، مقال الجنيد: إن الخاطر الصحيح أول خاطر.

8- **الحيرة:** فبديهية ترد قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم (وتفكرهم) تحجبهم عن (التأمل) الفكرة.

9- **النفس:** فروح سلطة الله على نار القلب ليطفي شررها، وقيل: أنها من العبد على ممر أوقاته المعدودة عليه.

10- **الصول:** فالإستطالة باللسان من المريدين على أبناء جنسهم. (بأحوالهم وهو مذموم).

11- **وأما التفريد:** فأفراد (المفرد) برفع الحدث وأفراد القدم بوجود حقايق الفردانية.

12- **التجريد:** فما تجرد للقلوب من شواهد الأولوهية اذا صفا من كدورة البشرية.

13- **المناجاة:** فمخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار مع الملك الجبار وقيل المسامرة بين حبيبين لا يسمعهما ثالث، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم" لو يعلم المصلي ما يناجي مالتفت".

---

[1] – د. أبي قاسم السمرائي، أربع رسائل في التصوف لأبي قاسم القشيري، مطبعة مجمع العلمي العراقي، ص44.

[2] – د. أبي قاسم السمرائي، المصدر نفسه، ص46.

14- **اللسان:** فمعناه اللسان بحر علم الحقايق وسئل الشبلي عن الفرق بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقال: (لسان العلم ما تأدى إلينا بواسطة ولسان الحقيقة)، ما تأدى إلينا بلا واسطة.

15- **العقد:** فعقد القلب عند الشيء مع الله تعالى: قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود".

16- **المحو:** فذهاب الشيء مع الآثار.

17- **الأصل:** فما يرد إليه الفزع وله تزايده.

18- **الفصل:** ففوت ما ترجوه من محبوبك وقيل: فوت الشيء الموجود من المحبوب.

19- **الوصل:** ادراك الفائت، وقيل لحوق ما فات[1].

20- **الوسايط:** فالأسباب التي بين الحق والخلق وقيل: الأسباب التي بين الله تعالى وبين العبد من أسباب الدنيا والآخرة.

21- **العلايق:** فهي الأسباب التي علقت على العبد فشغله ذلك عن الله عز وجل حتى قطعه.

22- **البادي:** ما يبدو على قلوب العارفين من الأحوال[2].

23- **الطمس:** ذهاب الشيء مع الآثار.

24- **الوسم والرسم:** تنعتان يجريان في البد جريا في الأزل.

25- **البسط والقبض:** فالبسط عبارة عن حالة الرجاء، والقبض عبارة عن حالة خوف.

26- **الفناء:** ففناء المعاصي.

27- **البقاء:** فبقاء الطاعات، ويقال في الفناء أيضا هو فناء رؤية العبد لفلعه بقيام الله تعالى على ذلك[3].

بعض مصطلحات الصوفية:

[1] – د. قاسم السمرائي ، أربع رسائل في التصوف لأبي قاسم القشيري، المصدر سابق، ص 47.

[2] – د. قاسم السمرائي ، المصدر نفسه، ص48.

[3] – د. قاسم السمرائي ، أربع رسائل في التصوف لأبي قاسم القشيري، المصدر سابق، ص 49.

1- **الهاجس:** يعبرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني، وهو لا يخطئ أبدا وقد يسميه سهل: السبب الأول، ونقر الخاطر، فإذا تحقق في النفس سموه ارادة ماذا تردد الثالثة سموه همه، وفي الرابعة سموه عزما، وعن التوجه إلى القلب إذ كان خاطر فعل سموه قصدا، ومع الشروع في العمل سموه نية.

2- **المريد:** هو المتجرد عن ارادته، وقال أبو حامد: هو الذي فتح له باب الأسماء ودخل في جملة المتوصلين إلى الله بالإسم.

3- **المراد:** عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيء الأمور له، فجاوز الرسوم كلها والمقامات م غير مكابرة.

4- **السالك:** هو الذي مشى على المقامات بحاله لا يعلمه فكان العلم له عينا.

5- **السافر:** هو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبر من عدوة الدنيا إلى عدوة القصوى.

6- **السفر:** عبارة عن القلب إذ أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر.

7- **الطريق:** عبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها.

8- **الوقت:** عبارة عن حالك في الزمان الحال لا تعلق له بالماضي ولا بالمستقبل.

9- **الأدب:** يريدون به أدب الشريعة ووقت أدب الخدوم ووقت أدب الحق: وأدب الشريعة الوقف عن الله. أدب الخدمة العناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها. ادب الحق: أن تعرف مالك وماله، والأديب من أهل البساط.

10- **المقام:** عبارة عن استيعام حقوق المراسم على التمام.

11- **الحال:** هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ومن شرطه لأن يزول ويعقبه الملل وأن يبقى ولا يعقبه الملل فمن أعقبه الملل قال دوامه، ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه وقد قبل الحال: تغير الأوصاف على العبد.

12- عن **التحكم:** هو أن يتحدى الولى بما يريده إظهار المرتبته لمن يراه .

13- **الإنزعاج:** وهو أثر المواعظ الذي في قلب المؤمن، وقد يطلق ويراد به التحرك الموجد والأنس.

14- **الشطح:** عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، وهي نادرة أن توجد من المحققين.

15- **العدل والحق المخلوق به:** عبارة عن اول موجود خلقه الله، وهو قوله تعالى: "وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق".

16- **الأفراد:** عبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب.

17- **القطب وهو الغوث:** عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام.

18- **الأوتاد:** عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم من شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

19- **البدلاء:** هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب ابراهيم عليه السلام.[1]

20- **الأمامان** هما شخصان أحدهما عن يمين العرش ونظره في الملكوت والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

21- **الملامتية:** هم الذين لم يظهر على طواهرهم معاني بواطنهم أثر البتة، وهم أعلى الطائفة، وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرجولية.

22- **السكان:** عبارة عن منازل في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وحاوزهما إلا المقام الذي فوق الجلال والجمال فلا صفة لهم ولا نعت.

23- **القبض:** حال الخوف في الوقت، وقيل وارد يرد على القلب يوجب الإشارة إلى عتاب وتأديب، وقيل أخذ وارد الوقت.

[1] – د. فيصل بدر عون، التصوف الاسلامي، الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين الشمس، 1983، ص228، 229.

24- **البسط:** وهو عندنا حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء وقيل هو حال الرجاء، وقيل هو وارد يوجب الإشارة إلى رحمة وأنس.

25- **الهيبة:** هي أثر مشاهدة جلال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال[1].

3- الطرق الصوفية:

تعريف الطريقة:

هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع لمنازل والترقي في المقامات.

الطريق: هوما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب.

وعند إصطلاح أهل الحقيقة: عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخص فيها، فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق[2].

نشأتها وتنوعها:

الطريقة في النظم الاجتماعية هي تجسيد المنهج في المجال الديني على شكل تنظيم هرمي إتباع ذلك المنهج تحت توجيه وإشراف رائد ملهم، يدين له أتباعه بالتعظيم والتبعية الفكرية والروحية ومن أشهرها في الثقافة الإسلامية الطرق الصوفية التي تعد بمثابة مدارس فكرية تجمع بين اتباعها الوارد ومنهج وأساليب تعبدية يصعد عن طريقها المريد على سلم المقامات والأحوال[3].

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري بدأ الصوفية ينتظمون في طوائف وطرق ولكل طريقة نظامها الخاص الذي يلتزم به أفرادها، وكان قوام هذه الطرق جماعة من المريدين يلتفتون حول شيخ مرشد يوجههم و يبصرهم على الوجه الذي يحقق لهم كمال العلم والعمل، ومن أوائل هذه الطرق

---

[1] - د. فيصل بدر عون، التصوف الاسلامي، الطريق والرجال، مرجع سابق، ص 230.

[2] – علي بم محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر،ص119.

[3] – د. منال عبد المنعم جد الله، التصوف في مصر والمغرب، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية-، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاؤه، ص: 123.

"السقطية" نسبة إلى السرى السقطي، الجنيدية، نسبة إلى الجنيدو "النورية" نسبة إلى أبي الحسن النوري[1].

وشهد القرن الخامس الهجري عدة طرق صوفية لا تزال تمتد فروعها إلى يومنا هذا في كل بقاع العالم الإسلامي، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الطريقة "الجيلانية" أو "القادرية" نسبة إلى عبد القادر الجيلاني وكان شعاره "الفقيه من عمل بفقهه"، والطريقة "الرفاعية" التي انتشرت في مصر وشمال افريقيا وكان شعارها "الفناء محبة الله"، والطريقة "الأحمدية" نسبة إلى أحمد البدوي وكان شعارها "التصوف جهاد وعبادة"، والطريقة "البرهامية" نسبة إلى ابراهيم الدسوقي الملقب بعالم الأولياء، والطريقة "الشاذلية" نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي وتعرف طريقته بالمنهج الوسيط والصراط المستقيم.

فالتعدد والاختلاف بين الطرق لا يمس الهدف، وإنما يقتصر على اختلاف الأساليب والمناهج والوسائل التي يتم بها الوصول إلى تحقيق الهدف ويرجع ذلك الإختلاف وتعدد الوسائل في عبادة الله عز وجل من ناحية واختلاف الطباع البشرية من ناحية أخرى، فيجد كل مريد ما يلائم حاجته وطاقته ويناسب وقته ومزاجه ويتفق وبيئته ففي تعدد الطرق وتنوعها واختلافها فائدة للمريد حيث يختار الطريقة التي تناسبه وكلائم طبعه، وبعد الاختيار يكون الالتزام بمنهج الطريقة التي اختارها، وذكر ابن زروق في هذا الشأن أن : "في اختلاف المسالك راحة للسالك"[2].

وقال الله تعالى: " **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** "[3]، فيسر الوصول إليه بسبل شتى وقد وضع عبد الحليم محمود ومحمد زكي ابراهيم، صورة رمزية لتوضيح تعدد الطرق فقال: "أننا لو تصورنا دائرة ذات مركز وكان المركز هو الهدف وغاية والطرق في الحظوظ الداخلية التي تصل ما بين خط الدائرة ونقطة المركز فكيفما كان اتجاه نقطة البداية ولا خلاف في النهاية". وترتيب على اختلاف

[1] – د. منال عبد المنعم جد الله، التصوف في مصر والمغرب ، المصدر السابق، ص124.

[2] – د. منال عبد المنعم جد الله، المصدر سابق، ص125.

[3] – سورة العنكبوت، الآية 69.

المناهج و الأساليب تختلف الأذكار والأوراد والأحزاب التي يرددها المريدون سواء في مجلسهم أو فيما بينهم وبين أنفسهم، وقد شبه التفتزاني الطرق بالمدارس التي تتحد في غايتها من حيث التعليم الروحي وتختلف في وسائلها العملية بالإختلاف المعلم والمربي الذي يجتهد في وضع اساليب وسبل خاصة بما يتناسب وخبرتها العملية ونظرته الشخصية لما هو أفعل وأجدى لتلاميذه ومن هذا التشبيه يتضح لنا أن الأسس والقواعد الرئيسية واحد لدى مختلف المعلمين في العام الدراسي الواحد، كذلك لدى مختلف المشايخ والمريدين في المرحلة الواحدة، فالإختلاف لا يكون إلا في المجال المصرح أو المسموح فيه بإجتهاد، وهو مجال الوسائل والأساليب المستخدمة لتحقيق الهدف المرجو كالأوراد والأحزاب والأذكار والقول الشائع لدى الصوفية في هذا الشأن: "ان الطريق إلى الله بعدد أنفاس البشر"، فالصوفية وهبوا أنفسهم هادين إلى الله مرشدين الناس إلى أقوم السبل وأيسرها في التقرب إليه.

كل بما يناسبه ويصلح له وذلك تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من أمرهم بالإنفاق ومنهم من أمرهم بالإمساك ومنهم من أمرهم بالكسب ومنهم من أمرهم بترك الكسب كأصحاب الصفة، فكان منهم، فأما في مرتبة الدعوة فكان يعمم الدعوة[1].

وفي ضوء ما ذكر عن الطرق يمكن القول أن كل طريقته عبارة عن مجموعة من أفراد من الصوفية يتبعون شيخ الطريقة، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية يتخللها اجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون مجال للذكر والعلم بصورة منتظمة في الزوايا والربط، فالطرق مدارس أخلاقية لتهذيب النفوس وترويضها عمليا على المجاهدة وطاعة الله وتقواه و البلوغ بها إلى أقصى درجات المعرفة بغية الوصول إلى الله سبحانه وتعالى[2].

[1] – د. منال عبد المنعم جد الله، التصوف في مصر والمغرب ، المصدر السابق، ص125.

[2] – أبو وفا التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، كلية الأدب، بجامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع. ص 236، 237.

2- **أبرز الطرق في القرنين السادس والسابع:** من كبار شيوخ الطرق المتأخرة، الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس "الطريقة القادرية" ولد في جيلان سنة 470ه ورحل إلى بغداد سنة 478ه، ودرس فقه الحنابلة، وسلك طريق الصوفية، وانشغل بالوعظ في بغداد سنة 521ه، وحاز شهرة كبيرة وكان يرتدي زي العلماء، وقد نشر تلاميذه طريقتهم في بلدان إسلامية عدة كاليمن وسوريا ومصر، وانتشرت فيما بعد في الهند وفي تركيا، وإفريقيا وأصبحت من الطرق الكبرى، وقد ذكر ترمنجهام أن عبد القادر الجيلاني ظل بطريقة فذة ملهما للملاييم حتى يومنا هذا، وقد توفي الجيلاني سنة 561ه، ودفن ببغداد، ولا تزال طريقته موجودة في مصر والسودان وفي كثير من بلدان آسيا وإفريقيا[1].

ويشبه عبد القادر الجيلاني الغزالي من حيث أنه كان فقيها عالما بالأصول والفروع، يربط التصوف بالكتاب والسنة، ولهذا امتدحه ابن تيمية. وينسب للجيلاني قوله: "... مادمت تراعي نفسك فأنت محجوب عن ربك"..، وقوله: "علامة حب الآخرة الزهد في الدنيا، وعلامة حبه تعالى الزهد فيما سواه."

وهو يرى كالغزالي خطأ الحلاج فيقول: "عثر الحسين الحلاج فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده".

وقد وصف الشيخ علي بن الهيتي طريقته في التصوف فقال: "وكانت طريقته تجريد التوحيد مع الحضور في موقف العبودية، وذكر عدى بن مسافر عن خصائص أيضا ما نصه: "طريقته الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب والروح واتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس"، ومثل هذه الأقوال يشير إلى أن منهج القادر بين خلقى في أساسه[2].

وهناك معاصر آخر لعبد القادر الجيلاني من كبار شيوخ العراق، وأعنى به الشيخ أحمد الرفاعي مؤسس "الطريقة الرفاعية" وهو منسوب إلى بني رتاعة، وهم قبيلة منالعرب، وسكن أم عبيدة بأرض البطائح، وبها مات سنة 578ه، والتف حوله طائفة من الريدين عرفوا بالرفاعية أو البطائحية

[1] - نفسه، المصدر نفسه، ص239.

[2] - أبو وفا التفتزاني، مرجع سابق، ص240، 241.

وانتشرت طريقته كالطريقة القادرية على نطاق واسع، ولا تزال منتشرة إلى حد الآن في مصر وبلدان اسلامية أخرى.

وقد أدخلها إلى مصر تلميذه أبو الفتح الواسطى الذي أقام بالإسكندرية وتوفى ودفن بها سنة 580ه.

وقد وصف ابن خلكان الرفاعي بقوله: "كان رجلا صالحا ففيها شافعي الذهب"، وأشار الشعراني إلى مترلته في التصوف قائلا: "انتهت إليه الرياسة في عاوم الطريق، وشرح أحوال القوم. وكشف مشكلات منازلاهم، وتخرج بصحبته جماعة كبيرة وتتلمذ له خلائق لا يصحون".

وله كلام كثير في التصوف أورده الشعراني، فمن أقواله في الزهد: "الزهد اساس الأحوال لمرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، المنقطعين إلى الله. والمراضين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده".

ومن أقواله في المعرفة: "المشاهدة حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين، وحقائق اليقين". وكان يقول: "لسان المحبة يدعو إلى الذوبان والهيمان، ولسان المعرفة إلى الفناء والمحو"[1].

ويذكر له ابن كلخان أبياتا في الحب الإلهي يقول فيها:

إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم	أنوح كما ناح الحمام الطوف
وفوقي سحاب يمطر الهلم والأسى	وتحني بحار بالأسى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها	تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة	ولا هو ممنون عليه فيطلق

وثمة طريقة اخرى من طرق القرنين السادس والسابع وهي "الطريقة السهرودية"، التي ترجع إلى أبي النجيب السهرودي، وابن أخيه شهاب الدين أبو حفص عمر السهرودي البغدادي، وهذا الأخير هو مؤلف الكتاب "عوارف المعارف" وهو كتاب يتضمن آداب هذه الطريقة، وهو يعتبر مؤسسها الحقيقي، ويعتبر معلما عظيما إمتد أثر تعاليمه ليس فقد إلى تلاميذه وإنما كل شيوخ التصوف في عصره وكان السهرودي البغدادي سنيا في اتجاهه، وتأثر به سعدي شيرازي من الفرس.وقد عنى

[1] - أبو وفا التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، المصدر السابق، ص242.

السهرودي في كتابه بالكلام عن الرياضيات العملية، كحياة الربط والخلوة، والسماع، إلى جانب عنايته بالبحث في المقامات والأحوال والمعرفة وغير ذلك [1].

وفي القرن السابع الهجري نشطت حركة الطرق في العالم الإسلامي نشاطا ظاهرا في المشرق والمغرب على السواء. وفي المغرب ظهرت "الطريقة الشاذلية وانتقلت منه إلى مصر، ومن مصر إلى أقطار اسلامية عدة.

والطريقة الشاذلية هي المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو صوفي بارز سقى الاتجاه، وأصله من شاذلة بتونس[2] ووقد إلى مصر ومعه جملة من تلاميذه ومريديه، واستوطنوا مدينة الاسكندرية، وكان ذلك حوالي سنة 642ه، ثم كونوا مدرسة صوفية مشهورة بها أو كلن أبرز من وفد مع الشاذلي إلى مصر من تلاميذه الشيخ أبو العباس المرسي، وهو الذي خلقه في قيادة أتباع الطريقة في حياته وبعد مماته وظل قائما عليها حتى توفي بالإسكندرية سنة 686ه فخلفه عليها أبرز من تلقى دعوته في تلاميذه المصريين، ونعني به ابن عطاء الله السكندري وكان تصوف الشاذلي والمرسى وابن عطاء الله، وهم أركان المدرسة الشاذلية مبتعدا عن تيار مدرسة ابن عربي ومذهبها في وحدة الوجود فلم يكن واحد منهم قائلا بهذا المذهب وعلى قدر بعدهم من ابن العربي نجد قربهم من التصوف الغزالي التقيد بالكتاب والسنة، وتأثرهم به لم يترك الشاذلي مصنفات في التصوف ولا تلميذه أبو العباس المرسي، وكل ما خلفاه جملة أقوال في التصوف وبعض الأدعية والأحزاب.

وقد كان للطريقة الشاذلية أثر كبير في العالم الإسلامي، فانتشرت في كل اتجاه ووصلت إلى الأندلس، وأبرز ممثليها هناك في القرن الثاني ابن عباد الرندي المتوفي سنة 890ه، شارح الحكم العطائية ووصلت شرقا إلى الملايو.

---

[1] – أبو وفا التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، المصدر السابق، ص243.

[2] – أنظر معجم البلدان، مج2، تونس: بضم ثم السكون، والنون تضم وتفتح وتكسر: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم وكان إسم تونس في القديم ترشيس.

ومن الطرق الصوفية المصرية المعاصرة الشاذلية الطريقة الأحمدية التي أسسها السيد أحمد البدوي(596ه- 675ه)، الذي ارتحل من المغرب إلى مكة ثم منها إلى مصر وأقام بها منذ حوالي سنة 634ه وأقام في طنطا حاليا يدعو الناس إلى طريق الله وكما توفي خلفه على قيادة الطريقة تلميذه عبد العال الأنصري المتوفي سنة 733ه.

وطريقة السيد أحمد البدوي ملتزمة بالكتاب والسنة، فقد قال عن ذلك: وطريقتنا هذه في التصوف مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى وحفظ العهود.

وثمة طريقة أخرى مصرية معاصرة للأحمدية، وحظيت أيضا في مصر بانتشار واسع هي الطريقة "البرهامية" التي أسسها الشيخ ابراهيم الدسوقي القرشي المتوفي سنة 676ه، ودفن بدسوق وهو مصري الأصل والمولد، وقد ترجم له الشعراني في طبقاته ترجمة مطولة، وانتشرت طريقته في مصر، وفي خارجها في سوريا والحجاز واليمن وحضر موت.

وكان الدسوقي أيضا كسباقيه يؤكد على ضرورة الإلتزام في التصوف أداب الشريعة وفي ذلك يقول : "الشريعة صل والحقيقة فرع، فالشريعة جامعة لكل علم مشرع، والحقيقة جامعة لكل علم خفي، وجميع المقامات المندرجة فيهما.

والظاهر أنه كان من أصحاب الفناء عن شهود السوى يدللنا على ذلك قوله توبة الخواص محو لكل ما سوى الله تعالى[1].

واستمرت الطرق في الظهور والانتشار في العالم الاسلامي ابان القرون التالية ففي القرن الثامن ظهر "التقشدية" لمؤسسها تقشييد البخاري (717ه- 791ه) وقد انتشرت في بلدان اسلامية عدة "والطريقة الخلوتية" وهي طريقة فارسية في سندها، ونشرها في مصر مصطفى كمل الدين البكري المتوفى سنة 1162 ويرد في اسنادها أبي النجيب السهرودي مؤسس السهرودية، وهي منتشرة في مصر وانتشرت كذلك في تركيا "الطريقة البكستاشيتة" التي أسسها حاج بكتاش لمتوفي سنة 738ه[2].

[1] – أبو وفا التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، المصدر السابق، ص244.

[2] – أبو وفا التفتزاني، المصدر سابق، ص245.

وما توصلنا إليه من خلال هذا الفصل هو أن التصوف تيقظ فكري يوجه النفس الصادقة إلى أن تبذل الجهد وتحث الخطأ لتصل إلى وصيد الألوهية وتنعم بسعادة المشاهدة والقرب تلك هي الفكرة الأساسية التي قدمها لنا المدخل العام لهذا الموضوع.

الفصل الأول:

دراسة المصادر

المشرقية أصلا

والمغربية وصولا

ولقد ورد في الكتب الصوفية حكايات وأراء كثيرة لاتعد ولا تحصى منها أفكار مؤيدة للتصوف وأخرى معارضة له ومن هنا لا بد من الإشارة أيضا بأن التصوف عند المشارقة أمثال: ابن عربي، والسهرودي، والطوسي، والكلاباذي، والقشيري، ابن تيمية كان ذو أهمية كبيرة ويلخصون في كتبهم ليكتبوا عن التصوف ومدى تأثيره في حياتهم اليومية والإستشهاد وبهؤلاء العلماء دلالة على أن التصوف كان له حضوره المهم في تاريخ الأمة الإسلامية.

المبحث الأول: المصادر المشرقية

1- جاء في كتاب فصل في الملل والأهواء والنحل لإبن الحزم

الكلام في البقاء والفنا:

قال أبو محمد: وهذا قول في غاية الفساد لأن القضية الثانية تنقض الأولى والأولى تنقض الثانية لأنه إذا قال: "ليست هي هو"[1]، فقد أوجب أنها غيره، وإذا قال ليست غيره فقد أوجب أنه هو، وهذا تناقض ظاهر، وأيضا فإنه لا فرق بين قول القائل: ليس هو هو ولا غيره وبين قوله: هو هو ، وهو غيره، والمعنى في كلتا القضيتين سواء، وأيضا فلو كان البقاء ليس هو الباقي، ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني، ولا هو غيره، والباقي هو الفاني نفسه، و الباقي ليس هو الباقي ولا هو غيره وهذا يزيد من الجنون ومن التناقض، وذهب معمر إلى أن الفناء صفة قائمة بغير الفاني.

قال أبو محمد: وهذا تخليط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليل أصلا، وما كان هكذا فهو باطل، والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي أن البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتا قائما مدة زمان ما فإذا هو قائم كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه، قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه وأما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئا أصلا والفناء المذكور ليس موجود في شيء البتة من الجواهر وإنما هو عدم العرض فقط كغمرة الخجل إذا ذهبت، عبر عن المعنى المراد بالإخبار عن ذهابها بلفظة الفناء، وكالغضب يفنى ويعقبه رضى وما أشبه ذلك، ولو شاء الله أن يعدم الجواهر لقدر عن ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الآن ولا جاء به نص فنقف عنده فالفناء عدم كما قلنا[2].

---

[1] – الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، دار الجيل، بيروت، ط2، 1416ه- 1996م، ص152.

[2] – مصدر نفسه، ص153.

2- جاء في كتاب فتاوى لإبن تيمية في جزء العاشر كتاب علم سلوك، حيث قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية قدس الله روحه:

إن كلمات مختصرات في أعمال القلوب التي قد تسمى "المقامات والأحوال": وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين فهذه المقامات ينقسم الناس فيها إلى خصوص وعموم فللخاصة خاصها وللعامة عامها، مثال ذلك أن هؤلاء قالوا: "إن التوكل مناضلة عن نفس في طلب القوت و الخاص لا يناضل عن نفسه، وقالوا: المؤكل يطلب بتوكله أمراض الأمور والعارف يشهد الأمور بفروعها منها فلا يطلب شيئا" فيقال: أما الأول فإن التوكل أعم من التوكل في مصالح الدنيا فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وإرادته وهذا أهم الأمور إليه ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: "**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** " كما في قوله تعالى: "فاعبده وتوكل عليه"، وقوله: "عليه توكلت وإليه أنيب" وقوله: "قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت و إليه مناب"، فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع، لأن هذين يجمعان الدين كله، فلهذا قال من قال من السلف إن الله جمع كتب مترلة في القرآن وجمع علم القرآن[1]، في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: " **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** " وهاتان الكلمتان هما جامعتان اللتان للرب والعبد كما في حديث الذي في صحيح المسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: الرحمان الرحيم، يقول الله: أثنى علي عبدي، يقول العبد، مالك يوم الدين، يقول الله: مجدني عبدي، يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الظالين، يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما

[1] – تقي الدين أبو العباس، أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جزء علم السلوك، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416ه/ 1995م، ص5- 6.

سأل"، فالرب سبحانه وتعالى له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فإياك نعبد للرب وإياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ أتدري ما حق الل على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم[1]، قال: حقهم عليه ألا يعذبهم"، والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمر الله و... ورضاه كما قال تعالى: "وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون" وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب وهي اسم يجمع كمال الحب لله.

وقد روى الطبراني في كتاب الدعاء: "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: يا ابن آدم إنما هي أربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقي، فأما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئا وأما التي هي لك فعملك أجازيك به أحوج ما تكون إليه و أما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الإجابة وأما التي بينك وبين خلقي فأت الناس ما تحب أن يأتوا إليك"، وكون هذا لله وهذا للعبد هو باعتبار تعلق المحبة والرضا ابتداءا فإن العبد إبتداء يحب ويزيد ما يراه ملائما له والوسيلة تبعا لذلك وإلا فكل مأمور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك يحبه الله ويرضاه وعلى هذا فالذي يظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الأمور الدينية أعظم[2].

3- إحياء علوم الدين تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (450- 505ه) ومعه المغني محمد حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء منه الأخيار للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي (725- 806ه):

- **ترجمة الإمام أبي حامد الغزالي: (450- 505ه، 1057- 1111م):**

[1] - تقي الدين أبو العباس، أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ص18- 19.

[2] - المصدر نفسه،ص20.

هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف متصوف، مولده ووفاته في الطبران (قصبة طوس بخرسان[1])، نسبة إلى صناعة الغزل أو إلى غزالة من قرى طوس، قرأ الفقه في بلده ولازم إمام الحرمين فجد واجتهم، قرأ الفلسفة والحكمة وتمكن من ذلك، كان شديد الذكاء والفطنة، أشهر كتبه "إحياء علوم الدين" الذي يعتبر من أعظم التصانيف التي صنفت في معرفة قواعد الأحكام، وجمع فيه دقائق الأسرار له الكثير من المصنفات نذكر منها: تهافت الفلاسفة، الوقف والإبتداء وهو في التفسير...

توفي رحمه الله سنة 505ه في بلدته طوس رحمه الله رحمة واسعة.

- **ترجمة العلامة الحافظ العراقي (725- 806ه، 1325- 1404م):**

هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان، أبو الفضل، زين الدين المعروف بالحافظ العراقي، من كبار حفاظ الحديث.

أصله من الكرد ومولده في رازنان (من أعمال إربل)، تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها.

كان صالحا ومتواضعا، وشرع في إملاء الحديث، وشرحها له العديد من المؤلفات نذكر منها: الألفية، فتح المغيث، التحرير، طرح التثريب في رح التقريب، توفي رحمه الله سنة 806ه في القاهرة -رحمه الله رحمة واسعة-[2].

- **كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق:**

فضيلة الألفة والأخوة:

[1] - أنظر معجم البلدان، مج2، خرسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزادوار قطبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي، الهند طخارستان وغزنة، وسجستان وكرمان

[2] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، ومعه المغني عهد حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء منه الأخيار للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي ، دار ابن حزم، ط1، 2005م- 1426ه، بيروت، لبنان، ص- ص: 5-6.

أعلم: أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة.

الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته:

الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه[1].

الصفات المشروطة فيمن يختار صحبته:

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كال انسان، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". يجب أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال المطلوبة من الصحبة فوائد دينية ودنيوية[2].

آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق:

أولا ملاقات الصديق والعدو بوجه الرضا من غير ذلهم ولا هيبة منهم، ويجب مخالطة من هو من جنسه وكل مخالط ففي مخالطته أدب[3].

حقوق الوالدين والولد:

حق القرابة والرحم فأخص الأرحام أو مسها الولادة، فيتضاعف تأكد الحق فيها، قال صلى الله عليه وسلم: "بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله"[4]، ويستحب الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته.

---

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص611.

[2] –المصدر نفسه، ص626

[3] – نفسه، ص650

[4] – حديث نبوي، أخرجه أبو داود الترميذي.

- **كتاب آداب العزلة:**

هنالك اختلاف كثير في العزلة والمخالطة أكثر العباد والزهاد مالوا إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة، ومالوا الأكثرون إلى الخلوة ويحصل ذلك برسم بابين: الباب الأول: نقل المذاهب والحجج، فوائد العزلة وباب اختاروا العزلة وهنالك من اختار المخالطة، فالأولى لها حجتها وأن للعزلة حجتها فوائد: للعبادة والإستئناس بمناجاة الله تعالى، والتخلص عن لمعاصي التي يتعرض لها الإنسان التي يتعرض لها بسبب المخالطة، وللخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس، وللخلاص من شر الناس وأن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ومقاسات حمقهم وأخلاقهم[1].

أما آفات العزلة اعلم: أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما سيقتاد بالإستعانة بالغير ولا يحصل هذا إلا بالمخالطة، وهي سبع فوائد: التعليم والتعلم، النفع والإنتفاع، التأديب والتأدب، الإستئناس والإيناس، في نيل الثواب وإنالته، من المخالطة التواضع من أفضل المقامات، التجارب[2].

- **كتاب آداب السماع والوجد:**

وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات فيها خلاف للعلماء من أنهما من المحظورات أو المباحات يتوضح في بابين:

1- **الباب الأول:** في إباحة السماع.

2- **الباب الثاني:** في آداب السمع وآثاره في القلب بالوجد في الجوارح بالرفض والزعق وتمزيق الثياب[3].

الباب الأول: اختلاف العلماء في إباحة السماع:

بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه:

---

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 651.

[2] – إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ص686- 687.

[3] – المصدر نفسه، ص688.

السماع هو أول، هو حالة في القلب تسمى الوجد وهي حركتين: الأولى غير موزونة فتسمى الإضطراب، والثانية موزونة فتسمى التصفيق والرقص[1].

بيان دليل على إباحة السماع:

من قول القائل: السماع حرام، الله تعالى يعاقب عليه وذلك بمعرفة الشرعيات المحصورة في النص أو القياس على النصوص، أما السماع للصوت الطيب، فهو حلال بالنص والقياس.

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها:

احتجوا بقوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ** "[2]، معنى اللهو: هو الغناء معرض الإستهزاء بالمسلمين ولإسلامهم، وأن الغناء ينبت في القلب النفاق، وأنه رائد من رواد الفجور، أما القياس: بأنه يقاس على الأوتار فهو لهو ولعب[3].

آثار السماع وآدابه:

ثلاث مقامات:

مقام01: في الفهم: باختلاف أحوال المستمع، المقام02: بعد الفهم والتزيل، الوجد/ المقام03: ذكر آداب السماع ظاهرا أو باطنا[4].

- **كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة:**

عنوان آداب البواطن ثمرات الخواطر، والأعمال نتيجة الأخلاق لإقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين:

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن[5]:

---

[1] - نفسه، ص700- 701.

[2] - سورة لقمان، الآية06.

[3] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص702- 703.

[4] - المصدر نفسه، ص 705- 738 - 759.

[5] - نفسه، ص741- 760.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الابتهال، دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول صلى الله عليه وسلم في دعائه: "اللهم حسن خَلقي وخُلُقي" فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن وهو المقصود الأول بالتأديب والتهذيب في القرآن وأدب الخلق به ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى: **"وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "** [1].

بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء وإلتقطها من الأخيار:

فقال: كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وأسخى الناس، وأشد الناس حياء، ويجيب دعوة العبد والحر[2].

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه:

لا يشتم أحدا من المؤمنين ولا يلعن إمرأة قط ولا خادما، وما ضرب بيده أحدا قط إلا في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء، وما خير بين أمرين قط، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح[3].

بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم:

كان- صلى الله عليه وسلم- أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما بين كلامه تتوقف يحفظه سامعه ويعيه، كان جهير الصوت أحسن الناس نغمة، لا يقول المنكر ويعظ بالجد والنصيحة.

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:

كان —صلى الله عليه وسلم- يأكل ما وجد، وكان أحب الطعام إليه ما كان على صفف أي ما كثرت عليه الأيدي، يأكل مما يليه، بأصابعه الثلاث، وأكثر طعامه الماء والتمر...

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس:

[1] - القرآن الكريم، سورة القلم، الآية: 04.

[2] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص839

[3] - المصدر نفسه، ص847- 850.

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وأكثر لباسه البياض.

بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع قدرته:

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأرغبهم في العفو مع القدرة.

بيان إغاضته صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه:

كان صلى الله عليه وسلم وقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه[1].

بيان سخاوته وجوده- صلى الله عليه وسلم-:

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا.

بيان شجاعته – صلى الله عليه وسلم-:

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو[2].

بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا وعلو منصبه.

بيان صورته وخلقته صلى الله عليه وسلم:

وكان من صفة رسول – صلى الله عليه وسلم- أنه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد، أما لونه: فقد كان أزهر اللون و لم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض. الأزهر: هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة، أما شعره: فقد كان رجل الشعر حسنه، ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان أحسن الناس وجها وأنورهم –صلى الله عليه وسلم- كان واسع الجبهة أزج الحاجبين،

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 898- 851.

[2] – المصدر نفسه، ص853-858.

كان من أحسن العباد شفتين وألطفهم ختم وكان سهل الخدين، كث اللحية، عريض الصدر واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة[1].

وأما مشيه- صلى الله عليه وسلم- فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب ويمشي الهوبيني بغير تمختر.

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه -صلى الله عليه وسلم-:

لم يكن مكتسب بحيلة تقوم بها القوة البشرية من تأييد سماوي وقوة إلهية بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه، وإنما أوردنا بعض أخلاقه لنعرف محاسن الأخلاق ولبينة لصدقه —عليه الصلاة والسلام- وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله تعالى[2].

- **كتاب رياضة النفس:**

تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب:

فالخلق الحسي هو صفة سيد المرسلين- صلى الله عليه وسلم- وأفضل أعمال الصدقين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوارب العالمين، هي سلوك الشياطين بالأبواب المفتوحة ... الله[3].

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق:

قال —الله تعالى- لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه: **"وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "**[4] وأفضل الخصال عند الإنسان هي: الدين والمال والحياء، وحسن الخلق والسخاء، ومن ساء خلقه عذب نفسه[5].

---

[1] - نفسه، ص863-864.

[2] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 865

[3] - المصدر نفسه، ص: 866 – 869.

[4] - سورة القلم، الآية: 04.

[5] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 867-870.

وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان، وقال الكناني: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف[1].

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق:

الخُلُقُو الخَلق عبارتان مستعملتان معا، يقال: فلان حسن الخُلُق والخَلق أي حسن الباطن والظاهر أي الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ونفس مدرك بالبصيرة[2].

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة:

أحدهما بجود إلهي وكما فطري، والثاني: إكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة[3].

بيان تفضيل الطريق إلى تهذيب الخلاق:

علاج النفس بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة، على مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، أي بالإعتياد والتعليم تكتسب الرذائل أي الإنسان يكتمل بالتربية والتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم.

بيان شواهد النقل ومعالجة أمراض القلب وترك الشهوات:

يجب إلا يفوتنا التصديق والإيمان على أن للإيمان درجة وللعلم درجة، والعلم يحصل بعد الإيمان، فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل و لم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم[4].

- **كتاب ذم الدنيا:**

[1] – المصدر نفسه، ص929.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 930.

[3] –المصدر نفسه، ص933- 934

[4] – نفسه، ص940

إن الدنيا عدوة الله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله، أما عداوتها على الله فإنها قطعت الطيق على عباد الله أما عدواتها لأولياء الله فإنها تزينت لهم بزينتها، وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها.

بيان ذم الدنيا:

أكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة، بل هو مقصود بالأنبياء عليهم والسلام و لم يبعثوا إلا لذلك[1].

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:

الدنيا غدارة خداعة، تزخرفت بغرورها وتفتت بأمانيها فأصبحت كالعروس المجلية، والقلوب إليها عاكفة، والنفوس لها عاشقة، فذمها خالقها جديدها يبلي، وملكها يعني وعزيزها يذل، ودها يموت، وخيرها يفوت[2].

بيان صفة الدنيا:

الدنيا سريعة الفناء قريبة الإنقضاء، تخلف بالوفاء، مرتحلة ارتحالا سريعا ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر، يدرك بالنفس الباطنة أي بالبصيرة.

- **كتاب ذم النحل وذم حب المال:**

من فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة والأكتاف، والأموال أعظم فتنها وأطم محنها فلا سلامة منها، فإن فقد المال حصل منه فقر وإن وجد حصل منه الطغيان.

- **كتاب ذم الكبر والعجب:**

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 943.

[2] – المصدر نفسه، ص 948

مثال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال الله تعالى: " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما فصمته"[1]، فالكبر والعجب "داءان" مهلكان، فهما سقيمان مريضان، وهما عند الله ممقوتان بغيضان فهما من قبائح المرديات[2].

بيان ذم الكبر:

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه، وذم كل جبار متكبر.

بيان ذم الإختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب:

ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له: ابن آدم معجب بشبابه محب لسمائله، كأن القبر قد وارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داوي قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم[3].

بيان حقيقة الكبر وآفته:

ينقسم إلى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح فإذا ظهر في الجوارح يقال: تكبر وإذا لم يظهر، قال: في نفسه كبر، لهذا قال صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بك من نفحة الكبرياء"[4]، وفيه يملك الخواص من الخلق.

بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه:

لقد خلق الإنسان ظلوما جهولا، فتارة يتكبر على الخلق، وتارة يتكبر على الخالق فهو ثلاثة أقسام: التكبر على الله، التكبر على الرسل، التكبر على العباد[5].

بيان مابه التكبر:

[1] – صحيح على شرط مسلم.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1112.

[3] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1112

[4] – حديث تقدم فيه.

[5] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1249.

لا تستعظم نفسه إلا من يعتقد أنه من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني، هو العلم والعمل، والدنيوي: هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب[1].

فالأول: عند العلماء والثاني عند العبد فهو خبيث الدخلة ورديء النفس، والثالث: التكبر بالحسب والنفس، والرابع: التفاخر بالمال، الخامس: التفاخر بالجمال، السادس: الكبر بالقوة وشدة البطش، والسابع: التكبر بالأتباع والأنصار[2].

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهجة له:

الكبر هو خلق باطن، نتيجة ما يظهر من الأخلاق والأفعال لهذا فسمي تكبرا، فمعناه إذا أعجب بنفسه: أي الحقد والحسد[3].

بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر:

التكبر يظهر في شمائل الرجل في وجهه ونظره وإطراقه وجلوسه متربعا أو متكئا، حتى في صوته ونغمته وفي مشيته في قيامه وجلوسه، ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها: التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين ديه، ومنها: أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه، ومنها ألا يزور غيره ومنها: أن يستكشف من جلوس غيره بالقرب منه، ومنها: أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين، ومنها: أن لا يتعاطى بيده شغلا في بيته، ومنها أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته، ومنها: اللياس إذ يظهر به التكبر والتواضع ومنها: أن يتواضع بالاحتمال إذا سب و أوذي وأخذ حقه[4].

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له:

---

[1] – المصدر نفسه، ص1260

[2] – نفسه، ص1261.

[3] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1262.

[4] –المصدر نفسه، ص1263.

إن الكبر من المهلكات، وإزالته فرض عين ويزول بالمعالجة وهي مقامان: إحداهما: استئصال أصله من نسخه، وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني: دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره[1].

بيان ذم العجب وآفاته:

إن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم- فرد على الكفار فقال الله تعالى: " **وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**" [2] .

بيان آفة العجب:

آفات العجب كثيرة فهو يدعوا إلى التكبر فهو يدعوا إلى نسيان الذنوب وإهمالها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق، فهو يعتبر بنفسه، فهو يحمد نفسه ويزكيها ومن أهمها: أنه قد استغنى[3].

بيان علاج العجب:

لعلاج العجب يجب مقابلته بعلته فنقول: الورع والتقوى والعبادة والعلم وكل هذا نعمة من الله، فلا عجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه.

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه:

العجب ثمانية أقسام وهي: 1/ أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته، 2/ البطش والقوة، 3/ العجب بالعقل والكياسة، 4/ العجب بالنسب الشريف، 5/ العجب بنسب السلاطين الظالمة وأعوانهم، 6/ العجب بكثيرة العدد من الأولاد والخدم، 7/ العجب بالمال، 8/ العجب بالرأي الخطأ.

نسأل الله تعالى العصمة من الضلال، ونعوذ به من الإغترار بخيالات الجهل[4].

- **كتاب الصبر والشكر:**

---

[1] – نفسه، ص1266- 1267.

[2] – سورة الكهف، الآية: 104.

[3] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1268- 1269.

[4] –المصدر نفسه، ص1270.

إن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، وهو وصفان من أوصاف الله تعالى وإسمان من أسمائه الحسنى، إذ سمى نفسه صبورا شكورا.

بيان فضيلة الصبر:

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في ... وسبعين موضعا، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له.

بيان حقيقة الصبر معناه:

أن الصبر مقام من مقامات الدين، ومترل من منازل السالكين، تنتظم من ثلاثة أمور، معارف وأحوال وأعمال.

بيان كون الصبر نصف الإيمان:

الإيمان يختص بالتصديقات بأصول الدين، وتارة بالأعمال الصالحة، فالمعارف أبواب وللأعمال أبواب، فالصبر نصف الإيمان وعلى مقتضى اطلاقين: أحدهما: أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا، الثاني: أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف[1].

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف:

له ثلاثة أحوال: أحدها: أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر، الحالة الثانية: أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلبة منازعة، الحالة الثالثة: أن يكون الحرب سجلا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه[2].

مقامات الصبر ثلاثة وهي:

أولها: ترك الشهوة وهذه درجة التائبين.

ثانيها: الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين.

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1267- 1288.

[2] – المصدر نفسه، ص1287-1291.

ثالثها: المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين[1].

بيان الصبر وأن العبد لا يستغني عنه:

فهو نوعين: أحدهما: هو الذي يوافق هواه، والآخر: هو الذي يوافقه ولا يكرهه[2].

بيان في نفس الشكر:

بيان فضيلة الشكر: أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال: **"وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ"**[3].

بيان حد الشكر وحقيقته:

أن الشكر من جملة مقامات السالكين، فالعلم هو الأصل فيورث الحال ويورث العمل، فكان ما قيل في حد الشكر قاصر.

فالأصل الأول: العلم، فالأصل الثاني: أن يفرح به لا من حيث إنه فرس، فالأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم[4].

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:

فعل الشكر وترك الكفر، فهو استعمال نعمة الله تعالى في محابه، فهو مدركان أحدهما: السمع، ومستنده الآيات والأخبار.

والثاني: بصيرة القلب، وهو النظر بعين الإعتبار[5].

بيان أركان الشكر وما عليه:

بيان حقيقة النعمة وأقسامها:

كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة، فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة، نشرحها بتقسيمات: 1/ إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة، 2/ امتزاج خيرها بشرها، 3/ تنقسم إلى: ما

---

[1] – المصدر نفسه، ص: 1292- 1294.

[2] – نفسه، ص1399-1407.

[3] – سورة العنكبوت، الآية: 45.

[4] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1408.

[5] – المصدر نفسه، ص1409.

هو مؤثر لذاته لا لغيره، وإلى مؤثر لغيره، 4/ تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل، 5/ يعبر بها عن كل لذيذ واللذات فهي ثلاثة أنواع: عقلية وبدنية، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات، 6/ الحاوية لمجامع النعم[1].

بيان وجد اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:

أعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة، فهما متضادان: النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، والبلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد، فلهذا يجب أن يجتمع الصبر والشكر.

فللنعمة فضل على البلاء فلما روي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "أنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة"[2].

- **كتاب الخوف والرجاء:**

بيان حقيقة الرجاء:

هو جملة من مقامات السالكين وأحوال الطالبين، فالذي هو غير ثابت يسمى حالا والثابت يسمى الوصف إذا ثبت وأقام[3].

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:

أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العبد إلى الله تعالى وأحبهم له، والحب يغلب الرجاء[4].

بيان حقيقة الخوف:

عبارة عن تأليم القلب وإحتراقه بسبب توقع مكروه في الإستقبال فأشار الواسطي حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد، حال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل، فيرث الخوف احتراق القلب ثم يقبض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات.

---

[1] - نفسه، ص1421- 1422.

[2] –الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1431- 1441.

[3] - المصدر نفسه، ص1442- 1443

[4] - نفسه، ص 1488.

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة:

إن الخوف محمود بل هو سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى، والمحمود هو الإعتدال والوسط فإما القاصر، وإما المفرط، وإما العجز.

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:

إن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والإعتبار، وتارة بالآيات والأخبار فالإعتبار سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، والأخبار: الإقتباس: جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان، وهي مقامات أهل الجنان[1].

- **كتاب الفقر والزهد:**

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:

هو عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا، فليس في الوجود إلا غني واحد وكل عداه فإنهم محتاجون إليه، لأن حاجته لا حصر لها[2].

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به"[3]، فالقانع هو الراضي وعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه[4].

بيان آداب الفقر من فقره:

للفقير آدابا باطنه وظهره ومخالطته وأفعاله فهنالك آداب باطنة: فلا يكون فيها كراهية لما ابتلاه لله تعالى به من الفقر، وأما الآداب الظاهرة: فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر،

---

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1488

[2] – المصدر نفسه، ص1491

[3] – الحديث: رواه مسلم.

[4] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1503- 1509

واما في أعماله فأدبه: أن لا يتواضع لغني لأجل غناه، وأما أدبه في أفعاله: فل يفتر بسبب الفقر عن عبادة[1].

بيان أحوال السائلين:

الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ، فهذا مع الروحانيين في عليين والفقير لا يسأل وإن أعطى أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير لا يسأل عند الحاجة، فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين.

فلقد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة.

فلابد لسالك الطريق للآخرة من معرفة انقسامها واختلاف درجاتها[2].

بيان حقيقة الزهد:

أعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه قال الله تعالى: " **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**"[3]، معناه باعوه ووصف إخوة يوسف عليه السلام بالزهد فيه، إذ طمعوا أن يخلو بهم وجه أبيهم، فإذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة، والزهد هو ترك المباحات فالزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولا إلى الآخرة، لعله بأن... في الآخرة خير وأبقى[4].

بيان فضيلة الزهد:

[1] – المصدر نفسه، ص: 1542.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1552.

[3] – سورة يوسف، الآية 20.

[4] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق،1559.

قال الله تعالى: "فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ "[1] ، وصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وحب الدنيا من المهلكات لذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، فالزهد تكملة للإيمان، فالسخاء ثمرة الزهد: والعناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة.

بيان درجات الزهد وأقسامه: المرغوب عنه، والمرغوب فيه:

الزهد يتفاوت إلى ثلاث درجات: 1/ السفلي: أن يزهد في الدنيا ملتهف إليها ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد بالكسب والإجتهاد، 2/ أن يترك الدنيا طوعا لإستحقاره إياها.

3/ وهي العليا: أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده[2].

إنقسامه:

المرغوب عنه كثرت فيه الأقاويل، يزيد على مائة قول: فله إجمال وتفصيل[3].

المرغوب فيه: ثلاث درجات: 1/ الدرجة السفلى: النجاة من النار، 2/ الدرجة الثانية: أن يزهد في ثواب الله ونعيمه، 3/درجة ثالثة: وهي العليا أن يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه[4].

بيان علامات الزهد:

قد يظن أن تارك المال زاهد، وليس كذلك فينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات: العلامة الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود، العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، فالأولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه العلامة الثانية: أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة[5].

- **كتاب التوحيد والتوكل:**

[1] – سورة القصص، الآية79.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق،1569-1571.

[3] – المصدر نفسه، ص1572

[4] – نفسه، ص1575

[5] – المصدر نفسه، ص1581- 1582- 1583- 1598.

إن التوكل متزل من منازل الدين، ومقام من مقامات الموقنين، من معالي درجات المقربين، فهو شاق من حيث العمل يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع[1].

بيان فضيلة التوكل:

قال الله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**" [2]، وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه، ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبة ومراغبة فقد فاز الفوز العظيم، فإن المحبوب لا يعذب ولا يحجب، لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، والتوكل على الواحد القهار[3].

بيان حقيقة التوحيد هو أصل التوكل:

التوكل من أبواب الإيمان، فالإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم فالتوكل هو التوحيد يترجمه القول: "لا اله إلا الله وحده لاشريك له"، والإيمان فيترجم القول: "له الملك"، وأيضا: "وله الحمد" فللتوحيد أربع مراتب:

المرتبة الأولى من التوحيد: هي القول (لا اله إلا الله)، وقلبه غافل كتوحيد المنافقين، الرتبة الثانية: أن يصدق القول كما يصدقه عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام، الثالثة: مقام المقربين، يراها صادرة عن الواحد القهار، الرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحدا مقام الصديقين، وتسميه الصوفية الغناء التوحيد، مستغرقا فيه[4].

بيان حال التوكل:

التوكل مشتق من الوكالة: يقال: وُكل أمره إلى فلان، ويسمى المكول إليه: وكيلا ويسمى المفوض إليه: متكلا إليه، ومتوكلا عليه مهما اطمأنت إليه نفسه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب

---

[1] -نفسه، ص1583- 1598.

[2] - سورة آل عمران، الآية: 159.

[3] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق 1599.

[4] - المصدر نفسه، ص1601.

على الوكيل وحده، فيه أربعة أمور: منتهى الهداية، ومنتهى القوة، ومنتهى الفصاحة، ومنتهى الشفقة[1].

- **كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا:**

إن المحبة لله من الغاية القصوى من المقامات، والدروة العليا من الدرجات، ثمرة من ثمارها الشوق والأنس والرضا، فقبل المحبة مقدما لها كالتوبة والصبر[2].

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى:

الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض فلابد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطبع من أحب[3].

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

فالأول: أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك، الثاني: أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة، الثالث: أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه، أو يحب غيره لأجل نفسه(حبه ذاته بعدها الإحسان، يحب الشيء لذاته، الحسن والجمال، المناسبة الخفية بين لمحب والمحبوب)[4].

بيان المستحق للمحبة هو الله حده:

فلا محبوب للحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى، ولا مستحق للمحبة سواه.

فالسبب الأول: حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده، وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب، والسبب الثاني: وهو حبه من أحسن إليه، وساه بما له وقمع أعدائه أي أن لا حب إلا لله تعالى والسبب الثالث: وهو حبك المحسن في نفسه وإن لم يصل إليك احسانه، وهو موجود في الطباع[5].

---

[1] – نفسه، ص1602.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ، ص1603

[3] – المصدر نفسه، ص: 1604.

[4] – نفسه، ص1619.

[5] – نفسه، ص1656.

وأما السبب الرابع: وهو حب كل جميل الذات الجمال أي جمال الصورة الظاهرة والصورة الباطنة. وما الخامس: فهو المناسبة والمشاكلة، لأن شبه الشيء منجذب إليه[1].

بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا:

بأن المدركات تنقسم إلى ما يدخل الخيال و إلى ما لا يدخل إلى الخيال، فإذن الخيال أو الإدراك والرؤية هو الإستكمال لإدراك الخيال وهو غاية الكشف فإذا فهمت هذه المتخيلات فاعلم أن المعلومات للخيال درجتان، إحداهما: الأولى والثانية إستكمال لها[2].

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى:

أسعد خلق الله حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه، فكلما ازدادت المحبة إزادت اللذة وأصل الحب لا ينفك عن مؤمن، ويحصل في سببين: الأول: قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب، الثاني: قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها، على القلب[3].

بيان تفاوت الناس في الحب:

المؤمنين مشتركين في أصل الحب لإشتراكهم في أصل المحبة ومتفاوتون في معرفة حب الدنيا. وتتفاوت لأسبابها، ويؤمنون بأسماءه ايمان تسليم وتصديق اشتغلوا بالعمل وتركوا البحث، نضرب تفاوت الحب فنقول: أصحب الشافعي: يشتركون في حب الشافعي –رحمه الله– الفقهاء ومنهم العوام[4].

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى:

الذي ينكر حقيقة المحبة لله تعالى فلابد وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصور الشوق إلا على المحبوب ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى فنقول مثلا: من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه

---

[1] – نفسه، ص1657.

[2] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ،ص1659

[3] – المصدر نفسه، ص1660-1662.

[4] – نفسه، ص: 1664.

فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية والثاني أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته[1].

وأن الأمور الإلاهية لا نهاية لها، فالشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة، وأما الشوق الثاني: فيشبه أن لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة ن خلال صفات الله تعالى وحكمته وأفعاله لآنه لا نهاية له، وقد أوحي إلى بعض الصديقين: إن لي عبادا من عبادي يحبونني وأحبهم، ويشتاقون لي وأشتاق لهم، ويذكروني وأذكرهم من علامتهم: أنهم يحنون إلى غروب الشمس وافترشوا إلي وجوههم بين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد[2].

القول في علامات محبة العبد لله تعالى:

لا ينبغي للإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس بها ادعيت محبة الله تعالى، فالمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح منها: حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في در السلام، أما السبب الثاني الكراهة: فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعيد للقاء الله، ومنها: أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيلزم مشاق العمل، و.... اتباع الهوى، وأن يكون مستهترا بذكر الله تعالى، لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فمن أححب شيءا أكثر بالضرورة من ذكر ما يتعلق به، من علامته: حبه لله تعالى، وحبه للقرآن وحبه لرسول الله –صلى الله عليه وسلم- وحب كل ما ينسب إليه، أن يكون أنسه للخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه على جميع عباد الله رحيما بهم وأن يكون حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم[3].

ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوفيق من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب، ومنها الأنس والرضا...[4]

---

[1] – نفسه،ص1665.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ، ص1666- 1669.

[3] – المصدر نفسه، ص1680.

[4] – نفسه، ص 1684.

وجميعها: محاسن الدين ومكارم الأخلاق وثمرة الحب[1].

بيان معنى الأنس بالله تعالى:

أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة، فمن علامات ضيق الصدر من معاشرة الخلق[2].

بيان فضيلة الرضا:

رضا الله عن عبده فلقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة، ففي الحديث: "إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول: سلوني فيقولون: رضاك"[3] .

الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب، فالأولى هدية من عند الله، والثانية السلام عليهم من ربهم، والثالثة: من النعيم الذي هم فيه[4].

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى:

أولا أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه الملوم ولا يحس، أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به[5].

كلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها:

المحبة اتباع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وقيل: دوام الذكر ايثار المحبوب، كراهية البقاء في الدنيا[6].

---

[1] – نفسه، ص1675- 1676.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ، ص1687

[3] – الحديث: رواه أب يعلي والصحيح.

[4] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ص 1689.

[5] – المصدر نفسه، ص1698- 1699.

[6] – نفسه، ص1706- 1710.

- **كتاب النية والإخلاص والصدق:**

بيان فضيلة النية:

النية هي سبب لتوفيق فقال الله تعالى: **"إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا"** [1]، وصدق النية فيما عند الله تعالى فمن تمت نيته ثم عون الله له وإن نقصت نقص قدره لهذا قال بعض العلماء: اطلب النية للعمل قبل العمل، وما دمت تنوي الخير فأنت بخير[2].

بيان حقيقة النية:

أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد، وهو حالة وصفه للقلب يكتنفها أمران علم، وعمل فالعلم: يقدمه لأنه أصله وشرطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه، فالأول: هو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد، فالثاني: أن يجتمع باعثان كل واحد مستقبل بالإنهاض لو انفرد، والثالث: أن لا يستقبل كل واحد لو انفرد، والرابع: أن يكون أحد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه، والثاني لا يستقل هذاما قاله رسول الله –صلى الله عليه وسلم- "نية المؤمن خير من عمله"[3].

بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية:

انقسمت أقساما كثيرة فهي ثلاثة: 1/ المعاصي: وهي لا تتغير عن موضعها بالنية، 2/ الطاعات: وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها. 3/ المباحات وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن لقربات وهي كثيرة لا يمكن احصاء النيات فيها[4].

---

[1] – سورة النساء، الآية: 35.

[2] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ص 1713.

[3] – المصدر نفسه، ص1727- 1731

[4] – المصدر نفسه، ص: 1733- 1734. - 1740- 1741- 1746- 1748- 1749.

فضيلة الإخلاص:

قوله تعالى: **"إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"** [1] لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص وقال بعض الصوفية، في اخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل ومأواه الإخلاص.

بيان حقيقة الإخلاص:

من صفا عن شويه وخلص عنه سمي خالصاً ويسمى الفعل المصفى المخلص والإخلاص يضاده الإشراك، فالإخلاص محله القلب في القصور والنيات، فإذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه ةزال به اخلاصه، فالإنسان منغمس في شهواته فقيل: من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا.

فضيلة الصدق:

قال الله تعالى: **"رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ "** [2]، وأيضا وصف الله تعالى أنبياءه به فمدحهم وثناهم، فقال ابن العباس: أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر[3].

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه:

الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق[4].

---

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ص 1735- 1738.

[2] – سورة الأحزاب، الآية: 23.

[3] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ، ص1449.

[4] – المصدر نفسه، ص1750.

فالأول: صدق اللسان: أحدها الاحتراز عن المعارض والثاني يراعى معنى الصدق في ألفاظه، فالثاني: في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص، أما الثالث: صدق العزم: عندما يقوم العزم على العمل، أما الرابع: في الوفاء بالعزم، فأن نفسه تسخو بالعزم في الحال و وما يضاد الصدق في غلب الشهوات، فالخامس: في الأعمال وهو أن يجتهم في أعماله الظاهرة وأما السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها، الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور[1].

- **كتاب المراقبة والمحاسبة:**

المراقبة:

إذا أوصف الإنسان نفسه وشرط فيبقى عليه المراقبة، فلنذكر فضيلته تم درجاتها فمراقبة الله في السر والعلانية ومحاسبة نفسك قبل أن تحتسب..[2].

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها:

هي ملاحظة الرقيب فهي حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، فالله مطلع على الضمائر رقيب على الأعمال العباد وعلى كل نفس بما كسبت، وهما درجتين[3].

الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين، وهي مراقبة التعظيم والإجلال.

الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون[4].

فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها:

أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها، وأيضا

---

[1] – الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ، ص1758

[2] – المصدر نفسه، ص1759.

[3] – نفسه، ص 1760- 1761.

[4] – نفسه، ص1766- 1771

المحاسبة مع الشريك يجب أن نحاسب على جميع العمر، يجب محاسبة نفسه وغلا هلكت، ومعاقبة أي طرف البدن ومنعه من الشهوات[1].

المجاهدة:

أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به أما في هذا الزمان قد فقد من يجتهد في لعبادة اجتهاد الأولين، فلهذا يجب أن يعدل من المشاهدة إلى السماع، الإجتهاد في العبادة أولا فتجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في كفاف رقابهم/ إذا مولوا حسنة أبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم لينجوا بالمغفرة[2].

4- جاء في كتاب الفتوحات المكية لشيخ محي الدين ابن لعربي في فصل الأحوال، معرفة مقام الشكر وأسراره

اعلم أن درجات الشكر في الأسرار الإلاهية ألف درجة ومائتان وإحدى وخمسون درجة عند العارفين من أهل الله، وعند الملامية منهم ألف ومائتان وعشرون، و درجاته في الأنوار عند العرفين خمسمائة وإحدى وخمسون درجة، اعلم أيدك الله أن الشكر هو: الثناء على الله بما يكون منه خاصة لصفة هو عليها من حيث ما هو مشكور ومن أسمائه الشكور والشاكر وقد قال: " **لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**"[3] ، فهي صفة تقتضي الزيادة من المشكور للشاكر وهي واجبة بالإتفاق عقلا وشرعا، عند طائفة و شرعا عند طائفة فإن شكر منهم يجب عقلا وشرعا، وما تسمى الله تعالى بشاكر لنا إلا لتزيده من العمل والذي أعطاه أن يشكرنا عليه لتزيده منه كما يزيدنا نعمة إذ شكرناه على نعمة ولآلائه[4]، ولا يصح الشكر إلا على النعم فتفطن لنسبة الشكر إليه تعالى بنية المبالغة في الحق من أعطاه من العمل ماتعين على جميع أعضائه وقواه الظاهرة والباطنية في كل حال

---

[1] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق ، ص1771

[2] – المصدر نفسه، ص: 1772

[3] – سورة ابراهيم، الآية: 7.

[4] - الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1778- 1781.

بما يليق به وفي كل زمان بما يليق به، فيشكره الحق على كل ذلك بالإسم الشكور وهذا من خصوص أهل الله[1].

وفي معرفة مقام الصبر وتفاصيله وأسراره:

اعلم وفقك الله أن الله تعالى يقول: " **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**"[2]، فأخبر أنه يؤذي فتسمى سبحانه على أذى خلقه، فكما سأل عباده رفع الأذى مع استحقاقه اسم الصبور، كذلك لا يرفع اسم الصبر عن العبد إذا حل به بلاء فسأل الله تعالى في رفع ذلك البلاء كما فعل أيوب عليه السلام فقال: "**مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** "[3]، وأثنى الله عليه فقال مع هذا السؤال "**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا** " [4]، فليس الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الله في رفع البلاء ودفعه، وإنما الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى غير الله والركون إلى ذلك الغير وقد أينت لك أن الله طلب عباده، رفع الأذى الذي آذوه به مع قدرته على أن لا يخلق فيهم ما خلق من الأذى فتفطن لسر هذا الصبر فإنه من أحسن الأسرار، وقد ورد أنه لا أحد أصبر على أذى من الله وهو من المقامات التي تنقطع وتزول اذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة وتميز الفريقان تميز الانقطاع أن لا يخلق أحد بغير ... التي هو فيها، والصبر الالهي يزول حكمه بزوال الدني، وهذه بشرى بإزالة اسم المنتقم والشديد العقاب، اذ قد رأينا ازالة الصبور ورحمته سبقت غضبه[5].

وجاء في معرفة مقام المعرفة:

اعلم أن المعرفة نعت إلهي لا عين لها من الأسماء الإلاهية من لفقها وهي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد، والمعرفة عند القوم محجة، فكل علم لا يحصل إلا من عمل وتقوى وسلوك فهو معرفة لأنه

---

[1] – محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1420ه- 1999م، ص304.

[2] - مصدر نفسه، ص: 310- 311.

[3] - سورة الأنبياء الآية : 83.

[4] – سورة ص، الآية : 44.

[5] – محي الدين ابن عربي، الفتوحات الملكية، ص: 310- 311.

عن كشف محقق لا تدخله الشبه، بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه وحيرة فيه والقدح في الأمر الموصل إليه...

واعلم أنه لا يصح العلم لأخذ إلا لمن عرف الأشياء بذاته وكل من عرف شيئا بأمر زائد على ذاته فهو مقلد لذلك الزائد فيما أعطاه، وما في الوجود من علم الأشياء بذاته إلا واحد، وكل ما سوى ذلك الواحد فعلمه بالأشياء وغير الأشياء وغير أشياء التقليد، فإن الإنسان لا يعلم شيئا إلا بقوة ما من قواه التي أعطاه الله وهي الحواس والعقل، فالإنسان لا بد أن يقلد حسه فيما يعطيه من ضرورة أو نظر، والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفسد فيكون علمه بالأمور بالإتفاق فما ثم إلا تقليد[1].

5- رسائل الجنيد (أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة)، تحقيق: الدكتور جمال رجب سيدبي، تصدير: الدكتور عاطف العراقي.

الإمام جنيد: من الأئمة الكبار في تاريخ التصوف الإسلامي وله باعه الطويل في رحلة الوصل والوصال.

ترجمة الجنيد (221- 298ه).

حياته وأساتذته:

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي (نسبة إلى "نهاود" ثم البغدادي القوايري، والده الخزار، هو شيخ الصوفية ولد سنة نيف وعشرين ومائتين.

وكان فقيها تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وصحب السري السقطي (إمام البغداديين وشيخهم ت سنة 251ه) والحارث المحاسبي (البصري الأصل، الزاهد المشهور صاحب التصانيف ت سنة 243ه)، ومحمد بن القصاب البغدادي (أبو جعفر القصاب الصوفي، كان أستاذ الجنيد ت سنة 278ه)، وكان تلميذا أيضا لعروف الكرخي (عاش ببغداد المذكور بالورع والفتوة ت سنة 200ه- 815م) فقيل عنه صوفي متكلم، اشتهر بأنه سيد الطائفة ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخرفة وشيخ طريقة التصوف.

[1] - نفسه، ص: 447- 448.

اختلف الدارسون حول وفاته كما اختلفوا حول ميلاده هنالك من يقول: توفي الجنيد يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، وقيل: سنة سبع وتسعين.

لمحة عن تصوفه:

قدر لإمام الجنيد أن يبدأ اقرانه من العلماء عصره، لهذا قال عنه جعفر الخلدي: لم ترضى شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، وكان من طلاب الحقيقة وطريقته تقوم على الصحو، وتابعه فيها أغلب الصوفية لأنها لا تتصادم مع الشريعة ويجمع بين الظاهر والباطن، وكان مريدوه يلقبونه بالأستاذ وهو مرب الصوفي بالمعنى الصوفي المربي ففتح الله عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره في زمانه[1].

وكان يقول: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، وقال أبو محمد الجريري: سمعت الجنيد يقول: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، بل عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات، وتفسير الجريري آنف الذكر يوضح لنا نهج الجنيد، فالتصوف عنده يمثل المنهج الإسلامي المعتدل المتوازن بل افراط أو تفريط وبلا غلو.

ويربط الجنيدين المحبة وطاعة الله، أن تحب لله تعالى في عباده، وشكره ما يكره الله تعالى في عباده. وكان الجنيد من الذاكرين، يدعو إلى تصفية القلوب، وكان أيضا رحمه الله حاله مطابقا لعلم وعلمه مطابق لحاله.

مؤلفاته:

1- كتاب القصد إلى الله لأبي القاسم الجنيد نفع الله به:

الباب الأول: في القصد إلى الله تعالى وما يستقله ن العقبات:

قال الشيخ الطريقين وإمام الفريقين أهل الحقيقة والطريقة العارف بالله تعالى المجمع على تقديمه على الأكابر القاسم الجنيد رضي الله عنه: اعلموا معاشر القاصدين إللى الله تعالى أن العبد إذا قصد

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، تحقيق: د جمال رجب سيدبي، تصدير: د عاطف العراقي، ط1، دار اقرأ، 1425ه- 2005م، سورية لبنان- بيروت، ص1109.

إلى الله وإلى مواصلته بطيران السر وصفاء النية، وكل عقبة أكود وأطول ألف مرة من العرش إلى الثرى إلى أن يصل إلى مقصوده ومحبوبه[1].

فأول العقبات التي تستقبله هي عقبة الدنيا، وكمال سحرها وأنواع مكرها وغرورها وكثرة شرها وبلائها وسرعة فتائها وتقلبها بأهلها.

فيقول: يا نفس أما هذه الدنيا فانية، والذي لا بد لي منه هو مقسوم لي بقسمة الله لا يزيد ولا ينقص، وهو القادر على أن يغنيني عنك.

فلما جاوز هذه العقبة وقطع عن قلبه حبال التعاليق، إمارة الزهد في الدنيا بعون الله عز وجل، فهي أصعب العقبات بلية وأشدها مشقة وأطولها نهاية[2].

فلما جاوز العبد هذه العقبة، وقطع عن قلبه حبال التعاليق، وصار منفردا بالقصد إلى الله سبحانه وتعالى والإستئناس بربه من ربه تبارك وتعالى، ثم يستعينه سبحانه فيعينه بإعانته وتخلص منها فاستقام له إمارة التقوى بعون الله وتأييده بكل ما فيها من الثواب والعقاب.

فيصبح منفردا للواحد الأحد المنفرد .

الباب الثاني: في ترك الوقوف مع المنازل والمقامات عند القصد إليه:

أن يستحكم له مقام التوبة، نحو صدق الإرادة أجلسه على مركب العبادة لوفاء صدق عبوديته، فعند استحكامه مقام العبادة يكاد قلبه أن يقف عليها إلى الموت فإذا استحكم له مقام الخوف، يكاد قلبه أن يقف عليه إلى الموت واكتفى به وسكن إليه رضي الله تعالى بهذا القدر أتت إلى سره نداء الحق سبحانه وتعالى[3].

فإذا قام هذا العبد على قدمي الصدق والوفاء والصفاء على بساط الصدق والقرب والنجوى، فيهج من سره نار الإشتياق إلى قربه فهي حالة التجلي والمشاهدة.

---

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، مصدر نفسه، ص15-17

[2] – المصدر نفسه، ص 43- 44

[3] –المصدر نفسه، ص 48- 49.

الباب الثالث: في بيان نداء الحق سبحانه وتعالى إلى القاصدين إليه واستماعهم له

أن الله تعالى عبادا اصطفاهم وأصفاهم لنفسه، واختارهم لأنسه، وأكرمهم بقربه، وطيبهم لذكره ومناجاته، مستأنسة به مستقيمة معه لا تلتفت منه إلى الدارين ولا تتصرف عنه بالكونين هيبة إجلاله وتعظيما لحرمته ولها ألسن يجيبون بها بصدق التلبية وحسن التناجي مع غاية الإحتراق إليه[1].

الباب الرابع: في اجابة القاصدين نداء الحق بعد استماعهم له:

في كل ساعة نظرة إلى قلوب الأصفياء وأهل الوداد، ولهم في كل ساعة نظرة إلى الله تعالى بعين الفؤاد، فإلاهي ما أعظمك وأجلك، ما أحلى خدمتك والشغل فيك، فما أحزن قلبك فيه ذكرك.

الباب الخامس: فيما ينبغي للقاصدين من التهيؤ حتى يكونوا للمقصود أهلا:

أن العبد إذا قصد الله تعالى ومواصلته وقربه منه فينبغي له أولا أن يتطهر، فيطهر أولا نفسه في نجاسة الشهوات عن مولاه إلى المكونات فيغسل العبد باء الصدق والصفوة مزينا بلسان الوفاء والصيانة، متقمصا بقميص التقوى والديانة معمما بعمائم الحرمة والاستقامة فعند ذلك يطيب الله قلبه بطيب مسك الهداية فيتزله الله على سرير الإنشغال به فيصير محبوبه عز وجل فيباهي به معهم[2].

الباب السادس: فيما ينبغي للقاصدين من رعاية للنفس والروح والقلب:

بأن النفس شهوانية خسيسة لئيمة سيرانها في ملكوت الفناء، فسبيل النفس إلى مرادها الحرص والرغبة، وأما سبيل الروح إلى مراده الوفاء والحرمة، وأما سبيل القلب إلى مراده فالشوق والمحبة. فكل من أراد أن يكون أهلا لمقصوده والوصول إلى قربه فينبغي له أن يراعي نفسه في مراعى القيام لله تعالى بطاعته على متابعة الكتاب والسنة، من غير أن يغفل عن هيبة اطلاع ربه عليه فلا يعمل بهوى نفسه، هيبة بجلال عظمته قياما باستحقاق الوحدانية وحرمته.

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، المصدر السابق، ص50.

[2] – المصدر نفسه، ص52

الباب السابع: في مشاورة النفس والروح والقلب في أمور القصد إلى الله تعالى:

أن الشيخ مشايخ أهل الحقيقة والطريقة رضي الله عننه وعنهم: قال: أن لما هممت بالقصد إلى الله تعالى، ونويت الإقبال إليه والأنس به إلى الأبد من غير أن ألتفت منه إلى م سواه، ففكرت في هذه الأمور فإذا هي أعظم الأمور قدرا وأكملها شوقا وأعلاها مترلة، فإذا هو في صدق الإنفراد به وترك حظ النفس من الدنيا ثم أجلست النفس والهوى مع جميع أعوانهما عن يساري، وأجلست الروح والعقل عن يميني مع جميع أعوانها وأجلست القلب مع جميع أعوانه من يدي، يختص بها من يشاء من عباده وهو الحكيم العليم[1].

الباب الثامن: في نعت القاصدين إلى الله تعالى وصفتهم وعلامتهم وأعلامه من وما فيه من أشياء بكل الوصف دونها ولكنا نأتي ببعضها:

أن العبد كلما قصد الله تعالى ومواصلة قربه فأول ما يجب عليه أن ينطلق بالسير على مركب المنطلقين إليه مثل: الحجاج حين قصدوا إلى زيارة بيت الله الحرام حين خرجوا من أوطانهم، وتركوا أهاليهم، وخرجوا من أوطان الدنيا وزهدها وودعوا شهوات النفس وراحتها، فهم قد نزعوا أثواب الغفلة من قلوبهم، ويلبون بصحبة الفؤاد، ويصعدون عرفات صدر المراد، منفردين بالملك الشفيق بلا خلق ولا نفس ولا تعاليق، قصدوا لشوقهم إليه لا لعطائه، بقدم الحياء والخشية والحرمة، وملاقاة الحبيب غاية مرادهم[2].

ليس كل حد يحتمل صفة القاصدين ونعتهم، ولا كل قلب يستحق مواصلة الله تعالى وقربه.

كتاب السر في أنفاس الصوفية:

من كلام سلطان الحقيقة وملك الطريقة أبو القاسم الجنيد نور الله ضريحه:

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، المصدر السابق، ص- 53- 61.

[2] – المصدر نفسه، ص62-71.

باب صفة الأنفاس:

قال ابو القاسم الجنيد بن محمد –رحمة الله عليه-: إن الله خلق القلوب وجعل داخلها سره وخلق الأنفاس وجعل مخرجها من داخل القلب بين سر القلب ووضع معرفته في القلب وتوحيده في السر فما من نفس تخرج إلا بإشارة والتوحيد على دلالة المعرفة في بساط الإضطرار إلى الربوبية، فقال: النفس هتف النور وقال: أصل النفس من خمسة من نار ومن نور أو على ظلمة أومن ظلمة أو من نار النور وقال الجنيد: النفس الرحمانية إذا هاج من السر يموت القلب والصدر والنفس، ولا يمر على شيء إلا احتراق ذلك الشيء حتى العرش وقال أيضا: أحسن النفس الندامة وهو أدنى التنفس وهو أكبر من عبادة الكون وقال ابن عطاء: طوبى لمن كان له في عمره نفس واحد[1].

صفة المشهدة:

وقال الجنيد: المشاهدة ثلاثة: مشاهدة الرب، ومشاهدة من الرب ومشاهدة بالموت.

وقال: المشاهدة معانيه السر مع فقدانك وقال أيضا: من لم يعاين صفات الله أجمع دقائقه ولطائفة لم يوحد الله و لم يعرفه فالطريق من داخل المعرفة وقال: إن لله تسعة وتسعين اسما فمن أقر بها فهو المسلم ومن عرفها فهو المؤمن ومن عامل الله بها فهو العرف ومن عامل بها و لم يسكن إليها وطلب المسم فهو الموحد وله المشاهدة وسئل الجنيد: هل عاينت أو شاهدت؟ قال: لو عاينت لتزندقت ولو شاهدت لتحيرت ولكن حيرة في تيه وتيه في حيرة[2].

صفة المحب لحبيبه:

قال الجنيد: محبة المحب كحب الحبيب، وقال: المحبة نهاية المحبة ... الربوبية، كما قال: لأن المحب إذا ذكر حبيبه حرم محبته، كما قال أيضا: المحبة أمانة الله ولكن المحبة الدائمة لا الفرعية.

[1] - رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، مصدر السابق، ص82- 89.

[2] -المصدر نفسه، ص 90- 96.

صفة الغيرة:

قال الجنيد: الغيرة لا توجد إلا في ثلاثة أوقات عند الذكر والغفلة وعند المحبة إذا رأى صاحبه مع علاقة وعند التعظيم.

وقال الشبلي: ست وأي ست أنا صاحب غيرة وأبو العباس بن عطاء صاحب الغيرة والتورى صاحب وفاء والجنيد صاحب حرمة وأبو علي صاحب حفاظة ورويم صاحب أدب والمشقة[1].

صفة الهمة والإرادة:

قال الجنيد: الهمة إشارة الله والإرادة إشارة الملك والخطرة إشارة المعرفة والنية إشارة الشيطان والشهوة إشارة والنفس واللهو إشارة الكفر، وقال: ما عاتب الله صاحب همة وإن عصاه.

وقال الجنيد: من له همة فهو من ديوان البالغين ومن له إرادة فهو في ديوان المريدين ومن له منه فهو في ديوان العاصين شاء أو أبى وقال: الهمة لسان السم ومن ليس له نطق السر ويعجز عن الظاهر لأنه كلام للسر مع الرب من الربوبية فكيف يدخل فيه التحريك فيه كفر[2].

كتاب دواء الأرواح:

لسيد الطائفة أبي القاسم بن محمد الجنيد –رضي الله عنه وأرضاه ونفع الله به آمين-:

الحمد لله الذي أبان بواضح البرهان لأهل المعرفة والإيمان بما أخصهم به في قديم القدم قبل كون القبل حين لا حين ولا حيث ولا كيف ولا أين أن جعلهم أهلا لتوحيده وإفراد تجريده، ولا إلمام شهوة ولا محادثة نظرة ولا معارضة خطرة ولا سبق حق بلفظه. وفرق بين المترلنين في العلو والدنو ولذلك فضلت عقول المؤمنين من العارفين أمناء على وحيه حافظون لسره نافذون لأمره قائلون لحقه، عاملون بطاعته ومسارعون في الخيرات لم يبقى عندهم نصيحة إلا بذلوها، ولا قربة إلا وطئوها سمحت نفوسهم ببذل المهج عند أول حق من حقوقه في طلب الوسيلة إليه[3].

---

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، مصدر السابق، ص98- 100.

[2] –المصدر نفسه، ص101.

[3] – نفسه، ص106.

أدب المفتقر إلى الله:

سئل الشيخ ابو الجنيد عن المفتقر إلى الله عز وجل فقال: أن ترضى عن الله عز وجل في جميع الحالات ولا تسأل أحدا سوى الله تعالى فإن هذا الباب من ابواب الخير[1].

كتاب دواء التفريط:

قال الشيخ أبو الجنيد رحمه الله تعالى: خصك الله لطاعته وهيأك لمرافقته وحملك وأسرع بك إليه ودلك عليه، على علم مراده وجعل أقوالك لديه مرضية وعنده زاكية إنه ولي الأنعام وكافي المصاب[2].

إن لله عبادا صحبوا الدنيا بأبدانهم وفارقوها بعقود ايمانهم، أشرق بهم على اليقين على ما هم إليه صائرون، وإليه راجعون، فهربوا من مطالبة نفوسهم الأمارة بالسوء، والداعية إلى المهالك فأسرعوا إلى حذف كعلائق الشاغلة عن مسابقة الخدم وصدقوا الله في معاملته، وأحسنوا الأدب واغتنموا سلامة الأوقات وسلامة الجوارح، أرواحا تتردد في أجسادها أذابتها الخشية وذللتها الخدمة وجهها القرب وأسكنها الوقار، وحديثها الفكرة، وشعارها الذكر شعلها بالله متصل وعن غير منفصل وداؤوها الصبر وقرينها الرضا.

نفوس قدمت لتأدية الحق ورقيت لنفس الكلام، وكفيت مؤنث ثقل المحسن، فعليه أن يطلب مواضع الخلوة كي لا يعارضه شاغل فيفسد ما يريد اصلاحه، وتأديب نفسه ويستحضر عقله لرؤية مجاري الأحكام وكيف يقلبه التدبير.

وهذه كلها عبادة تلزم الخلق، بالانصراف عن الدنيا وما فيها وخروجها عن قلبه[3].

---

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، مصدر السابق، ص 113- 117- 119.

[2] – المصدر نفسه، ص117.

[3] – نفسه، ص119.

فاحرص يا أخي عن العمل في نجاة نفسك وخلاصها وعتقها من رق مزلة الهوى والإنزعاج والخوف والجد والحذر قبل أوان الوقت ونزول الموت فالآن مادام العذر مقبولا والوقت مبسوطا والعمل ممدودا والتوبة مقبولة والذنب تمحوه الإنابة والندم.

الفرق بين الإخلاص والصدق:

من كلام الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد قدس الله روحه ونور ضيحه في الفرق بين الإخلاص والصدق:

فمنحنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها، وبعد الوفاء منك بما عليك مما ذلك العلم عليه مع حسن القصد إلى الله عز وجل في أول الفعل[1].

فالصدق موجود في حقيقة صفات الإدارة، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة، فالصدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص، لأن الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالين: حال الإعتقاد والنية، وحال الفعل والعمل.

فالصادق موصوف بحسن صفات شاهده منسوب إلى الصدق بدلائل ظاهره مع وجود أوائل الإخلاص في باطنه[2].

ويقال اخلاص المخلص لأنه لا غاية بعد الإخلاص، فالإخلاص يعلو الصدق والصدق دونه.

والصدق على ثلاثة أشياء: صادق بلسانه وصادق في فعله، وصادق بقلبه، فعند وجود هذه الخصال يكون صادقا، فالصدق في التوزيع والتزهد والزهد والتوكل والرضا والمحبة والشوق والتوحيد لأهل الصلاة[3].

ومعنى الإخلاص إفراد النية لله تعالى وحسن القصد إليه بحضور العقل عند موارد الأشياء.

---

[1] – رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، مصدر السابق، ص119.

[2] – المصدر نفسه، ص120- 121.

[3] – نفسه، ص 122- 125.

فالصدق والإخلاص يتفقان عند حال المخلص، وينفرد الصدق بالصادق مع أول وجود الإخلاص والصادق في حقيقة صدقه يتولى بالإخلاص[1].

باب آخر في التوحيد:

إن أول عبادة الله عز وجل معرفته، وأصل معرفة الله وتوحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عند بالكيف والحيث والأين، وكان سبب استدلاله به عليه توفيق فبتوفيقه وقع التوحيد له، ومن توحيده وقع التصديق به ومن التصديق به وقع التحقيق عليه، ومن التحقيق جرت المعرفة به، ومن المعرفة به وقعت الإستجابة له[2].

ومن ذهاب البيان له وقع عليه الحيرة، ومن الحيرة ذهب البيان ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له، وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له.

كتاب الفناء:

كلام الإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد قدس الله روحه:

الويل لي مني أكادني وعنه بي خدعني كان حضوري يسبب فقدي وكانت متعني بمشاهدتي كمال جهدي، فالآن عدمت قواي لفناء سري ثم: وهيئته ثم استربى عني فأنا أضر الأشياء على الويل لي من أكادني وعند بي خدني، لهذا قلنا الحق أفنى ما بدا عليه وإذا استولى كان أولى بالإستعلاء وأحق بالغلبة والقهر[3].

وجودهم بالحق بهم ما بدا عليهم بقل وسلطان غالب لا ما طلبوه فأدركوه فالله يوفقه ويهديه ويشهده ما شاء كيف شاء بإصابة الصواب وموافقة الحق وذلك جعل الله عز وجل، وكذلك جاز أن تكون هذه الصفة الخفية وهي غير منتسبة به على النحو الذي ذكرنا فالصفة من إشارة لولا يشارك فيها غيره ومراده فيها ومنها الفناء[4].

---

[1] - نفسه، ص126-129.

[2] -رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، المصدر السابق، ص137

[3] -المصدر نفسه، ص139- 140

[4] -نفسه ، ص142- 143.

6- الرسالة القشيرية للإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي المتوفي سنة 465ه:

من هو الإمام أبو القاسم القشيري: إنه الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري الشافعي (367ه/ 465م)، ولد رضي الله عنه سنة ست وسبعين وثلثمائة، في شهر ربيع الأول في بلدة "إستوا") وكان سكانها من العرب الذين قدموا خراسان، وهو عربي من فبيلة "قشر بن كعب".

توفي أبوه وهو صغير، فربى يتيما، ولكن النجابة ظهرت فيه من صغره فتثقف بالأدب والعربية. ولكنه لم يكن يعلم الحساب فذهب إلى نيسابور ليتعلم طرقا من الحساب حتى يتمكن من إدارة قرية له باستور[1].

وأرادت المقادير أن تحضر درس أبي علي الدقاق، فيرى إخلاصا ويرى تقوى ويرى نورا يرتسم على وجهه، ويشرق في كلماته فينير قلوب السامعين، ويجذبهم إلى الله وكانت فطرة القشيري النقية على استعداد تام لسلوك الطريق ورأى الإمام أبو علي الدقاق فيه النجابة، فقلبه في زمرة مريدية، ثم اصطفاه في زمرة أخصائه وزوجه إبنته، مع كثرة أقاربها وانتهى الأمر بالقشيري إلى أن أصبح كما يقول عنه الإمام عبد الغافر "الإمام مطلقا، الفقيه، المتكلم، الصولي، المفسر الأديب، النحوي، الكاتب الشاعر، لسان عصره وسيد وقته، وستر الله بين خلقه، مدار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة.... الخ[2].

وقد كتب الإمام القشيري كثيرا من الكتب منها:

6-لرسالة القشيرية كتبها المؤلف سنة سبع وثلاثين وأربعمائة "إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام"

أما كتبه الأخرى فهي:

- في تفسير القرآن "لطائف الإشارات" طبع حديثا.

---

[1] - أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، سيرة ذاتية ومناهج، مفاهيم صوفية، لأقطاب التصوف الإسلامي، تحقيق: العارف بالله الإمام عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، 1409ه- 1989م، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر. ص16- 17

[2] - أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، المصدر نفسه، ص 18.

- وله كتاب "الفتوى" التي أوردها السبكي في الطبقات.
- وله كتاب "حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح".
- وله كتاب "المعراج" أخرجه وحققه الدكتور حسن عبد القادر.
- وله كتاب "الفصول" وهو مخطوط بالقاهرة.
- وله كتاب التوحيد النبوي وهو مخطوط بالقاهرة.
- وله كتاب "التيسير في علم التفسير" وهو مخطوط في الهند.
- وله كتاب "ترتيب السلوك" لم يطبع بعد.
- وله كتاب "القصيدة الصوفية" مخطوط بالقاهرة.
- وله كتاب "الأربعين حديثا" مخطوط بلندن.
- وقد توفي الإمام القشيري صبيحة يوم الأحد، في السادس عشر من شهر ربيع الأول عام 465ه خمس وستين وأربعمائة بمدينة "نيسابور" ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقاق، رحمهما الله رحمة واسعة[1].

أقطاب الصوفية وعلم التوحيد:

في بيان اعتقاد هذه الطائفة في مسائل الأصول:

اعلموا رحكم الله أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم من البدع ودانو بما وجدوا عليه السلف واهل السنة، من توحيد ليس فيه تمعيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم.

ولذلك قال سي هذه الطرقة "الجنيد" رحمه الله "التوحيد إفراد القدم من الحدث".

وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل، ولائح الشواهد.

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق، ص19.

كما قال أبو محمد الجربري رحمه الله "من لم يقف على علم التوحيد يشاهد من شواهده زت به قدم الغرور في مهواة من التلف"، يريد بذلك: أن من ركن إلى التقليد، و لم يتأمل دلائل التوحيد اسقط عن سنن النجاة، ووقع في أسر الهلاك[1].

ومن تأمل ألفاظهم، وتصفح كلامهم، وجد في مجموع أقاويلهم و متفرقاتهم ما يثق بتأمله، بأن القوم لم يقصروا في التحقيق عن ... و لم يعرجوا في الطلب على تقصير.

سمعت: الشيخ أبا عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي، رحمه الله تعالى يقول: سمعت عبد الله بنموسى السلامي يقول: سمعت أبا بكر الشلبي، يقول "الواحد: المعروف قبل الحدود وقبل الحروف"، وهذا صريح من الشلبي أن القديم سبحانه لاحد لذاته، ولا حروف لكلامه.

سمعت أبا حاتم الصوفي: يقول سمعت أبا نصر الطوسي يقول: سئل رويم عن أول فرض افترضه الله عز وجل على خلقه ما هو؟ فقال: المعرفة لقوله جل ذكره: " **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**"[2]، قال ابن عباس: إلا ليعرفون.

وقال الجنيد: إن أول ما يحتاج إليه العبد من عقد الحكمة، معرفة المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق[3].

وصفة القديم من المحدث، ويدل لدعوته، ويعرف بوجوب طعته، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالمالك لمن استوجبه.

أخبرني محمد بن الحسين، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا الطيب المراغي يقول: للغفل دلالة، وللحكمة إشارة وللمعرفة شهادة فالعقل بدل والحكمة تشير والمعرفة تشهد، أن الصفاء للعبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد.

---

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق، ص27.

[2] – سورة الذاريات، الآية: 56.

[3] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق، ص29.

وسئل الجنيد عن التوحيد، فقال: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته: أنه الواحد الذي لميلد، و لم يولد، بنى الأضداد والأنداد واشباه بلا تشبيه ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[1].

أخبرنا محمد بن احمد بن يحي الصوفي، قال: أخبرنا عبد الله بن علي التميمي الصوفي، يحكى عن الحسين بن علي الدامغاني، قال: سئل أبو بكر للزاهر أباذي، عن المعرفة، فقال: لمعرفة اسم، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه.

وقال أبو الحسن البوشنجي رحمه الله: التوحيد، أن تعلم أنه غير مشبه للذوات، ولا منفى للصفات أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمان السلمي، رحمه الله تعالى: قال: سمعت محمد ابن محمد بن غالب قال: سمعت أبا نصر أحمد بن سعيد الأسفنجاني يقول: قال: الحسين من منصور: ألزم الكل الحدث، لأن القدم له، فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه، والذي بالأداة احتماعه فقواها تمسكه، والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه، والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت أو الذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه، والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه، ومن أراه محل أدركه أين، ومن كان له جنس طاله مكيف[2].

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الطوسي للسراج يحكي عن يوسف بن الحسين، قال: قام رجل بين يدي ذي النون لمصري، فقال: أخبرني عن التوحيد ما هو؟ فقال: هو أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة صنعه[3].

وليس في السموات العلا، ولا في الأرضية السفلى مدبر غير الله وكل ما تصور في وهمك فالله تخلاف ذلك.

---

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق، ص30

[2] – المصدر نفسه، ص31.

[3] – نفسه، ص32.

وقال الجنيد: التوحيد علمك واقرارك بأن الله فرد في أزليته لا ثاني معه ولا شيء يفعل فعله.

وقال ابو عبد الله بن خفيف: الإيمان تصديق القلوب مما أعلمه الحق من الغيوب.

وقال أبو العباس السياري: عطاؤه على نوعين: كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة، وما أزاله عنك فهو استدراج فقل: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى: وأبو العباس السياري كان شيخ وقته.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله يقول: غمز رجل رجل أبي عباس السياري، فقال: تغمز رجالا ما نقلها قط في معصية الله عزو جل وقال أبوبكر الواسطي: من قال: "أنا مؤمن بالله حقا قيل له الحقيقة تشير إلى اشراف وإطلاع وإحاطة فمن فقده بطل دعواه فيها.

يريد بذلك ما قاله أهل السنة: إن المؤمن الحقيقي: من كان محكوما له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى، فدعواه بأنه مؤمن حقا غير صحيحة[1].

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمان السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا الحسن العنبري يقول: سمعت سهل بن عبد الله التستيري يقول: بنظر اليه تعالى، المؤمنون، بالأبصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية.

وقال ابو الحسين النوري: شاهد الحق القارب، فلم ير قلبا اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم، فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤي والمكالمة.

سمعت الإمام أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك، رحمه الله تعالى يقول سمعت محمد بن المحبوب خادم أبي عثمان المغربي، يقول قال أبو عثمان المغربي يوما:

يا محمد لو قال لك أحد، أين معبودك؟ ايش تقول؟

قال: قلت: أقول حيث لم يزل.

قال فان قال: أين كان في الأزل، ايش تقول؟

قال: قلت: أقول حيث هو الآن يعني أنهكما كان ولا مكان فهو الآن كما كان[2].

---

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق،ص33– 34.

[2] – المصدر نفسه، ص 34.

قال: فارتضى من ذلك ونزع قميصه وأعطانيه.

وقال الواسطي: المقامات أقسام قسمت، ونعوت أجريت، كيف تستجلب بحركات أو تنال بسعايات.

وسئل الواسطي عن الكفر بالله، أو لله فقال: الكفر والإيمان، والدنيا والآخرة من الله، وإلى الله، وبالله، ولله: من الله ابتداءا وإنشاء وإلى الله مرجعا وانهاء بالله بقاء وفناء، ولله ملكا وخلقا.

وقال الجنيد: سئل بعض العلماء عن التوحيد، فقال: هو اليقين فقال لسائل: بين لي ما هو؟ فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم، فعل الله عز وجل وحده لا شريك له، فإذا فعلت ذلك فقد وجدته[1].

سمعت الإمام أبا اسحاق الأسفراييني، رحمه الله يقول: لما قدمت من بغداد كنت أدرس في جامع نيسابور مسألة الروح واشرح القول في أنها مخلوقة، وكان القاسم النصر، باذي قاعدا متباعدا عنا، يصغي إلى كلامي فاجتا بنا بعد ذلك يوما بأيام قليلة فقال لمحمد الفراء: اشهد أني اسلمت جديدا على يد هذا الرجل وأشار غلي.

سمعت محمد بن الحسين السلمي، يقول: سمعت أبا حسين الفارسي يقول: سمعت ابراهيم بن فانك يقول: سمعت الجنيد يقول: من يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظريا؟ هيهات هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث الإدراك ولا وهم ولا إحاطة ولا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان[2].

أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمان السلمي: قال سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادي يقول: سمعت أبا القاسم بن موسى يقول: سمعت محمد بن أحمد يقول سمعت الأنصاري يقول: سمعت الخراز يقول: حقيقة القرب فقد حسن الأشياء من القلب وهدوء الضمير إلى الله تعالى: وقال الأستاذ إمام

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق،ص35.

[2] – المصدر نفسه، ص36.

زين الإسلام أبو القاسم، رحمه الله دلت هذه الحكايات على أن عقائد مشايخ الصوفية توافق أقاويل أهل الحق في مسائل الأصول.

بيان عقائد أقطاب التصوف في مسائل التوحيد:

قال شيوخ هذه الطريقة: على ما يدل عليه متفرقات كلامهم، وبمجموعاتها، ومصنفاتهم في التوحيد:

إن الحق سبحانه وتعالى، موجود، قديم، واحد، حكيم، قادر، عليم، قاهر، رحيم، مريد، سميع، مجيد، رفيع، متكلم، بصير، متكبر، قدير، حي، أحد، باق، صمدا.

وأنه عالم يعلم، قادرة بقدرة، مريد بإرادة، سميع سمع، بصير بصير، متكلام بكلام، حي بحياة، باق ببقاء[1].

وله يدان هما صفتان، يخلق لهما ما يشاء، سبحانه، على التخصيص وله الوجه، وصفات ذاته مختصة بذاته لا يقال هي هو ولا هي أغيار له، بل هي صفات أزلية، ونعوت سرمدية، وأنه احدى الذات، ليس يشبه شيئا من المصنوعات أو لا يشبه شيء من المخلوقات، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولا صفاته أعراض ولا يتصور في الأوهام، و لا يتقدر في العقول ولا له جهة ولا مئات ولا عليه وقت وزمان ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصه هيئة وقد لا يقطعه، نهاية وحد، ولا يحله حادث ولا يحمله على الفعل باعث، ولا يجوز عليه لون ولا كون، ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم، ولا ه على فعله كيف يصنع وما يضيع ملموم، لا يقال له أين ولا حيث، ولا كيف، ولا يستفتح له وجود، فيقال: متى كان: ولا ينتهي له بقاء: فيقال استوفى الأجل والزمان. ولا يقال: لم فعل إذ لا علة لأفعاله، ولا يقال ما هو، إذ لا جنس له فيتميز بأمارة عن أشكاله، يرى لاعن مقابلة أو يرى الحسنى، والصفات العلا يفعل ما ير، وبذل لحكمه العبيد إلا يجرب في سلطانه إلا ما يشاء، ولا يحصل في ملكه غير ما سبق به القضاء، ما علم أنه يكون من الحادثات أراد أن يكون وما علم

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق، ص37.

أنه لا يكون مما جاز أن يكون: أراد أن لا يكون، خالق أكساب العباد، خيرها وشرها ومبدع ما في العالم من الأعيان والآثار: قلها وكثرها.

ومرسل الرسل إلى الأمم من غير وجوب عليه.

ومتعبد الأنام على لسان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بما لا سبيل لأحد باللوم والإعتراض عليه، ومؤيد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بالمعجزات الظاهرة، والآيات الباهرة، بما أزاح به العذر وأوضح به اليقين والنكر، وحافظ بيضة الإسلام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بخلفائه الراشدين ثم حارس الحق وناصره مما يوضحه من حجج الدين على ألسنة أوليائه، عصم الأمة الحنيفية عن الإجتماع على الضلالة أو حسم مادة الباطل بما نصب من الدلالة، وأنجزها وعد من نصرة الدين بقوله: "ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[1].

7- كتاب الطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي

1- **الشيخ عبد الرحمان السلمي:** السلمي هو أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين موسى السلمي الأزدى، وه منسوب إلى قبيلة سليم ابن منصور، وقد ولدو بخراسان في جمادى الآخرة سنة خمسا وعشرين وثلاثمئة، وقيل سنة ثلاثين وثلاثمائة، وكان والده ورعا زاهدا صوفيا جليل، القدر مع فقره، وكانت والدته سيدة فاضلة صوفية، ولما اراد أبو عبد الرحمان السفر إلى الحج قالت له أمه: "توجهت إلى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيء تستحي منه غدا"[2].

وقد نشأ أبو عبد الرحمان في رعاية والديه، وحفظ القرآن الكريم، وروى الأشعار، وتعلم العربية، وعنى بالحديث والتصوف.

ومن شيوخه: الدارقطني والسراج والنصر أباذي والأبزارى والصبغي وأبو النعيم الأصبهاني والنيسابوري وأبو السعيد النخع والطرائفي وأبو عمرو السلمي.

---

[1] – أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، المصدر السابق، ص39.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص25.

وكان له الكثير من التلاميذ منهم: البيهقى والتوزي والجويني، والقشيري والخطيب البغدادي والجصيني والجوباري والتفليسي والمامطيري والواسطي.

وقد ظل السلمي يؤلف عهدا طويلا في التفسيرر والحديث والتصوف والطبقات وله العديد من الكتب نذكر منها: حقائق التفسير، والأخوة والأخوات من الصوفية، وآداب التعازي، وآداب لصحبة و حسن العشرة، وآداب الصوفية والأربعون في الحديث ومقامات الأولياء...الخ.

وكان للسلمي أعداء وخصوم نقدوه في شدة وحملوا عليه في قسوة واتهموه أنه صاحب باع في باب الحديث.

توفي عبد الرحمان السلمي في شعبان سنة اثنتي عشرة و أربعمائة ودقت في "خانقاه" بنها في نسيبور[1].

الطبقة اولى:

ذو النون المصري: أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم المصري الأخميمي مولى لقريش، وكان أبوه ابراهيم نوبيا توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل ثمان وأربعين.

وأسند الحديث

عن أبي عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"

ومن كلام ذو النون:

- إياك أن تكون بالمعرفة مدعيا، أو تكون بالزهد محترفا، أو تكون بالعبارة متعلقا.

وسئل: ما أخفى الحجاب وأشده؟ فقال: رؤية النفس وتدبيرها.

وسئل عن المحبة فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله، وإلا تخاف في الله لومة لائم... مع العطف للمؤمنين، والغلظة على الكافرين، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين.

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص26.

قال الله تعالى: " من كان لي مطيعا كنت له وليا، فليثق بي وليحكم علي..زفوعزتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له"

وسأله عبد الله بن محمد بن ميمون عن الصوفي، فقال: من غذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق.

الأنس بالله صفاء القلب مع الله، والتفرد بالله الإنقطاع من كل شيء سوى الله.

من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصوفا ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبة.

لم أرى شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله، من أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق.

من علامات المحب لله متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأمره وسنته.

إذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه[1].

لئن مددت يدي إليك داعيا لطالما كفيتني ساهيا، أقطع منك رجائي بما عملت يداي؟ حسب من سؤالي علمك بحالي

الصدق سيف الله في أرضه، ما وضع على شيء إلا قطعه.

من تزين بعلمه كانت حسناته سيئات.

بأول قدم تطلبه تدركه وتجده.

أدى منازل الأنس أن يلقى في النار فلا يغيب همه عن مأموله

الأنس بالله نور ساطع، وأنس بالخلق غم واقع[2].

أبو يزيد البسطامي:

[1] - أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص27.

[2] - أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص28.

ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان (وكان سروشان مجوسيا فاسلم) ولطيفور أخواهما آدم وعلي والثلاثة كانوا زهادا وعبادا وأصحاب أحوال.

وهومن أهل بسطام –بلد على الطريق إلى نيسابور– ومات سنة إحدى وستين ومائتين وقيل: سنة أربع وثلاثين ومائتين.

وأسند الحديث:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس سبحانه الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله... إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده

كره كاره، إن الله بحكمته، وحلاله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط"

ومن كلام البسطامي:

قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي، فهتف بي هاتف: من يجالس الملوك ينبغي أن يجلسهم بحسن الأدب.

وسئل عن درجة العارف، فقال: ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجوه معروفة.

العابد يعبد بالحال، والعارف الواصل يعبده في الحال.

وسئل: بماذا يستعان على العبادة؟ فقال: بالله إن كنت تعرفه

أدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه.

من أدعى الجمع بإبتلاء الحق، يحتاج أن يلزم نفسه على العبودية.

لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم

من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهما يكلم به الناس ومن سمعه ليعامل الله به في فعل رزقه الله فهما يناجي به ربه عز وجل.

وسئل بماذا نالوا المعرفة؟ فقال: بتصنيع مالهم والوقوف مع ماله[1].

هذا فرحي بك وأنا أفاقك فكيف فرحى بك إذا أمنتك؟

يرب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك

وسئل: ما علامة العارف؟ فقال: ألا يفتر من ذكره، ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره.

إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه، فخلع عليهم الخلع، فاشتغلوا بالخلع عنه... وإني لا أريد من الله إلا الله.

إن الله يرزق العباد الحلاوة، فمن أجل فرحهم بما يمنحهم حقائق القرب.

وسئل: باي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطئ جائع، وبدن عار.

العارف همه ما يأمله، والزاهد همه ما يأكله.

من عرف الله فإنه يزهد في كل شيء يشغله عنه[2].

الطبقة الثانية:

أبو القاسم الجنيد:

منهم أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزازا وكان أبوه يبيع الزجاج، فذلك كان يقال له: القواريري أصله من "نهاوند"، من بلاد الجبل،ومولده ومنشؤه بالعراق، وكان فقيها، تفقه على أبي ثور، وكان يفتى في حلقته وصحب السرى السقطى، والحارث المحاسبي، وممدا بن على القصاب البغدادي، وغيرهم وهومن أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة توفي سبع وتسعين ومائتين، يوم نيروز الخليفة، يوم السبت، وقيل توفي في آخر ساعة من يوم الجمعة، ودفن يوم السبت.

وأسند الحديث:

[1] - أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص49.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص50.

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور لله تعالى، وقرأ: إن في ذلك لآيات للمتوسمين) قال للمتغرسين.

ومن كلام جنيد:

القرب بالوجد جمع، والغيبة بالبشرية تفرقة.

باب كل علم نفيس جليل بذل المجهود، وليس من طلب يبذل المجهود كمن طلب من طريق الجود.

إن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره حسب ما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا أخالط قلبك[1].

وسئل من العارف؟ فقال من نطق سرك وأنت ساكت.

إنما هذا الإسم يعني التصوف نعت أقيم العبد فيه، فقال له أبو بكر الملاعقي: ياسيدي، نعت للعبد أمنعت للحق؟ فقال نعت للحق حقيقة ونعت للعبد رسما.

الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار.

إن أمكنك ألا تكون آلة بيتك إلا خزف فافعل وكذلك كانت آلة بيته.

الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اختفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته، لإغن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

حاجة العارفين إلا كلاءته ورعايته قال تعالى: " **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ**"[2]

نجح قضاء كل حاجة من الدنيا تركها.

إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم، وأبدأه بالرفق فإن العلم يوحشه و الرفق يؤنسه.

وقال للشبيلي: با أبكر إذا وجدت من يوافقك على كلمة مما تقول فتمسك به.

لا تقوم بما عليك حتى تترك مالك، ولا يقوى على ذلك إلا نبي أو صديق

---

[1] – المصدر نفسه، ص51.

[2] – سورة الأنبياء، الآية:42.

الأنس بالمواعيد، والعويل عليها اخلل في الشجاعة

الوقت إذا فات لا يستدرك وليس شيء أعز من الوقت.

فتح كل باب شريف بذل المجهود

لم أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ث أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر ما ناله.

أكثر الناس علما بالآفات أكثرهم آفات.

وسأله رجل، من أصحب؟ فقال من تقدره أن تطلعه على ما يعلمه الله منك.

الحياء من الله عز وجل أزال عن قلوب أوليائه يرور المنة.

مقام الغريب ببغداد —بعد خمسة ايام- فضول.

من عرف الله الله لا يسر إلا به.

وقال رجل للجنيد: على ماذا يتأسف المحب من أوقاته؟ قال: على زمان بسط أو رث قبضا، أو زمان أنس أو رث وحشه[1].

الطبقة الثالثة:

الحسين بن منصور الحلاج:

ومنهم أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وهو من أهل بيضاء وفارس ونشأ بواسط، والعراق وصحب الجنيد، وأبا الحسين النورى، وعمر المكي والفوطى وغيرهم.

والمشايخ في أمره مختلفون، رده أكثر المشايخ ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف... وقبله من جملتهم أبو العباس بن عطاء وأبو عبد الله حمد بن حفيف، وأبو القاسم إبراهيم، بن محمد النصر اباذى، وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف "الحسين بن منصور عالم رباني" قتل ببغداد بباب الطاق، يوم الثلاثاء لست بقين منذى القعدة، سنة تسع وثلاثمئة.

ومن كلامه:

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص 53.

حجبهم بالاسم فعاشو، ولأو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهمالحجاب عن الحقيقة لماتو.

إلهي، أنت تعلم عجزي عن مواضع شكرك، فاشكر نفسك عني، فإنه لشكر لا غير

من لاحظ الأعمال حجب عن المعمول له، ومن لاحظ المعمول له حجب عن رؤيته الأعمال.

أسماء الله تعالى من حيث الإدراك اسم، من حيث الحق حقيقة.

خاطر الحق هو الذي لا يعارضه شيء.

إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله تعالى إليه بخاطره، وحرص سره أن يسنح فيه خاطر غير الحق.

وسئل: لم طمع موسى عليه السلام في الرؤية وسألها؟ فقال: لأنه انفرد للحق، وانفرد الحق به في جميع معانيه، وصار الحق مواجهة في كل منظور إليه، أو مقابلة دون كل محضور لديه، على الكشف القاهر إليه، لا على التغيب، فذلك الذي حمله على سؤال الرؤية لا غير[1].

وسئل عن المريد، فقال: هو الرامي بقصده إلى الله عزو جل فلا يعرج حتى يصل.

المريد الخارج عن أسباب الدارين، أثره بذلك على أهلها

إن الأنبياء عليهم السلام سلطوا على الأحوال فملكوها، فهم يصرفونها لا الأحوال تصرفهم، وغيرهم سلطت عليهم الأحوال، فالأحوال تصرفهم لا هم يصرفون الأحوال.

الق هو المقصود إليه بالعبادات والمصمود إليه بالطاعات لا يشهد بغيره ولا يدرك بسواه، بروائح مراعاته تقوم الصفات أو بالجمع إليه تدرك الراحات

لا يجوز لمن يرى أحدا، أو ذكر أحدا، أن يقول إني عرفت الأحد الذي ظهرت منه الآحاد.

السنة مستنطقات تحت نطقها مستهلكات، وأنفس مستعملات تحت استعمالها مستهلكات.

ما انفصلت البشرية عنه ولا اتصلت به[2].

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص102.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص 103.

الطبقة الرابعة:

أبو بكر الكتاني:

ومنهم أبوبكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني، ويقال: إن كنيته أبو عبد الله، وابو بكر أصح... أصله من بغداد صحب الجنيد وأبا سعيد الخزار، وأبا الحسين النوري، وأقام بمكة مجاورا بها إلى أن مات.

وكان أحد الأئمة حكى عن أبي محمد المرتعش أنه كان يقول: "الكتاني سراج الحرم"، مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه:

إذا سألت الله التوفيق فابدأ العمل.

وسأله بعض المريدين فقال له: أوصني فقال: كن كما ترى الناس، وإلا فأر الناس ما تكون، كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك

الشكر في موضع الإستغفار ذنب، والإستغفار في موضع الشكر ذنب.

روعة عند انتباه عن غفلة، وانقطاع عن خط النفسانية، وارتعاد من خوف قطيعة، أفضل من عبادة الثقلين.

وجوه العطاء من الحق شهود الحق بالحق، لأن الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء ولا يكون شيء دونه دليلا عليه.

الشهوة زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده.

وسئل عن حقيقة الزهد، فقال: فقد الشيء والسرور من القلب بفقده وملازمة الجهد إلى الموت، واحتمال الذل صبرا والرضا به حتى الموت

وقيل له: من العارف؟ فقال: من يوافق معروفه في أوامره، ولا يخالفه في شيء من أحواله، ويستحب إليه بمحبة أوليائه، ولا يفتر عن ذكره طرفة عين

الصوفية عبيد الظواهر أحرار السواطى.

سماع الأولياء رؤية الألاء والنعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحدمن هؤلاء مصدر ومقام[1].

الموارد فتصادف شكلا أو موافقة، فاي وارد صادف شكلا مازجه وأي وارد صادف موافقا ساكنه.

المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مشروح إليه، يهيج منه السماع وجدا أو شوق أو غلبة وارد عليه يغنيه عن كل سكون ومألوف.

وأنشد على أثره:

فالوجد والشوق في مكاني

قد منعاني من القرار

هما معي لا يفارقاني

فن اشعاري، ذا دثاري

إن الله نظر إلى عبيد من عبيده، فلم يرمم أهلا لمعرفته، فشغلهم بخدمته.

ونظر إلى شيخ كبير أبيض الرأس واللحية يسأل، فقال: هذا رجل أضاع أمر الله في صغره فضيعه الله في كبره[2].

إذا صح الإتقار إلى الله صحى الغنى به، لأنهما حالان لا يتم أحدهما غلا بصاحبه.

الغافلون يعيشون في حلم الله، والذاكرون يعيشون في رحمة الله، والعارفون يعيشون في لطف الله، والصادقون يعيشون في قرب الله.

وسئل عن السنة التي لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم فقال: الزهد في الدنيا ، وسخارة النفس ونصيحة الخلق.

من كان الله همه لا يستقطعه من الكون شيء، ولا يأسره من زينتها قليل ولا كثير.

---

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص104.

[2] - أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص128

العلم بالله أتم من العبادة له[1].

الطبقة الخامسة:

أبو سعد الأعرابي:

منهم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم بن الأعرابي العترى، بصري الأصل، سكن بمكة وكان في وقته شيخ الحرم.

صنف للقوم كتبا كثيرة، وصحب أبا القاسم الجنيد بن محمد، وعمر بن عثمان الملكي، وأبا الحسين النوري، وحسن المسوحى، وأبا جعفر الحفار، وأبا الفتح الحمال. وكان من جلة مشايخهم وعلمائهم.

وروى الحديث وكان ثقة، مات بمكة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وأسند الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه".

ومن كلامه:

إن الله تعالى طيب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيب الجنة لأهلها بالخلود فيها فلو قيل للعارف إنك تبقى في الدنيا لمات كمدا، ولو قيل لأهل الجنة إنكم تخرجون منها لماتوا كمدا، فطابت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابت الجنة بذكر الخلود فيها.

أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

المعرفة كلها الإعتراف بالجهل، والتصوف كله ترك الفضل، والزهد كله أخذ ما لابد منه واسقاط ما بقي والمعاملة كلها استعمال الأولى، والمحبة كلها ايثار المحبوب على الكل، والعافية كلها

[1] – نفس المصدر السابق، ص129.

اسقاط التكلف، والصبر كله تلقي البلاء بالرحب، والتفويض كله الطمأنينة عند الموارد، واليقين كله ترك الشكوى عندما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك وبمصالحك أعلم منك بنفسك[1].

إن الله تعالى أعار بعض أخلاق أوليائه أعدائه، ليستعطف بهم على أوليائه.

القلوب إذا أقبلت روحت بالأرفاق، وإذا أدبرت ردت إلى المشاق

من أصلح الله همته لا يتعبه بعد ذلك ركوب الأهوال ولا مباشرة الصعاب، وعلا يعلو همته إلى أسمى المراتب أو تتره عن الدناءة أجمع.

اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن هموم الآخيرة، ولا عبد أعجز من عبد نسي فضل ربه، وعد عليه تسبيحه وتكبيره، الذي هو إلى الحياء منه أقرب من طلب ثواب عليه أو افتخار به.

إن الله تعالى جعل نعمته سببا لمعرفته، وتوفيقه سببا لطاعته، وعصمته سببا لإجتناب معصية، ورحمته سببا للتوبة، والتوبة سببا لمغفرته والدنو منه.

مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة.

من طلب الطريق إليه وصل إلى الطريق بجهد واجتهاد ومجاهدة، ومن طلبه استغنى عن الطريق والأدلة وكان الحق دليله إليه، وموصله لا غير.

وسئل: ما الذي ترضى من أوقاتك؟ فقال: الأوقات كلها لله تعالى وأحسن الأوقات وقت يجري الحق فيه على ما يرضيه عني.

وسئل عن أخلاق الفقراء، فقال: أخلاقهم السكون عند الفقر، والإضطراب عند الوجود، والأنسب بالهموم، والوحشة عند الأفراح[2].

[1] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص130.

[2] – أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، مصدر سابق، ص147- 148.

المبحث الثاني: المراجع المشرقية

1- كتاب إحياء علوم الدين للغزالي وعلماء المغرب: لطاهر لعموري

وحين وصل كتاب احياء علوم الدين للمغرب في أول سنة ثلاث وخمس مائة، تصفحه الفقهاء، وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد بن علي ابن حمدين (هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلي، ولي قصاء قرطبة[1] سنة490ه وتوفي سنة 508ه، واتفقوا على فساده فاستجاب علي بن يوسف بن تاشفين لرأيهم، وأمر بإحراق الكتاب في مسجد قرطبة على الباب المغربي بعد اشاعة زيتا، بمحضر الفقهاء وأعيان السكان، ثم أرسل على بن يوسف بن تاشفين لكافة بلاد الأندلس والمغرب وأمر باحتجاز نسخة واحراقها، وأخذت نسخ من أيدي أصحابها، واعدمت كذلك منها: كتاب ميمون بن ياسين الصنهاجي المتوفي 530ه/ 1135م، توعده علي بن يوسف على احضاره فأحضره، ومنها كتاب ابن العربي حمله ثم أمره بحله في الماء فضاع معظمه[2].

وفي التشوف لابن الزيات المتوفي سنة 627ه/ 1229م،اشارات عن حادثة الإحراق منها: ما جاء في ترجمة أبي الفضل يوسف المعروف بابن النحوي التوزري المتوفي سنة 513ه/ 1119م، ان له اعتناء تاما بالأحياء، وانه لما أفتى الفقهاء باحراق الاحياء ووصل كتاب علي بن يوسف بن تاشفين بتحليف الناس بالإيمان المغلظة أن ليس عندهم الاحياء، كتب إلى السلطان وافتى بعدم لزوم تلقى الإيمان ونسخ الاحياء في ثلاثين جزء يقرأ منه كل يوم جزءا في رمضان وكان يقول

وددت أني لم أنظر في عمري سواه

وينسب لإبن النحوي في الغزالي واحيائه:

أبو حامد أحيا من الدين علمه

ووجد منه ما تقدم من عهد

[1] – أنظر: معجم البلدان، مج4، قرطبة: يضم أوله، وسكون ثانيه، و ضم الطاء المهملة أيضا والباء الموجدة، كلمة فيما أحسب أعجمية رومية، ولا عربية مجال يجوز أن يكون من قرطبة وهو العد والشديد.

[2] - الطاهر المعموري، الغزالي وعلماء المغرب، دار النشر التونسية، 1990، ص21.

ووفقه الرحمان فيما أتى به

وألهمه في ما أراد ابن الرشد

فصلها تفصيلها فأتى بها

فجادت كأمثال النجوم التي تهدى

ولعلى بن محمد بن عبد الله الجذامي المعروف بالبرجي قص غريبة في احراق ابن حمدين الأحياء مع أبي عبد الله مروان بن عبد الملك قاضي المرية

وأجاب حين استفتى تأديب محرقها، وتبعه على ذلك أبو القاسم بن ورد وعمر بن الفصيح (ت سنة 509ه)[1].

وقضية احراق الاحياء ونقده من طرف المغاربة، دخل فيها عامل جديد، وهو التصوف الذي ازدهر في هذه الفترة، وكثر أنصاره، فعدل الموقف وسد باب النقد والتقييم، ونظر الغزالي واحيائه على أنه شيء لا يبلغ شأوه، والكام فيه عبارة عن خدش في سيرة السلف الصالح، وما أقرته السنة النبوية الصحيحة، فالموقف أصبح عاطفيا يستخدم الأحلام والرؤيا بعد أن كان عقليا يستخدم النقد والموضوعية وابن السبكى يعبر عن الموقف النقدي بقوله: "لما وقع لهم كتاب الاحياء، لم يفهموه فحرقوه"، ويعبر عن الموقف الثاني بقوله: "ثم ان المغاربة أقبلوا عليه ومدحوه" ومن أبرز الأمثلة على هذا التقييم الجديد لأعمال الغزالي منام أبي الحسن المعروف بابن حرزهم، الذي تأمل الاحياء وجرده من المسائل التي تنتقد عليه، فأمر باحضار كل نسخة، وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك، فأحضروا ما عندهم، واجتمع الفقهاء وقرروا حرقه فرأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه والإمام الغزالي الذي شكر الرسول –صلى الله عليه وسلم- ابن حرزهم على تهجمه على كتابه فأمر الرسول –صلى الله عليه وسلم- بضربه حد الفرى ولما استيقظ الرجل غير فكرته في الكتاب، وأصبح يعظمه، ويجله، وهي حكاية حكاها أبو العباس المرسي عن شيخه أبي الحسن الشاذلي (أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن

[1] – الطاهر المعموري، الغزالي وعلماء المغرب، المرجع السابق، ص22.

يوسف الشاذلي (591- 656ه)، (1195- 1258) وزاد كذلك في تشجيب عمل المرابطين في اقبالهم على احراق الاحياء الدعوة الموحدية، بواسطة بعض مؤرخيها، يتقدمهم ابن القطان صاحب كتاب نظر لجمان الذي يقول: "وقد كان احراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم، الذي ألف مثله سببا لزوال ملكهم وانتشار سلكهم واستئصال شأفتهم على يد هذا الأمير العزيز القائم بالحق المظهر بالسنة المحي للعلم نظر الله تعالى لواءه وكبت عداءه"[1].

2- التصوف ايجابياته وسلبياته: للدكتور أحمد محمود صبحي:

أولا: في ملابسات ظهور التصوف في افسلام

الذين بحثوا في نشأة التصوف فريقان: صوفية أومتعاطفون معهم ردوال التصوف إلى صميم الإسلام- من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة، أو خصوم الصوفية- وعلى رأسهم من ينسبون أنفسهم إلى السلف عدوه دخيلا غريبا عن الإسلام، استدلوا على ذلك أنه لم يكن في الصدر الأول من تاريخ الإسلام، وإنما من القرن الثاني وما بعده، فإن تأخر ظهور التصوف لا يعني بالضرورة أنه بدعة مستحدثة، وهذا ما يميز التصوف عن الزهد، التصوف مع ذلك نتاج فكر المسلمينن أريد أن أميز بين ماهو من صميم الإسلام كعلوم التفسير والحديث والفقه، وبين ماهو من نتاج فكر المسلمين فمنذ القرن الثاني الهجري وما بعده انبثق عنها التصوف نتيجة هذه الظروف والملابسات التي يمكن حصرها فيما يأتي:

1- التصوف رد فعل لتيار الحياة المادية الذي غلب على كثير من المسلمين منذ قيام الدولة الأموية.

2- التصوف استكمال القصور لقصور علماء الرسوم في الفقه وفي التفسير.

3- التصوف رد فعل لتصور المتكلمين للعقيدة.

1- التصوف كرد فعل لتيار الحياة المادية:

[1] – الطاهر المعموري، الغزالي وعلماء المغرب، المرجع السابق، ص23.

بعد الفتوحات الإسلامية وجد المسلمون أنفسهم أمام الوان من لحضارات وضروب من الترف تغريهم وتفتنهم، وقد أقبل الكثيرون منهم على حياة البذخ، وكانت هذه الحياة المشرفة مغاير لحياتهم الأولى، يقول ابن خلدون في مستهل الفصل الذي عقد من التصوف مقدمته: "عندما فشا الإقبال عن الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم التصوف"، بعد هذا الترف ظهر الصوفية في المدن التي بلغت ذروة التحضر والحياة المترفة: في دمشق[1]، بغداد، القاهرة، قرطبة، كانت الحياة في العواصم وما شابهها متباينة أشد التباين، فيها اللاهون بمخزون قوارهم الزاهية القنوات والهار وعلى الضفاف زوايا يرى فيها العابدون عاكفين معتكفين أو محدثين لمريديهم حديثا حزينا عن العزوف عن الدنيا، في هذه المدن أمثال أبي نواس يقضون الليالي الحمراء في أحضان الشهوة الآثمة مستبحين الحرمات، وفيها أيضا أمثال رباح ب عمرو القيسي[2]، ممن لا يعرف غير البكاء والتهجد والتضرع إلى الله هكذا كانت بغداد وأمثالها من المدن دار فساد ودار هدى، حانة خمر وحلقة ذكر.

ظهر التصوف إذا مقدما للناس قيما تعارض ما يحيونه: الزهد انكارا للنعيم، التواضع وانكار الدات بديلا عن الافتخار وطلب الصيت، الإشادة بالفقر بدلا من الاعتزاز بالغنى، وعلى المستوى السياسي خلفاء طغاة من أمثال يزيد بن معاوية وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد، وولاة لهم على دين ملوكهم من أمثال زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف وخصوصا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرهم: "أغذا أبغض الناس فقاءهم، وأظهروا عمارة الدنيا، وتكالبوا على جمع الدراهم، رماهمالله بأربع خصال: بالقحط من الزمان، والجور من السلطان، والخيانة من لولاة ألحكام، والشوكة من الأعداء".

ويتمثل ظهور التصوف كثورة الوجدان الديني ضد حياة الترف في صور ثلاثة:

[1] – أنظر: معجم البلدان، مج2، دمشق، بكسر أوله وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور، وكسر لغة فيه وشين معجمه وآخره قاف البلدة المشهور قطبة الشام وهي جنة الأرض.

[2] – أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف، القاهرة، ص19.

الأولى: قضية حياة ابراهيم بن أدهم، الذي عاش شطرا من حياته أميرا على بلخ يحيا كما يحيا الأمراء، ثم انقلب فجأة على هذه الحياة بكل ما تمتلئه من زينة وزخرف، ليصبح صوفيا سائحا متقشفا.

الثاني: هي قصة حياة رابعة العدوية (ت 181ه) التي تمثل التصوف أصدق تمثيل في نشأته ومنعطفه، أما نشأته ففي ثورتها على حياتها الأولى حين كانت تعزف الناي في حانات البصرة، فإذا بها تكسر الناي لتتوب إلى ربها وتتغنى بأناشيد الحب الالاهي.

الثالثة: هي هذه الحادثة، لما قدم هارون الرشيد مدينة الرقة وقد اخرجت المدينة له زينتها وزخرفها ورد إليها في نفس الوقت العالم الزاهد عبد الله بن المبارك (ت 181ه)، فاحتفى الناس بمقدمة وانقطعت النعال إليه وارتفعت الغبرة، فأشرقت أم ولد هارون من برج قصر الخشبن فلما رأت الناس وكثرتهم قالت: ما هذا؟ قالوا ذا عالم خراسان وزاهدها، فقالت: والله هذا هو الملك لا ملك هارون الرشيد الذي يجمع الناس إليه بالسوط والعصي والشرط والأعوان.

ومع أن الصوفية قوم عمل لا فكر ونظر، فذلك شأن المتكلمين والفلاسفة، يؤكدون ضرورة معاناة التجربة الروحية إنما اجتمع الصوفية على موقف موحد إذ تبنوا "الروح" كمبدأ يفسر حقيقة الوجود في مجال النظر كما تبنوا "القيم الروحية" كمسلك في مجال العمل يقو داوود الطائي (ت 165ه) صم من الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس فرارك من السبع[1].

في أن التصور استكمال لقصور علماء الرسوم:

أ. في لفقه المغزى الروحي والخلقي للعبادات: يعتبر الصوفية أن الفقهاء قد ضيقوا الدين وجعلوه مجرد رسوم واشكال وعكفوا على بيان الحلال والحرام وعلى شرو العبادات وأصول المعاملات، فقصروا عن فهم الدين إذ أغلفوا جانب الروح وسريرة النفس: يستوي في ذلك الفقهاء والقراء. وقد قدم الصوفية معانى باطنية لشعائر الدين وعباداته من طهارة وصلاة وصوم وزكاة وحج، فظاهر الطهارة تطهير الجوارح من الأحداث والأخباث وباطنها تطهيرا من المعاصي والآثام، بعدها

[1] – أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف ، المرجع السابق، ص21– 25.

تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة، بعدها تطهير الموعن عن كل شيء سوى الله.

ويتشدد الصوفية في وجوب السر في أداء الزكاة وقد وجدوا في الحج ميدانا خصبا يمارسون فيه "الرمزية" أو "الإشارات" على حد تعبيرهم نظرا لإنطوائه على كثير من الطقوس.

لقد غاصوا إلى باطن الشعائر فاستنبطوا أدق المعاني وقدموا مفهوما خصبا للعبادات وجعلوا من الفروض فضائل، بأنها ليست مجرد أشكال ورسوم.

ب.في التفسير الرمزي للقرآن:

لا يتفق مدلول "الحقيقة" في مقابل "الشريعة" أو "الباطن" في مقابل "الظاهر" عند العبادات فقط، بل انه شمل آيات القرآن بما تنطوي عليه من تشريعات وقصص أنبياء ووعد ووعيد، ومن ثم فإنه يمكن اعتبار جانب "الرمز" أو الإشارات من أهم خصائص التصوف لهذا يؤكد الصوفية في تفسيراتهم الرمزية جانبين:

1- أنهم ليس مبتدعين: فإنهم ينسبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع.

2- أنهم يختلفون عن اخوان الصفا وفرقة الباطنية: مما جعلوا التفسير الباطن هو وحده المراد من الآيات، ومن ثم ألغوا تفسيرها الظاهري، يؤكد الصوفية ضرورة التفسير المأثور.

وتمكن تصنيف اشارات الصوفية أو بالأحرى تفسيراتهم الرمزية، على النحو الآتي:

آيات وجد فيها الصوفية منطلقا خصبا للتعبير عن معانيهم الباطنية في غبر تكلف مثل آية النور لما تنطوي عليه من أسرار حافلة وتشبيهات تثير استغراق المتصوف[1].

آيات تعبر عن المعنى المزدوج لصلة الله بعباده "صفات الجمال وصفات الجلال"، فيشير الصوفية إلى أسماء الله التي تنطوي على اللطف الإلاهي مثل: رؤوف رحيم رحمان، غفور على أنها صفات الجمال، وأسمائه تعالى التي تتضمن القهر مثل:

[1] – أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف ، المرجع السابق، ص27– 30.

القهار، الجبار، المنتقم، المذل، على أنها صفات الجلال.

اطلاقهم قصص القرآن من التقييد الزماني والمكاني إلى معان خارجة عن حدود الزمان والمكان.

التأويل بالرأي "الزام النص القرآني بأفكار صوفية مسبقة:

1- **التوكل:** لا يختلف الصوفية في ذلك عما أخذ على المتكلمين تسلطت عليهم أفكار مسبقة فولوا الآيات بما يوافق معتقدهم والتوكل من أهم المقامات الصوفية وعليها يدور الكثير من أقوالهم لا سيما في التصوف المتأخر حيث اتخذت معنى التجرد من الأعمال والأسباب باسم اسقاط التدبير بل أصبحت قرين التوحيد، من ادعى الاختيار مع الله فهو مشرك مدع للربوبية.

2- **الفناء:** حمل الصوفية معاني هذه الآيات على فكر الفناء في الله "ثم إليه ترجعون" "إنا لله وإنا إليه راجعون" وغيرها من الآيات.

3- **وحدة الوجود:** حمل أبي العربي معاني آيات كثيرة لتؤيد مذهبه في وحدة الوجود واستواء جميع الأديان: منها دعاء نوح، فدعا عليهم بالفناء الصوفي، لا بالهلاك والدمار.

أقام الصوفية اشاراتهم أو تفسيرهم الرمزي على قاعدتين:

الأولى: أن وراء الألفاظ الظاهرة يحتجب المعنى الباطني وتستكن أسرار القرآن التي يعرف الله بمكوناتها القدسية، أي لا ينبغي أن يكون المعنى الظاهر غاية مراد الله من كلامه، من ثم فإن اشاراتهم استكمالا لتفسير لمأثور.

الثانية: أنها لا تحل محل التفسير المأثور ولا تتعارض معه في ليست احالة للظاهر عن ظاهره، فهذا ما أكدوه دائما ليتفرقوا عن الباطنية.

ولكن هاتين القاعديتين لا تكفيان التفسيرات الصوفية[1].

[1] – أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف ، المرجع السابق، ص 43– 53.

ثالثا: في ما ينفرد به التصوف عن سائر مظاهر الفكر الإنساني بعامة والإسلامي بخاصة:

1- في آن التصوف تجربة ذاتية ومنهجه الذوق:

التصوف في جوهره تجربة روحية تخص الصوفي الذي يعانيها ويكابدها، الصوفي المتصل بالله، لا تخضع لحكم العقل ومقولاته، فهم يعترضون كل من يحاول يزن تجاربهم وتعبيراتهم بميزان العقل لأنه مقيد بعالم الشهادة عاجز عن ادراك أسرار عالم الغيب، فإن كانت التجربة الصوفية حالة ذاتية يلزم عن ذلك نتيجتان:

1- أن تتقارب التجارب وفقا لمقام كل صوفي في الطريق، من ثم تختلف تعبيراتهم.

2- أن تتفاوت أحوال الصوفي الواحد في أوقات المختلفة وفقا لاستعداده وحالته النفسية فيقال: الصوفي ابن وقته.

ان منطلق التجربة الروحية هي جوهر التصوف "أنا أريد" وهذه تعني معنيين متناقضين:

1- رغبة عارمة من الوجدان الباطن الصوفي في معرفة الله والاتصال به.

2- أن يسقط الصوفي ارادته تماما فلا يبقى من ذاته فعل ولا حركة ليكون الفاعل والمريد على الحقيقة هو الله[1].

كما يستشعر الصوفي باللذة والألم معا، سعادة غامرة لشعوره بالوجود في الحضرة الإلهية.

كما ملازمة الصوفي تلازم التصوف الحب الإلهي فهو أعلى الدرجات والمقامات والذروة العليا.

ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد[2].

1- يلتمس معنى التصوف في حياة الصوفية لا في منطقهم فهو سلوك عملي لا أقوال نظرية.

2- أن منهج التصوف هو الذوق فألتزموا به رجاله وألزموا به كل من أراد أن يتعرف على طريقتهم.

3- من الطبيعي ألا يكون للعقل مدخل في هذه التجربة الروحية.

---

[1] – أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف ، المرجع السابق، ص54- 59.

[2] – المرجع نفسه، ص72- 73.

4- انفراد التصوف عن سائر مظاهر الفكر منهجا وموضوعا وتفرقتهم بين العلم والمعرفة، فالأول نتاج العقل، والمعرفة ثمرة الذوق.

كما حرص الصووفية على أن يبعدوا الفلسفة، لا سبيل لمعرفة الله تعالى بالعقل فهو دائما مقيد بعالم الشهادة فموضوعهم الوصول إلى الله ومنهجهم الذوق، ووسيلتهم الحب الإلهي وطريقهم تجارب روحية ذاتية[1].

فإن كان ذلك كله من حقهم فإنه لا يحق لهم على الإطلاق أنيفتتنوا على ميادين غيرهم، فلا يحق للصوفي تفسير الكون فمن حق الفلاسفة أيضا أن يعترضوا محاولة الصوفية

فإن كان العقل لا يصلح لمعرفة الله والوصل إليه فإن الذوق بدوره لا يصلح لمعرفة العلم وتفسيره.

وزاد أمر فتئات التصوف على الفلسفة حتى أصبحت نظريات متكاملة في تفسير الوجود والمعرفة والقيم.

1- لا يستطيع الصوفية المتفلسفون أن يدعوا أنهم توصلوا إلى هذه النظريات بمنهج الذوق وأنها تجربة روحية.

2- لا يمكن الحكم على هذه النظريات بأنها تتويج الذوق لعمل العقل.

3- ليست هذه النظريات على الإطلاق الهامات الهية و فيوضات ربانية.

هكذا تعد هذه النظريات بمعيار صوفي بحت شيئا غريبا تماما على التصوف إن لم تكن مسخا له، هنا ارتكب الصوفية المتفلسفون قد ارتكبوا خطأ منهجيا خطيرا في حق التصوف[2].

3-جاء في كتاب كلمة هادئة في التصوف بين الافراط والتفريط لعمر عبد الله كامل في:

الكرامة والولاية:

الكرامة: أمر خارق للعادة، غير مقرونة بدعوى النبوة، ولا هي مقدمة لها، ولا يشترط فيها التحدي كالمعجزة، وهي عبارة عن إكرام الله لولي من أوليائه الصالحين، من أتباع الرسل الملتزمين

[1] - أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف ، المرجع السابق، ص75- 78

[2] - المرجع نفسه، ص 79- 80.

بأحكام الشرع، بما يظهره الله على يديه من أمور وهي ثابتة بأصل الكتاب والسنة، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى في قصة مريم:

"كلما دخل عليها وكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال: أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله، إن الله يزق من يشاء بغير حساب"، وقصة أصحاب الكهف، وغيرها مما ورد في كتاب الله، أو في السنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو في سير الصحابة رضوان الله عليهم يقول ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة والجماعة، التصديق بكرامات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة و التأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة ولتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

ومفهوم الصوفية للكرامة لا يختلف عن هذا المعنى .

يقول الكلاباذي: (أجمعوا على اثبات كرامات الأولياء وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء، أو كلام البهائم، وطي الأرض وظهور الشيء في غير موضعه ووقته)، ويقول: (كرامة الولي بإجابة دعوة، وتمام الحال، وقوة على فعل وكفاية مؤنة يقوم لهم الحق بها، وهي مما تخرج عن العادات)).

ويقول القشيري: (واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والعصمة عن المعاصي ولمخالفات) [1].

ويقول سهل بن عبد الله حين سئل عن الكرامات: (وما الآيات وما الكرامات شيء تنقضي لوقتها، ولكن الب الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك يخلق محمود).

والولي صاحب الكرامة لا يستأنس بهذه الكرامة، بل يتضاعف خوفه وخشيته من الله، فيزداد له تذللا، وخضوعا وطاعة، وشكرا له مخافة أن تكون من قبيل الاستدراج وهذا معناه الكلاباذي في قوله: (وأمنا الأولياء، فإنهم إذا أظهر لهم من كرامات الله شيء ازدادو الله تذللا وخضوعا وخشية

[1] – عمر عبد الله كامل، كلمة هادئة في التصوف بين الافراط والتفريط، ص27.

واستكانة وازراء لنفوسهم وإيجابا لحق الله عليهم، فيكون ذلك زيادة لهم في أمورهم، وقوة على مجاهداتهم وشكر لله تعالى على ما أعطاهم)

ومن خلال مفهوم الصوفية لمعنى الكرامة، فهم يقسمونها إلى قسمين: كرامة الحسية، وكرامة المعنوية.

والكرامة الحسية هي المشتهرة بين عامة الناس، والمتمثلة في حرق الفوائد في الأمور المادية[1].

أما الكرامة المعنوية: فهي لأهل الخصوص من عباد الله والمتمثلة في التوفيق إلى حفظ آداب الشريعة والإستقامة مع الله ظاهر أو باطنا، والتزام مكارم الأخلاق وغيرها من الأمور المعنوية.

والكرامة المعنوية هي الأفضل عند أهل الطريق، وذلك لأنها بداخلها استدراج ولا مكر، ولا يشاركهم في صورتها فاسق ولا عاص بخلاف الكرامات الحسية المعروفة لدى العامة، والتي قد يلتبس بها المكر والاستدراج.

ويذهب معظم الصوفية إلى استجاب ستر الكرامة، إلا إذا كانت لفرض صحيح كنصرة دين الله أو تحيق مصلحة وغير ذلك يقول الشعراني: (إن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة عونات النفس، إلا إن كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة، لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم).

يقول القشيري: (ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلا ناقصا للعادة في أيام التكليف، ظاهرا على موصوفا بالولاية).

ويقول الشعراني: "الكرامة لا تقع إلا على يدمن بالغ في الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية).

وتبقى الكرامة أولا وأخيرا منحة الهية وهبة رحمانية، لا تكتسب بكثرة الطاعات والاجتهاد في العباد بل الفضل لله يؤتيه من يشاء"[2].

4-جاء في كتاب قطب الشهيد عبد السلام بن بشيش في عنصر الزهد والتوكل يقول:

[1] – عمر عبد الله كامل، كلمة هادئة في التصوف بين الافراط والتفريط، المرجع السابق، ص28.

[2] – المرجع نفسه، ص29.

لقد سبقنا أن كتينا عن الورع وفي ترتيب المقامات للصوفية يأتي الزهد بعد الورع ويأتي التوكل بعد الزهد.

وقد تحدث (ابن بشيش) أكثر من مرة، عند الزهد والتوكل وذلك لقوله ناصحا: (لآبي الحسن): عليك بالزهد في الدنيا والتوكل على الله فإن الزهد في الدنيا أصل في الأعمال.

والتوكل على الله رأس في الأحوال:

ولقد كان الصوفية كغيرهم منهم الفقير ومنهم الغني، ومنهم العازف عن الثراء العريض، ومنهم أصحاب الثروات الضخمة التي يؤدون فيها حق الله، وينفقون منها في سبيله انهم يؤتون حق المال يوم حصاده:

"وفي أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم".

ولكن من الأفضل الاستكمال لأركان ومن لم تكن له مال عند الاستطاعة ولكن من الأفضل استكمال ركن الحج أي من الأفضل أن يعمل الإنسان ويكدح ليكون غنيا يستطيع أداء الحج ويخرج الزكاة[1].

ونريد أن نقول من وراء كل ذلك: أن الاسلام لا يكره الغني.

والجو الاسلامي يحتاج إلى أغنياء يذلون من أموالهم في سبيل الله، يزكون ويحجون ويبنون المساجد ويفتحون المدارس ويقيمون المستشفيات ويتصدقون يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج على مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".

[1] – القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش، د. عبد الحليم محمود، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1119، ص72-73.

وقد تحدث القرآن الكريم عن فضل الإعطاء والإنفاق و البذل وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى"، ويقول: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم"[1].

أما عن التوكل فإن الإمام ابن بشيش يقول:

أما التوكل فإنه رأس في الأحوال:

والواقع أن التوكل هو القدم الأول في التصوف بالمعن الدقيق بكلمة "التصوف".

وإذا كان الزهد آثار نقاشا وجدلا فإن التوكل كذلك أثار نقاضا مستفيضا، وأثار جدلا محتوما.

وما كان ينبغي ذلك فإن القرآن الكريم، وإن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسنته الشريفة، إن كل ذلك يبين بما لا شك فيه معنى التوكل ونقول أولا: إن التوكل واجب بنص القرآن الكريم يقول تعالى: "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين"، ويقول: "فإذا عزمت فتوكل على الله"، ويقول: "وتوكل على الي الذي لا يموت"

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترميذي وحسنه: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا"

وروى الشيخان بسندهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى الأقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول لله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ضنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"، ونحب بهذه المناسبة أن نبين وجهة النظر الإسلامية في شيء من الاستفاضة، فيما يتعلق بمعنى التوكل، وفيما يتعلق بصلة التوكل بالحركة وبالعمل.

5-قضية التصوف المنقذ من الظلال للدكتور: عبد الحليم محمود، لطبعة الخامس.

التصوف والشريعة[2]:

التصوف والدين: التصوف صلة بالدين؟

[1] – عبد الحليم محمود، القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش، المرجع سابق، ص76- 77.

[2] – عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، مكتبة الأسرة، ص123.

الاقع: أنه لا يوجد صوفي لايؤمن بالله واليوم الآخر ذلك لأن التصوف لا يخلو من الغاية وغايته دائما روحية: رضاء الملأ الأعلى، حب الله الإتصال به، الفناء فيه ليصبح عارفا به سبحانه تلك هي الأغراض التي يسعى إليها.

زهي إذن مجاهدة ضد النفس والأهواء والشهوات حتى يصل الإنسان إلي جميع الغايات وهذه الغايات تقوده نحو الكمال أو نحو المثل العليا.

ولكن التخلق بأخلاق الله لا يأتي إلا عن طريق الوحي المعصوم فالتصوف الإسلامي لو يوجد إلا باقتداء الصوفية اقتداءا تاما برسول الله –صلى لله عليه وسلم- لقد حبوه واتبعوه وحققوا بذلك قول الله تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"

لقد تناقش الناس كثيرا في كون محمد –صلى الله عليه وسلم- هو القدوة، الصوفية الإسلام بل سخر بعضهم حينما كانوا يسمعون أن محمدا –صلى الله عليه وسلم- أول صورة حملت الصوفية على اقتفاء آثارها والواقع أن التصوف لا يعد أن يكون جهادا عنيفا ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى السمو، أو إلى الكمال الروحي: ليكون عارف بالله وليس من عناصر فكرة الإتحاد أو الوحدة أو الحلول: بل إن فكرة الإتحاد والوحدة والحلول يتبرأ منها الصوفية[1].

بقي الحديث عن القرآن، وقد كثر الكلام فيه أيضا ومحط التراع هو أن القرآن كتاب دنيا وآخرة، يدعو إلى هذه وتلك أو يقول في صراحة وإيجاز: "ولا تنسى تصيبك من الدنيا"، أما التصوف فهو توكل وزهد، وليس له من هذه الحياة الدنيا قليل ولا كثير.

إن القرآن يدعو إلى أن لا ننسى نصيبنا من الدنيا وإلى أن نكون أقوياء أو إلى أن السن بالسن أو الين بالعين والأنف بالأنف والجروح قصاص وإلى ن الجهاد واجب على كل مسلم وأسس القرآن تشريعا الكثير من المشاكل الدنيوية، كذا صحيح.

[1] – عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، المرجع السابق، ص124.

ولكننا لو نظرنا يتأمل لوجدنا أن الحياة الآخرة في نظر القرآن خير وأبقى، وأن أكرمهم عند الله أتقاكم وأن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة والجهاد يدعو إليه الإسلام من أجل الآخرة وهو جهاد في سبيل الله وقد رفع الصوفية ريته خفاقة في كل العصو.

أما أن الصوفي: رجل آخره فقط فهذا أيضا فيه كثير من الوهم، أو على الأقل عدم التحديد، فهذا الصوفي يتزوج ويدعو هو الآخر إلى أم اليد العليا خير من السفلى، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله سبحانه وتعالى من المؤمن الضعيف وأن العيش من كسب حلال طيب: خير من أن يتكفف الإنسان الناس: أعطوه أو منعوه و لكنه مع ذلك يتمذهب بمذهب القرآن "وللآخرة خير لك من الأول"، فمعنى اشاره للآخرة إذن إنما: هو أن يريد بكل عمل من أعماله وجه الله تعالى[1].

السجود:

يروي الإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه عن أبي فراس ربيعة ابن كعب الأسلمي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل الصفة رضي الله عنه قال:

كنت بيت مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فآتيه بوضوئه وحاجته فقال: سلني فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة

فقال: أو غير ذلك؟

قلت: هو ذاك.

قال: "أعني على نفسك بكثرة السجود".

والسجود إذن مما يعني على ترويض النفس لتتزكى وهو بذلك من الوسائل التيتوصل إلى الجنة.

وفي هذا المعنى، يري مسلم أيضا عن أبي عبد الرحمان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسم قال: "سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول: عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة"

[1] – عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، المرجع سابق، ص125- 126.

والسجود الذي يرده رسول الهه صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث ليس هو مجرد الحركة المعروفة وإنما هو: مع هذه الحركة المعنى العميق في النفس الذي يتمثل فيه الخضوع، لهذا الجلال، وهذه العظمة، والإنقياد المطلق لرحمة الله التي تتمثل في الرسالة أوامرها ونواهيها ذلك أن الرسالة الإسلامية في تكاليفها سلبا وإيجابا، إنما هي رحمة للعالمين يقول الله تعالى لرسول صلى الله عليه وسلم، : "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[1].

ويقول رسول الله عيه وسلم: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، ولقيمة السجود الكبيرة عبر عن الصلاة أحيانا بالسجود فصلاة الضحى يسمونها "سجود الضحى"[2]

ومن أجل هذه القيمة أيضا، مدح الله من يعبرون عن خضوعهم لآياته واستجابتهم لأمره يقول الله تعالى: " **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** "[3]والذين هداهم الله واجتباهم" **إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** "[4].

ومن صفات عباد الرحمان التي يزكيهم الله بأنهم " **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا** "[5].

وهناك حادثة من الحوادث قصها القرآن في غير ما وضع منه، تبن لنا كثيرا مما نتحدث به من المعاني الخصة بالسجود، تلك هي حادثة آدم والملائكة "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**"[6]

بهذا النبأ، حدث الله الملائكة عن عالم جديد من عوالمه سيبرؤه سبحانه وأمر الملائكة، أن يسجدوا له.

---

[1] – عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، المرجع سابق، ص164.

[2] – المرجع نفسه، ص165.

[3] – سورة السجدة، الآية15.

[4] – سورة مريم، الآية58.

[5] – سورة الفرقان، الآية 64.

[6] – سورة الحجر، الآية28.

"فسجد الملائكة كلهم أجمعون"، وكان بينهم مختلطا بهم ابليس وهو كائن يخلف عن الملائكة وعن الإنسان إنه من فصية الجن، فلما سمع الأمر الإلهي بالسجود لم يسجد لقد أبى والإباء ضد السجود واستكبر والإستكبار ينافي الخضوع.

ويتحد القرآن ن ذلك في صراحة فيقول: إلا ابليس أبى أن يكون من الساجدين[1].

ساهم المشارقة في إنتشار وظهور التيارات الصوفية ويذهب الكثير من الباحثين إلى أن أصول التصوف الإسلامية ترجع إلى المشرق العربي.

6- الشطحات الصوفية، الدكتور عبد الرحمان بدوي، الجزء الأول، أبو زيد البسطامي

الشطحات الصوفية

أباحت دمي إذا باح قلبي بحبها

وحل لها في حكمها ما استحلت

وما كنت ممن يظهر الستر إنما

عروس هواها في ضميري تجلت

فألقت على سري أشعة نورها

فلاحت الحلاسى خفايا طوبتي

فإن كنت في سكري شطحت فإنني

حكمت بتمزيق الفؤاد المتفتت

في هذا عذاب الصوفي: لقد توقل في معراج السلوك ففني عن كل ما سوى الله وتطهرت روحه من كل ما لا ينتسب إليه، فصار في حال فناء عن وجود السوي، وشهود السوي وعبادة السوي، وتجلى له الحق لأول وهلة فلم يصبر على ما شاهد، بل اندفع يصرخ وهو سكران بحميا الرؤية: أنا أنت، لقد فض له عن الستر الأكبر، فلم يقوى على حمل هذه الأمانة العظمى في باطنه، ففاض لسانه بالترجمة عنها حتى يكون في هذا تصريف لما انطوت عليه من شحنة هائلة وتلك ظاهرة

[1] - عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، المرجع سابق، ص 166.

الشطح "فالشطح كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى" وهو "عبارد مستغربة في وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته[1].

الشطح إذن تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة في خضرة الألوهية، فتدرك أن الله هي وهي هو، ويقوم إذن على عتبة الإتحاد ويأتي نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبه كتمانه فينطلق بإفصاح عنه لسانه وفيه يتبنى هذه الهوية الجوهرية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه فيتحدث على لسان الحق، لأنه صاروا الحق شيئا واحدا، ومن هنا ينتقل الخطاب إلى صيغة المتكلم بعد أن كان في حال المناجاة بصيغة المخاطب، وفي حال الذكر بصيغة الغائب.

وهناك عناصر ضرورية لوجود ظاهرة الشطح هي:

أوا: شدة الوجد وثانيا: أن تكون التجربة تجربة اتحاد وثالثا: أن يكون الصوفي في حال سكر ورابعا: أن يسمع في داخل نفسه هاتفا إلهيا يدعو إلى الإتحاد فيستبدل دوره بدوره، وخامسا: أن يتم هذا كله والصوفي فيحال من عدم الشعور.

أما الشطحة نفسها فتمتاز بعدة خصائص منها أنها بصيغة ضمير المتكلم وإن كان هذا الشرط غير متحقق باستمرار وأنها تبدوا غريب في ظاهرها، لكنها صحيحة في باطنها.

أو على حد تعبير السراج "ظاهرها مستشع وباطنها صحيح مستقيم" ومن هنا تظهر بمظهر الدعوى العريضة الكاذبة[2].

وإذن فقضية العلاج هي التي أثارت مشكلة الشطحات إثارة قوية عنيفة نجد أصداءها المفصلة في كتاب " اللمع" الذي كان قريب عهدها بها، لهذا كرس للشطح الشطحات فصولا طوالا، فيها دافع عنها، وما كان له أن يدافع بهذه الحرارة إلا أنه كان حديث عهد بالجو الملتهب الذي أثارته بمناسبة قضية العلاج ويظهر أن المشكلة قد خبأ وراها في الربع الأخير من القرن الرابع[3].

---

[1] – عبد الرحمان بدوي، شطحات صوفية، ج1،ص09.

[2] – عبد الرحمان بدوي، شطحات صوفية، المرجع سابق، ص10– 11.

[3] – نفسه، ص24– 25.

أو هذا على القل هو ما يمكن أن يستخلص من صمت أبي بكر الكلابذي لمتوفي سنة 380 أو 390ه في كتابه "التعرف" عن الشطحات: ذاكرا لها أو دفاعا أو تبريرا وقد يفيدنا هذا في تأريخ كتاب "المع" توفي السراج سنة 378 ه بأن نجعله ألف في حدود سنة 350ه، وإن لم يكن قبل هذا وهذا يقودنا إلى الحديث عن تاريخ الشطحات فترى أن الصور الأولى لا نجدها عند ابن أدهم وعند رابعة العدوية: ثم تتخذ أول صورة واضحة كل الوضوح عند أبي زيد البسطامي المتوفي سنة261ه، 875م ثم يفصل العلاج القول فيها ويحللها تحليلا نفسيا موغلا في العتق والسبلي يشير إليهلا مرارا "وبعد الشبلي تنذر أحوال الشطح في التصوف الإسلامي وينحدر مستواها.

فالشطحيات المنسوبة إلى الجيلاني والرفعي وابن عربي لا تكاد تبين إذا قورنت بشطيات أسلافهم الكبار.

وسرة الكبرياء التي ت... عند البسطامي والتستري تقودهم إلى افصاح بعبارات صبيانية إلى درجة جد مؤسفة "قدمي على عتق الأولياء" "أنا عرش الله".

أما رابعة العدوية فالكلمات التي وردت عنها مما يندرج في باب الشطح لا تعد بعد من الشطح إلا في معناه[1].

7- جاء في كتاب التصوف مشكاة الحيران لعبد الحميد الجوهري عن التصوف[2]:

من الناس من يغلو في حق التصوف دفنهم من يغلو في رفعه، ومنهم من يخرجه عن حد المعقول، ومنهم من يراه ضربا من يسرف في طعن أهله لدرجة الزندقة.

حياة التصوف يتأملها المتأمل، ويتذوقها المحب وينعم بها العابد ويعجز عن وصفها قلم كاتب، إنها وثبة ونشوة ومناجاة وخلوة وإلهامات فوق ما يتصور الخيال. ولقد هتف أحد رجالها يوما "إن قلبي يسكن اليوم عالما لا يعرف غيري عنه شيئا، ولو سئلت ما بي لأعجزني أن أجيب".

وكلمات المتصوف ألحان من قلبه، وهتف أنغام من فيضه، ورسالة نابعة من روحه.

---

[1] - عبد الرحمان بدوي، شطحات صوفية، مرجع نفسه، ص25- 26.

[2] - عبد الحميد الجوهري، مشكاة الحيران، ص10.

فالتصوف الإسلامي تصوير ملون وآداب إسلامية، وخاصة فضائل أحمدية وزكاة علوم ومعارف إنسانية.

والتصوف هوجو هجوما عنيفا من طرف رجال الفكر والعلم على كل الواجهات من طرف واحد، ومع ذلك بقي سائرا في هدوء ممن غير مبالاة[1].

قال فيه الماديون إنما هي حياتنا الدنيا نموت ولا نحيا ولا يهلكنا إلا الدهر، وكذبوا بكل الرسائل والروحانيات فصدقت عليهم الآية "**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**"[2]، وقال الفلاسفة ما قالوا من نكران، وعابوا عليهم التفرغ والزهد والإنقطاع إلى الله غير أن الصوفية رفضوا النقاش معهم بحكم أنهم لم يتفقوا بآرائهم في الإلاهيات وغيرها بأي عقلية يتبعونها؟ وأي عقل معصوم؟ وأي عقل يمكن الإعتراف به أنه وصل الكمال حتى يأخذوا منه الرأي والإطمئنان.

وعلماء الإجتماع هم أيضا تهكموا على الصوفية وأسرعوا وقالوا بأنها غير صالحة للحياة اليومية ولا يقوم عليها نظام[3].

الألفة والمحبة والعشق:

الألفة من حسن الخلق وحسن الخلق لا تخفى فضيلته في الإسلام، قال تعالى مخاطبا نبيه: " **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**"[4] .وقال رسول الله صلى الله عليه وسك: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وما أحسن الألفة إذا كانت رابطتها التقوى وحب الله، قال تعالى: " **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**"[5] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا الموطئون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون" وقال أيضا: "المؤمن إلف مألوف

[1] – عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، المرجع السابق، ص10.

[2] – الآية 44 من سورة الفرقان.

[3] – عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، المرجع السابق، ص11.

[4] – سورة القلم، الآية04.

[5] – سورة الأنفال، الآية 63.

ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"، قال مجاهد: المتحابون في الله إذا ألقوا بعضهم إلى أن ... عنهم الخطايا كما ينحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس[1].

وأما المحبة فهي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، وهي لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسل، كما قال الله سبحانه وتعالى: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**"[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين" وفي رواية "ومن نفسه" وقيل عن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاء ليقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض، ومندعائه صلى الله عليه وسلم: "اللهم أرزقني حبك وحب من أحبك وحبا يقربني إلى حبك، وإجعل حبك لي من الماء البارد" وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال أبو سليمان الدرداني: إن من خلق الله خقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه، فكيف يشغلونه عنه في الدنيا؟ ويروى أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد ... أبدانهمو تغيرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخالق ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد تحولا وتغييرا فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد تحولا وتغيرا كأن وجوههم منور، فقال: ما لذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: نحب الله عز وجل، فقال: أنتم المقربون، أنتم المقربون.

ومن أحوال المحبة والأنس البسط والقبض والمراقبة والهيبة والفناء والبقاء والمشاهدة إلى غير ذلك، فمقام المحبة تدخل فيه هذه الأحوال ولدقة معنى هذا المقام عن الأفهام فإني أفضل أن لا أخوض فيه أكثر، وإنما ألمح إليه بأقوال عارفيه.

---

[1] – عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، المرجع السابق، ص131.

[2] – سورة البقرة، الآية 165.

ومقام العشق هو أقصى مقامات الذهول .... الحس والإتصال بالعالم الروحاني، فإذا وصل العبد إلى هذا لمقام طلع على أسرار الغيب وأخبر معانيه وانكشف له الغطاء، وهذا الإتصال يختلف فإن كان بالأنوار القدسية كان الإخبار بالغيب كلي، وإن كان بالنفوس الجزئية كان الإخبار عن الغيب جزئي وهو غيب المحبوب لإتصال النفس[1].

[1] – عبد الحميد الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، المرجع السابق، ص132.

الفصل الثاني: مصادر التصوف والمراجع المحلية بالغرب الإسلامي

لقد دخل التصوف إلى بلاد المغرب عبر بوابة التصوف المشرقي فإنه كان في البداية متناثرا وكان يتسع .... الفردية كل متصوف يغرق في زهده لوحده ويتعبد لوحده فصحيح أن أعلام التصوف في المغرب أمثال: عبد القادر الجيلاني، ابي مريم المديوني التلمساني، الأسدي الدباغ، أبو طالب المكلي كانوا أقل تأليفا في الفكر الصوفي، اليوم شغل حيزا مهما في مواجهة المشهد الديني في المغرب.

المبحث الأول: المصادر المغربية.

1- مصدر: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي عرف بابن الزيات 617ه، تحقيق: محمد التوفيق (1404- 1984)

في أثبات كرامتهم:

أعلم أن كرامات الأولياء جائزة عقلا ومعلومة قطعا، وممن قال بها إمام المتكلمين القاضي أبو بكر بين طيب فقال: ان المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء، وقال إمام الحرمين: المرضي عندنا تجويز خوارق العادات من معارض الكرامات، وذكر الإمام أبو حامد، رحمه الله تعالى كرامات الأولياء فقال: ذلك مما لا يستحيل في نفسه لأنه ممكن لا يؤدي إلى محال. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: أما كرامات الأولياء فجائزة عقلا وواردة سمعا ومن أعظم كرامات الله تسيير أسباب الخير وإجراؤه على أيديهم وتعبير أسباب الشر عليهم، وحيثما كان التيسير أكثر كانت الكرامات ... وما ينقل عن صالحي هذه الأمة أكثر من أن يحصى وهي بآحادها إن لم تفدنا علما بوقوعها فهي بمجموعها أفادتنا علما قطعيا ويقينا صادقا بأن خوارق العادات تظهر على أيدي أصحاب الكرامات، واعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة للنبي إذ كان الولي في معاملاته تابعا لذلك النبي فكل ما يظهر في حقه فهو دليل على صدق صاحب شريعته، فلا تكون الكرامات قادحة في المعجزات بل هي مؤيدة لها، دالة عليها راجعة عنها، عائدة إليها ثم قال: قال الله تعالى: " **إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**"[1]، وليت شعري أي كرامة تزيد على نيل الفرقان بين الحق والباطل وسبيل النجاة والهلاك[2].

اعلم أن الكرامات إنما هي لأهل اليقين دون غيرهم، وقال أهل اللغة: اليقين: زوال الشك، خرج الطبري عن أبي أمام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقيع الغرقد فوقف على قبرين توءمين فقال: أدفنتم فلانا وفلانة؟ أو قال: فلانا وفلانا؟ قالو نعم يا رسول الله، قال: قد أقعد فلان

[1] – سورة الأنفال، الآية: 29.

[2] – ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: محمد توفيق، ص54- 55.

الآن يضرب، ثم قال: والذي نفسي بيده لقد ضرب ضربة ما بقي منه عضوا إلا انقطع ولقد تطاير قبره نارا ولقد صرخ صرخة سمعها الخلائق إلا الثقلين الإنس والجن، ولولا تمريج في قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتهم ما أسمع.

ثم قالوا: يا رسول الله ما ذنبهما؟ فقال: أما فلان فإنه كان لا يستبرئ من البول وأما فلان أو فلانة فكان يأكل لحوم الناس، والتمريح، التخليط، ومنه مرجت عهودهم إذ خلطوها و لم يوفو بها.

وقال صاحب المجمل: الناقة تمرج أي تزيد في مشيها إذا تكلفت فوق ما ينبغي، وخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني عن حسن الصنعاني عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما قرأت في أذنه؟ فقال: قرأت: " **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**"[1]، حتى ختم السورة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وخرج عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة، قال: كان مطرف بن عبد الله بن السخير وصاحب له سريا في ليلة مظلمة فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء، فقال لصاحبه: أما أنا لو حدثنا الناس بهذا كذبونا، فقال مطرف: المكذب أكذب يقول المكذب بنعمة الله أكذب[2].

انما ذكرت من الكرامات ما ورد عن الصحابة وكبار التابعين لأن كثيرا من المنكرين لها يقولون: لم يرد شيء من هذا عن الصحابة فكيف يصح عن غيرهم ولو قصدت استيعاب ما ورد منها عن الصدر الأول لكان كتابا منتقلا و انما ذكرت المشهور المنقول من الأمهات وقد نسبت كل خير منها إلى مخرجها لأخرج عن عهدته والله تعالى هو المسؤول والمأمور أن يهدينا إلى سواء السبيل.

[1] – سورة المؤمنون، الآية115.

[2] – ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق، ص55– 56.

قال قوم: إن الخضر عليه السلام، نبي لقوله تعالى: " **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي** "[1] وقال انه ولي وليس لأحد من الفريقين دليل قاطع وهوكما قال الله تعالى عنه في قصة موسى وفتاه: **فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** "[2] وزعم قوم أنه ميت لقوله تعالى: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد"[3]، وليس لهم في هذا دليل قاطع، وقد أطبق الصالحون عن التحدث برؤيته والحديث معه، ونقل ذلك علماء المسلمين وأئمتهم، وخرج الحارث بن أبي أمامة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخضر في البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس ويأجوج ومأجوج ويحجان في كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل.

وطعامهما الكرفس وخرج بقي بن مخلد في مصنفه عن رباح بن عبيدة قال: صلى بنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، فلما انصرف إذا بشيخ يتوكأ على يده فقلت في نفسي: إن هذا الشيخ جاف يتوكأ على يد الأمير قال فقلت: أصلح الله الأمير، من الشيخ الذي يتوكأ على يدك؟ قال لي: أفرأيته يا رباح؟ قال: قلت نعم، قال: أحسبك يا رباح رجلا صالحا ذلك أخي الخضر أتاني وأعلمني أني سأولى هذا الأمر وأعدل فيه[4].

وخرج بقي بن مخلد في مسنده بسند إلى أنس بن مالك قال: بينما نحن نطوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأينا بردا ويدا فقلنا: يا رسول الله ما هذا البرد الذي أينا واليد؟ قال: وقد رأيتم ذلك؟ قلنا: نعم، قال: ذلك عيسى ابن مريم سلم علي. خرج البخاري عن أنس أن رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم، في ليلة مظلمة فإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما وفي طريق آخر له: كان أسيد بن حفير وعباد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرزاق في مصنفه: أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس أن أسيد بن حضير ورجلا من الأنصار

---

[1] – سورة الكهف، الآية 82.

[2] – سورة الكهف، الآية65.

[3] – ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق، ص56

[4] – المصدر نفسه، ص57.

تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة وكانت الليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عنده ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوءها حتى إذا افترق بهما الطريق أضاءت لآخر عصاه فصار كل واحدمنهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله وخرج البخاري عن قتادة قال: أخبرنا أنس أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، سريا في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما ضوء حتى أتى أهله.

خرج الترميذي عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم نها عن الكي، قال: فابتلينا فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا. قال: أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال أبوعمر بن عبد البر: يقول عنه أهل البصرة إنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه فاكتوى، وقال مطرف بن عبد الله: قال لي عمران بن حصين: كانت تسلم علي ،يعني الملائكة حتى اكتويت فلما اكتويت رفع عني فلما تركته عاد إلى يعني تسليم الملائكة، يعني لما ذهبت أثر النار عادت إلى السلام عليه[1].

2- كتاب قوت القلوب لأبو طالب المكي:

كتاب فضل الصلاة في الأيام والليالي:

ذكر ما جاء في صلاة من الفضائل:

ذكر صلاة يوم الأحد[2]:

وروي عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله عز وجل بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه ثواب بني كتب له حجة وعمرة وكتب له بكلل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله عز وجل في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر، وروينا عن علي عيه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وحدوا الله تبارك وتعالى بكثرة الصلاة في يوم الأحد فإنه سبحانه

[1] – ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، المصدر السابق، ص60.

[2] – أبوطالب المكي، قوت القلوب، ص39.

وتعالى واحد أحد لا شريك ل، فمن قرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك، ثم تشهد وتسلم، ثم قام فصلى ركعتين أخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله تبارك وتعالى حاجته كان حقا على الله سبحانه وتعالى أن يقضي حاجته ويبرئه مما كانت النصارى عليه.

ذكر صلاة يوم الإثنين:

روينا عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى يوم الإثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد مرة، والمعوذتين مرة فإذا سلم استغفر الله عز وجل عشرة مرات وصلى الله على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله عزو جل له ذنوبه كلها[1].

ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الإثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فإذا فرغ من صلاته قرأ اثنتي عشرة مرة قل هو الله أحد واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فيأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطي من الثواب ألف حلة، ويتوج ويقول له أدخل حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ.

ذكر صلاة يوم الثلاثاء:

يزيد الرقاشي عن أنس بنمالك قال: قال رسول الله صلى اله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار ثم يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فإن مات إلى سبعين يوما مات شهيدا، وغفر له ذنوبه سبعين سنة.

ذكر صلاة يوم الأربعاء:

[1] – أبوطالب المكي، قوت القلوب، المصدر السابق، ص40.

أبو ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرض يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع اله عز وجل عنه عذاب القبر وضيقته وظلمته ودفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي[1].

ذكر صلاة يوم الخميس:

روينا عن عكرمة عن ابن العباس قال، قالك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة آية الكرسي وف الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة قل هو الله أحد ويصلي على النبي مائة مرة وأعطاه الله عز وجل ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله عز وجل وتوكل عليه.

ذكر صلاة يوم الجمعة:

روينا عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يوم الجمعة صلاة كله مامن عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين إمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله تبارك وتعالى له في الجنة ثمنمائة درجة وغفر الله ذنوبه كلها ومن صل اثنتي عشرة ركعة كتب الله عز وجل له ألفا ومائتي حسنة ومحا عنه ألفا ومائتي سيئة، ورفع له في الجنة ألف ومائتي درجة.

[1] – أبوطالب المكي، قوت القلوب، المصدر السابق، ص41.

أبو صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح يوم الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس الأعلى سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة[1].

ومن صلى العصر في جماعة فكأنما اعتق ثمانية من ولد اسماعيل كلهم رب بيت، ومن صلى المغرب في جماعة فكأنما حجة مبرورة وعمرة متقبلة.

نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة فإنه لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له.

ذكر صلاة يوم السبت:

سعيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، فإذا فرغ وسلم قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة، ورفع له بكل حرف جر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء[2].

ذكر رياضة المريدين في المأكول وفضل الجوع وطريقة السلف في التقلل والأكل:

كان أبو ذر يقول في بعض أذكاره قد غيرتم بنخلكم الشعير و لم يكن منخ، وخبزتم المرقق وجمعتم بين أدمين، واختلف عليهم بألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب، ورجع في آخر، و لم يكونوا هكذا في عهد رسول صلى الله، وكان يقول قوتي في كل جمعة صاع من شعير والله العظيم لا أزيد عليه حتى ألقاه.

وكان أبو ذر يقول أيضا كان قوتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا في كل جمعة، والله العظيم لا أزيد عليه حتى ألقاه، فهذا ايون في كل يوم رطل أو نحوه، والأصل في جمل م

[1] – المصدر نفسه، ص42.

[2] – أبو طالب المكي، قوت القلوب، المصدر السابق، ص43.

ذكرناه من الترتل في القوت م رويناه أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل سمين فأومأ إلى بطنه بأصبعه، فقال لوكان هذا في غير جوفك لكان ذلك خيرا لك.

وقد روينا عن أبي سعد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا تغدى لم يتعشى، وإذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة.

ويقال إن الجوع ملك والشبع مملوك، إن الجائع عزيز والشبعان ذليل، وقيل الجوع عز كله، والشبع ذل كله، وقال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لكل شيء بابا وباب العبادة الصوم، والخبر المشهور صوموا تصحوا فصحة القلوب من علل الرؤوس أعلى وحسن من صحة الأجسام من علل على الأسقام[1].

قال أبو سعيد معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا في الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة، فمنهم من يجوع ورعا إذا لم يصب الشيء الصافي، ومنهم من وجد الشيء الصافي فتركه زهدا فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ومنهم من استلذ العبادة والنشاط بها والخفة فرأى النيل من الطعام والشراب قاطعا له وشغلا عن الخدمة والخلوة.

وحدوثنا عن بعض هه الطائفة قال: أتيت قاسما الجوعي فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال لي أي شيء فيه؟ فقلت قالوا الزهد قصر الأمل، فقال وأي شيء سمعت فيه؟ فقلت قالوا الزهد ترك الادخار فقال حسن، حتى عددت عليه أقوالا فسكت، فقلت أي شيء تقول أنت، فقال: أعلم أن البطن دنيا العبد وبمقدار ما يملكه من بطنه يملك من الزهد، وبمقدار ما يملكه بطنه تملكه الدنيا[2].

ويستحب للعبد إذا كان جائعا فتاقت نفسه إلى الجماع أن لا يأكل لئلا يجمع لنفسه بين حظين فيطلبهما، فبما طلبت الجماع للتعفف وهي تريد الأكل لتنبسط به إلى الجماع، وفي الجمع شهوتين تقوية النفس وإجراء عادة لها.

---

[1] – أبوطالب المكي، قوت القلوب، المصدر السابق، ص 674.

[2] – المصدر نفسه، ص675.

والعارفون ليس لهم في الأكل تجربة وتقسيم إذ أطعموا تقللوا وشكروا، فإن رأو له مكاننا آثروا، وإن جوعوا عملوا وصبروا.

وقد روينا عن ابن عمر أنه قال ما تأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز، فإن كان لا بد من تفكه بفاكهة مع الخبز الذي هو قوت النفس[1].

3- وجاء في كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان صنفه أبو زيد، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ (605- 696ه) أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي الشنوخي (839ه) تصحيح وتعليق: ابراهيم شبوح، ج1:

حرر هذا الكتاب عالمان جليلان على التوالي، ألفه أولا أبو يزيد عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي، نسبة إلى أسيد بن حضير رضي الله عنه، واشتهر بالدباغ ولد سنة 605ه، وكان متميزا في المعقول والمنقول، أخذ عن والده وعن أبي عبد الله الخنفي وعثمان بن شقر وأبي العباس البطرني، وقد بلغ عدد شيوخه أكثر من ثمانين شيخا كم ذكره في برنامجه.

وقد ترجم في كتابه "معالم الايمان في معرفة أهل القيروان" لمن كان في زمنه من الأشياخ، وأثنى عليه العبدرى في رحلته حين اجتمع به عند دخوله إلى القيروان سنة 688ه، وأحراه وقال: لم نجد بالقيروان من يعتبر وجوده عداه وكانت وفاته سنة 696ه.

وكتاب المعالم يعتبر مرجعا وثيقا في التراجم، والحياة الثقافية العامة بالقيروان، كما يتضمن إفادات عامة كثيرة عن رجال الفتح، ومن دخلها من الصحابة والتابعين، ونخبة القادة الموفقين، وكثيرا ما كان يذكر المعارف التاريخية عن تخطيطها ومعالمها وعادات أهلها، وحاراتها وأسواقها، في معرض أحاديثه عن المترجم لهم، ومدينة القيروان جديرة بعناية الباحثين المؤرخين، فقد كانت مهد الحضارة والعلم. كما كانت مصدر اشعاع بلحركات العلمية والأدبية والفكرية إلى جميع بلا افريقية وكتاب المعالم من أكمل مصادر البحث في هذا الشأن، وقد عرف الدباغ بالأمانة والثقة فيما ينقله ويحرره.

[1] - نفسه، ص676.

وبعد الدباغ أتى أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني، وقصد إلى كتاب معالم الإيمان فأضاف إليه زيادات تكميلية تتعلق بموضوعه، كانت لها قيمتها وأهميتها[1].

وكانت ولادة ابن ناجي هذا بالقيروان، وفيها نشأته، وبها قرأ القرآن على الفقيه أبي محمد عبد السلام الصفاقسي وعلى عمه خليفة بن ناجي.

أخذ العلم عن الشبيبي والبرازلي ومحمد بن قليل الهم ومحمد بن فندار ومحمد بن يحي الفاسي وأحمد بن سلامة وابن قيراط وسكن بالزاوية العوانية بمدينة القيروان، وأقام بداره إمام مسجد التلالسي قاصدا إما الباب الجديد مغربا، وإما سيدي نصر بن العابد مشرفا.

وقرأ رحمه الله بالحاضرة على ابن عرفة والغبريني والأبي والزغبي والوانوغي وأبي القاسم القسنطيني والعواني وعمى المسراتي، وقد كان معروفا بالعلم والعمل، واشتهر من صغره بالحفظ حتى سمي حافظ المذهب.

ولى الخطابة بجامع الزيتون بالقيروان وكان يحرر خطبه بنفسه، ويتأثر لسماعها الحاضرون، ويجددها كل جمعة.

وأسندت اليه خطة القضاء يجربه ثم بباجة مع الخطابة بجامعها، ثم بالأرض ثم بسوسة ثم بقابس ثم تبسة، ثم القيروان، وسار في جميعها سيرة أهل العدل.

م وفاته فقد كانت في رجب عام 839ه، كما جاء برسم وفاته الذي حرره الشيخ عبد الحفيظ الفرياني، لا في عام 837ه كما ذكره الونشريسي والكهاني، وكتاب معالم الإيمان وكان قد سبق طبعه بالمطبعة الرسمية بتونس في أربعة أجزاء، واشتملت تلك المطبعة على تحريف كثير[2].

ذكر فضل افريقية:

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي الشنوخي، صححه وعلق عليه ابراهيم شبوح، ج1، مكتبة الخانجي بمصر 1998م، ط2، 1968- 1388، مطبعة السنة المحمدية، شارع شريف باشا الكبير، عابدي، ص4.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص5.

روي عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لايزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة[1].

وعن أبي عبد الرحمان الحبلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينقطع الجهاد من البلدان، فلا يبقى إلا موضع من المغرب يقال له افريقية، فبينما القوم بإزاء عدوهم نظروا إلى الجبال قد سيرت فيخرون لله سجدا، فلا يترعهم أخلاقهم- يعني ثيابهم- إلا خدمهم في الجنة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بساحل افريقية باب من أبواب الجنة يقال له المتسير، من دخله فيرحمه الله، ومن خرج منه فبعفو الله.

ذكر القيروان وما ورد بها:

قال: أما القيروان فهي البلد الأعظم، ولمصر المخصوص بالشرف الأقدم قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب، وقطرهم الأفخر الذي اصبح لسان الدهر عن فضله يعرب ويشرفه يغرب، قراره الدين والإيمان، والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة اوثان، قبلتها ول قبلة رسمت في البلاد المغربية، وسجد فيها لله سرا وعلانية، ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبينا —صلى الله عليه وسلم- ومحط رحالهم ومعلقهم للإسلام المقصود إليها بسيرهم وأثقالهم، والبقعة التي تخيروها مقرا للإسلام والمسلمين، مصرا مؤنسا على التقوى إلى يوم الدين، دار هجرة المغرب، والتربة المقدسة التي ضمت شعر المصطفى فأصبحت به قسيمة يثرب، وقد كان الشيخ الصالح الفقيه، أبو مهدي عيسى الصملي ابن مرزوق سافر إلى المشرق، وجاور ... إحدى عشرة حجة، فبعث إلى أن وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة: المدينة، ومكة وبيت المقدس، والقيروان، وطنا ببركة دعائهم، لعلماء المسلمين، وبقعة خير بقاع الصالحين ولقد روينا بإسنادهم، أن عقبة بن نافع —رحمه الله- حين جمع أهل القيروان عليها فيقولون في دعائهم اللهم املأها علما وفقها، وعمرها بالمطيعين لك والعابدين[2].

[1] – المصدر نفسه، ص6.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق،ص 7.

وقال: وأما فضل القيروان عموما فمعلوم، على تعاقب الزمان، متداول بين الأمم لا يختلف فيه اثنان، وجالت في أرجائه منهم أفضل الجيوش والكتائب، وعلى أيديهم أسلم سائره، والقدوة لسائر المسلمين، مصابيح الظلام، والجهاد لإعزاز الدين، وجادلوا باللسان في تقرير الدين وتثبيت قواعد اليقين.

تعريف بناة المساجد:

حنشى الصنعاني: حنش بنعبد الله بن عمرو بن حنظلة أبو رشيدين النسبائي الصنعاني كان تابعا وقاتل إلى جانب علي بن أبي طالب وهو من بنى جامع قرطبة والجامع الكبير في سرقسطة حدث عن: فضالة بن عبيد، وأبي هريرية وإبن عباس ورويفع بن ثابت وأبي سعيد وحدث عنه إبنه: الحارث وقيس بن الحجاج، وعبد الله بن هبيرة وخالد بن أبي عمران وربيعة بن سليم وعدة نزل إفريقية مرابطا وتوفي سنة مائة وثقه لعجلي[1].

علي بن رباح للخمي: أما أهل مصر فيقولون علي بن رباح أما أهل العراق فيقولون علي بن رباح، وكان ثقة روي عن عمر بن العاص وغيره، علي بن رباح اللخمي من أهل مصر كنيته أبو موسى وهو الذي يقال له علي، روي عنه الحارث بن يزيد الخضرمي ويزيد بن أبي حبيب وأبو هاني الخولاني.

أبي ميسرة: عمر بن شرحبيل وهو أبو ميسرة الهمداني.

الحلبي: ويرجع تسميتها إلى الشيخ عبد الرحمان الحلبي والذي ولد بحلب[2] وتفقه بحلب ثم القاهرة وتولى القضاء بمنطقة البحيرة[3].

ذكر مساجد القيروان السبعة القديمة الفاضلة:

مسجد الأنصار:

---

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص24.

[2] – أنظر معجم البلدان، مج2، حلب: بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء وحلب في اللغة، مصدر فولك الحبة، أحل، حلبا وهربت هربا وطربت طربا.

[3] – المصدر نفسه، ص25.

أولها في الفضل والوضع مسجد انصار، المشهور بالفضل المعلوم بالخير وهذا المسجد بمحرس الأنصار وعليه بني هذا المحرس، و لم يزل الصلحاء والأبدال يتناوبونه ويعمرونه، وله بركات مشهورة.

مسجد الزيتونة:

قال: المسجد الثاني مسجد اسماعيل بن عبيد الأنصاري، تاجر الله وهو المسجد المعروف بمسجد الزيتونة وهو معروف بالخير والفضل، مشهور بإجابة الدعاء فيه، وهو مسجد كبير جليل، بني هذا المسجد سنة ثلاث وتسعين، بناه اسماعيل المذكور، وبهذا المسجد كان أهل القيروان يجمعون إذا كان بجامع عقبة، وهذا المسجد هو اليوم بخارج سورها المحدث بعد القديم، من الجانب الغربي، ودائر به ربض أولاد غيث، وفيه من الناس نحوا المئتين، وكانوا يدخلون المدينة لصلاة الجمعة بجامعها.

مسجد أبي ميسرة:

المسجد الثالث وهو المنسوب الآن إلى أبي ميسرة الفقيه أحمد بن نزار الزاهد بناه بعض التابعين ثم جدده بعد ذلك حسن ابن محمد بن واصل التميمي، تعرفه العامة بمسجد ابن غلاب والفقهاء يعرفونه بمسجد أبي ميسرة.

وذكر الشيخ الدباغ بقية المساجد السبعة، وهي غير معلومة المكان، وهي المساجد السبعة المشهورة بالفضل، وهي أقدم المساجد بالقيروان لأنها خطة في أول خطة.

وبعد هذه ثلاثة مساجد خطها التابعون، منها:

مسجد الحبلي:

مسجد أبي عبد الرحمان الحبلي بدرب أزهر قرب باب تونس المعروف بأولاد غيث.

مسجد حنثى الصنعاني

وبعد مسجد حنثى بن عبد الله الصنعاني بباب الريح[1].

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص27.

مسجد علي بن رباح اللخمي:

ثم مسجد علي بن رباح اللخمي، جوار باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج

مسجد السبت:

وبعد هذا المسجد الست، ويعرف بمسجد الدمنة، وهو بالمدينة منسوب لأبي محمد لأنصاري الدمني الضرير وهذا المسجد يلاصق السور القديم من الجبلي[1].

مسجد الخميس:

ثم مسجد الخميس بالقرب منه، بناه أبو اسحاق ابراهيم بن المضاء الزاهد صاحب سحنون، بالدمنة أيضا ويجتمع بهذا المسجد الصلحاء والقراء وأهل الخير[2].

مسجد عبد الله:

ذكر بعض المؤرخين مثل أبي بكر المالكي، وأبي عبد الله محمد ابن يوسف الوراق: مسجد عبد الله قيل هو عبد الله بن الزبير وقيل عبد الله بن سعد ن أبي تسرح وذكر أن باب عبد الله بهذا إنما سمى بعبد الله الزبير.

ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضي الله عنهم:

أول جيش نزل القيروان من جيوش المسلمين هو: جيش عبد الله بن أبي سرح القرشي العامري في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما، سنة سبع وعشرين ثم جيش معاوية بن خديج السكوني ثلاث مرات ولى ذلك سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه أيضا، ثم عقبة بن عامر الجهني ثم رو يفع بن ثابت الأنصاري سنة سبع وأربعين ثم عقبة بن نافع الفهري سنة خمسين، وفيها اختط القيروان وفي كل جيش من هذه الجيوش تنزل طائفة بأرض القيروان.

[1] – المصدر نفسه، ص30.

[2] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص31.

واستقامت افريقية كلها وأمه أهلها وقطع الله عز وجل مدة أهل الكفر وصارت القيروان دار اسلام وجميع مدن افريقية إلى يومنا هذا وإلى أخر الدهر إن شاء الله تعالى وذلك ببركة من اختطها ودخلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم أجمعين[1].

ونحن نذكر من نزلها منهم معتمدين في ذلك على ما نقله ثقات الرواة فمنهم:

أبو عمرو، البهلول بن راشد الحجري ثم الرعيني مولاهم رحمه الله تعالى :

قال: روى عن مالك بن أنس، والثورى، والليث بن سعد، ويونس بن زيد، وموسى بن علي بن رباح اللخمي، والحارث ابن نبهان، وعبد الرحمان بن أنعم وسمع منه: سحنون بن سعيد، وعبد المتعال، وعبد الله مسلمة القعنبي، وعون بن يوسف، وأبو زكريا الحفري، ويحي بن سلام، وغيرهم.

قال: حدثنا: القعنبي، قال: حدثنا البهلول بن راشد: عن يونس بن زيد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا اشراف فخذه[2].

ذكر ثناء العلماء عليه:

قال المالكي: فضله أشهر من أن يذكر.

قال: روى أنه دخل على مالك بن أنس، هو وعبد الله بن غانم وعبد الله بن فروخ، فقال: مالك للبهلول: هذا عابد بلده، وقال لعبد الله بن عمر بن غانم: هذا قاضي بلده، وقال لإبن فروخ: هذا فقيه بلده، فكان كما قال رحمه الله.

وقال القعنبي: حدثني البهلول بن راشد، وكان وتدا من أوتاد الأرض[3].

---

[1] – معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، مصدر نفسه، ص32– 33.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص33.

[3] – المصدرنفسه، ص264.

وقالت غزيل سرية البهلول: ما رأيته نزع طوقه من عنقه ثلاثين سنة

وكان البهلول يقول: والله إني لأستحي من الله عز وجل أن تكون الملائكة لطوع له مني.

وكان سحنون يقول أنا اقتديت في ترك السلام على أهل الأهواء، وترك الصلاة عليهم يفعل البهلول.

وعن الشيخ أبي سعيد بن الحداد رحمه الله، أنه قال: ما كان بهذا البلد أخذ قوم بالسنة من رجلين: البهلول بن راشد في وقته، وسحنون سعيد في وقته

قال المالكي: قال سحنون: البهلول كان رجلا صالحا، و لم يكن عنده من الفقه ما عنده غيره، نفعنا الله به، وذكر رجلا آخر قد صحب السلطان، فقال: بحر من البحور ما نفعه الله يعلمه[1].

روي أنه كان عند البهلول بن راشد طعام، فغلا السعر، فأمر به فبيع ثم أمر يشتري له ربع (قفيز)، فقيل له تبيع ثم تشتري؟ فقال: نفرح إذا فرح الناس، ونحزن إذا حزن الناس.

وعن سعدون بن أيان، عن دحيون: قال: كنت بالمدينة فإذا رجل يسأل أهاهنا رجل من أهل افريقية؟ فقلت له: أنا، فقال: من أهل القيروان؟ قلت: نعم، قال: أتعرف البهلول؟ قلت: نعم فدفع إلي كتابا وقال أوصله إليه، فدفعت إليه الكتاب ففتحه، فإذا فيه من امرأة من هل سمر قند خراسان: أنا امرأة مجنت مجنونا لم يمجنه إلا أنا، ثم اني تبت إلى الله عز وجل، وسألت عن العباد في أقطار الأرض فوصف لي أربعة، بهلول بافريقية رابع الثلاثة، فسألتك بالله يا بهلول إلا سألت الله أن يديم لي ما فتح فيه، فسط الكتاب من يده وخر على وجهه فلم يزل يبكي حتى لصق الكتاب بطين دموعه، ثم قال: يا بهلول، ذكرت بسمرقند خراسا؟ الويل لك يا بهلول إن لم يستر عليك يوم القيامة.

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص265-266.

قال البهلول ذكرت قول الله تعالى: "**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** " [1].

المراد من هذه الآية إنما هو الموادة في الدين وأما الموادة في المعاملة في الدنيا فغير داخلة في الآية، وبذلك على هذا إباحة نكاح الكتابية، ولا شك أنا إذا تزوجناها ملنا إليها ووددناها وما ذكره النصراني في قوله: ونحن نتقرب إلى الله يالبهلول كذب منه ومداهنة وإظهار غثية.

وقال يوما لرجل: والله لو كانت للذنوب رائحة ما جلست إلي ولا جلست إليك.

وقيل أن امرأة رأت البهلول فقالت: سماعك بالمعيدي خير من أن تراه.

فقال البهلول: هذه امرأة عرفتيني.

ذكر الشيخ الدبغ رحمه الله لما عرف بمعتب بن رباح لأنه دخل على البهلول في مسجده، فقال له البهلول/ يا أبا أحمد، ما جاء بك؟ فقال له: يا ابا عمرو، قد عزمت في هذا العام على الخروج إلى الحج، فقال له: يا ابا أحمد، أما كنت حججت؟ قال: نعم، ولكني اشتقت إلى بيت الله الحرام وإلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال البهلول: كم هيأت لخروجك؟ قال: مئة دينار، قال له البهلول: فهل لك أن تأتيني بها فأصرفها في مواضع، وأضمن لك على الله عشر حجج مقبولة، فقام معتب سريعا فأتاه بالصرة، فأفرغها البهلول تحت جلد كان قاعدا عليه، وقعد معتب بن رباح، فلم يزل يدخل الرجل فيعطيه خمسة دنانير، وآخر فيعطيه ثمانية، وآخر فيعطيه عشرة، فواحد يقول له: تزوج منها وعش بالباقي، وآخر يقول له: وسع بها على عيالك وصبيانك، و آخر يقول له: استر بها وجهك، فلم يقوما حتى نفذت المئة[2].

وكان البهلول كثيرا ما يدعوا بهذا الدعاء، وهو: اللهم اني أسألك باسمك العظيم الأعظم، وأسألك باسمك الكبير الأكبر، يا الله، يا الله، يا اله، أنت نور كل نور، وأنت نور السموات والأرض،

[1] – سورة المجادلة، الآية22.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص266–268.

أسألك يا كريم يا كريم يا كريم، وبنور وجهك أسألك يا كريم، يا فتاح يا فتاح، يا قادر يا قادر يا قادر، وبنور وجهك يا قادر، وبنور وجهك يا قادر، وبنور وجهك يا قادر، وبنور وجهك يا حليم، وبنور وجهك يا حليم، وبنور وجهك يا حليم، أسألك أن توجب لنا رضوانك الأكبر، والدرجات العلى من الجنة، وتعافينا من النار ومن سخطك، وثمن علينا بحفظ كتابك حتى نتلوه على الوجه الذي يرضيك عنا، قال البهلول: وإياك أن تدعو به في شيء من أمور الدنيا، اللهم إني بلغت[1].

وعن أبي سنان أنه قال: سمعت البهلول يقول: إذا كان يوق القيامة جمع الله العلماء، ثم ضرب عليم بسور من نور، ثم يقول: إني لم أضع حكمتي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم، تعافوا وأدخلوا الجنة قال سنان: فقيل وما معنى تعافوا؟ قال: قول بعضهم في بعض، فلان ليس يعرف شيئا[2].

قال: وما أعمال البر كلها عند الجهاد في سبيل الله، إلا كبصفة في بحر.

قال أسد بن الفرات: جرت بين علي بن زياد والبهلول بن راشد مسألة اختلفا فيها، وكنت السفير بينهما بالمناظرة، كان البهلول يقول: أخذ الأجناد الأرزاق التي تجري لهم حرام عليهم، وقال علي ابن زياد: حلال لهم، لأن لهم في بيت المال حقا، وإنما أخذوا حقهم على (أنه) ان اشترط عليهم ن يفعلوا ما لا يحل لهم فأخذهم جائز والشرط باطل، وليس كمن أعطى رجلا مالا ليس له فيه حق على أن يقتل رجلا، فالأخذ في هذا حرام والشرط باطل، ويجري على هذين القولين منع الشهادة وجوازها فيما يأخذه الأجناد المتصرفون فيما لا يجوز وكذلك غيرهم، كتصرفه في أخذ الخطاب ونحوها، وبعض عدولنا اليوم يشهد في ذلك[3].

ذكر محنته ووفاته رضي الله عنه:

[1] – المصدر نفسه، ص269.

[2] – نفسه، ص271- 272.

[3] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص272- 275.

قال البهلول: أقمت ثلاثين سنة أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فلما كان يومي مع محمد بن مقاتل العسكي نسيت أن أقولها فابتليت به.

قال: وكان سبب موته أن العسكي أمير افريقية كان يلاطف الطاغية، ويبعث إليه بالألطاف فيكافئه الطاغية، فكتب إليه الطاغية ان ابعث إلينا بالنحاس والحديد والسلاح، فلما عزم العسكي على ذلك، وعظه البهلول لتزول عنه الحجة من الله، فلما ألح عليه في ذلك بعث إليه فضربه، أسواطا دون العشرين، فبرئت كلها إلا أثر سوط واحد نغل[1]، فكان سبب موته، رحمه الله ورضى عنه.

قال العواني: ختم الله عز وجل أعماله بالشهادة بهذا الإبتلاء، ليوصله بذلك إلى أعلى الدرجات وأكبر المقامات.

قلت: ليس هو بشهيد قطعا.

قال: وكانت وفاته بالقيروان سنة ثلاث وثمانين ومئة، وهو ابن خمس وخمسين سنة، ومولده سنة ثمان وعشرين ومئة، ودفن بباب سلم، وقبره مشهورا يزار ويتبرك به رحمه الله.

قال المالكي: كانت وفاته بعد وفاة علي بن زياد بخمسة وثلاثين يوما، وكان مولده ومولد عبد الله بن غانم، وعبدا الرحمان ابن القاسم في سنة واحدة (سنة ثمان وعشرين ومئة)، وكان بناء قبره وهي، فعرفت أن عمى خليفة بن حاجي جدده، و لم يفتقر إلى تحديد بناه إلى اليوم رحم الله الجميع[2].

أكبر الفقهاء عصره شأنا وواحدهم إمامة وفضلا.

منهم : **أبو سعيد،الإمام سحنون بن سعيد بنحبيب التنوخي رحمه الله تعالى:**

قال: واسمه عبد السلام، وغلب عليه لقب سحنون.

---

[1] – نغل الجرح: فد وتعفن.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص276.

قال عياض: سمعت بعض مشايخ أهل الحديث يذكر عن بعض شيوخ إفريقية أنه سمي سحنونا باسم حديد النظر، لحدته في المسائل.

واصله شامي منحمص، وقدم أبوه سعيد في جند حمص.

قال محمد ابنه: قلت "يا ابت نحن قبيلة من تتوج؟ فقال لي: "وما يحتاج إلى ذلك؟ فلم أزل به حتى قال لي: نعم وما يغني عنك ذلك من الله شيئا إن لم تتقه".

سمع بافريقية من علي بن زياد، والعباس بن أشرس وبهلول بن راشد، ومحمد بن غانم، ومعاوية الصمادحي.

ثم رحل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة، فسمع بمصر: من ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وابن عبد الحكم، وشعيب بن الليث، ويوسف ابن عمر.

وسمع بالمدينة من عبد الله بن عبد الله بن نافع، ومعن بن عيسى وأنس بن عياض وابن الماجشون، والمغيرة بن عبد الرحمان وطرق وغيرهم[1].

وسمع بالشام من الوليد بن مسلم وايوب بن سويد.

وسمع بمكة من سفيان بن عيينة، وعبد الرحمان بن مهدي، ووكيع بن الجراح وحفص بن غياث، ويزيد بن هارون، ويحي بن سلمان وأبي داوود الطياسي، وأب اسحاق الأزرق.

وحج مع ابن القاسم وابن وهب على راحلته ثم قدم إلى القيروان سنة إحدى وتسعين ومائة، فأظهر علم أهل المدينة بالمغرب، وكان أول من أظهره.

رحل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة هو نقل أبي العرب وابن حارث.

وقال ابنه: "خرج إلى مصر أأول سنة ثمان وسبعين ومائة، في حياة مالك، ومات بتونس وقت وحلة ابن البكير إلى مالك، قال سحنون: "كنت عند ابن قاسم وجوابات مالك ترد عليه، فقيل

[1] – المصدر نفسه، ص288.

لي: ما يمنعك من السماع منه؟ قال: قلة الدراهم: وقال مرة أخرى: "لحا الله الفقر، فلولاه لأدركت مالكا"[1].

قال عياض: فإن صح هذا فله رحلتان وإلا فما قال ابنه أصح، فإنه سمع ممن مات قبل ثمان وثمانين من المدنين كابن نافع توفي سنة ست مائتين.

وما ذكر منأنه أول من أظهر علم أهل المدينة لا يقال، وفيهنظر لسبقيه على بن زياد بذلك، والبهلول بن راشد، وغيرهم لما يذكر بعد:

كتب البهلولبن راشد علي بن زياد: إن سحنون بن سعيد ممن يطلب العلم للهعز وجل، فكان على يسير إلى مترل سحنون حيث كان نازلا فيسمعه فيه، ويقول: إن أخي البهلول كتب إلي فيه "إنه إنما يطلب العلم لله عز وجل"

وذكر سحنون له مسائل اختلف فيها هو البهلول.

ذكر ثناء العلماء على الإمام سحنون:

قال: كان سحنون قد اجتمعت فيه خصال فلما اجتمعت في غيره منها: الفقه البارع، والورع الصادق والصرامة في الحق، والزهد في الدنيا، والتخشن في الملبس والمعهم.

والسماحة، ولا يقبل من أحد شيئا، سلطانا كان أو غيره، ولا يهاب سلطانا في حق بقوله سالم الصدر للمؤمنين، شديدا على أهل البدع، انتشرت إمامته، وأجمع أهل عصره على تقدمه وفضله.

وقال أبوبكر المالكي: "وكان مع هذا رفيق القلب، عزيز الدمعة، ظاهر الخشوع، متواضعا، قليل التنع، كريم الأخلاق، حسن الأدب".

وسئل أشهب: "من قدم إليكم من المغب؟ قال: "سحنون" قيلل له: "فأسد"؟

قال: "سحنون والله أفقه منه بتسعة وتسعين مرة".

وقال: أشهب "ما قدم إلينا من المغرب مثله".

---

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص77-78- 79.

وقال ابن القاسم لابن راشد: "قل لصاحبك يعني سحنونا يقعد، فالعلم أولى به من الجهاد، وأكثر ثوابا ويعطي هذه الخيل التي قدم بها لمن هو في مثل حاله، فما قدم علينا من افريقيا مثل سحنون وابن غان".

قال يونس بن عبد الأعلى: "هو سيد أهل المغرب"، فقال له: حمد يس القطان: أو لم يكن سيد أهل المشرق والمغرب؟ قال: " قد كان رجلا نبيلا خيرا فاضلا من شأنه وشأنه، فأثنى عليه بخير".

وقال ابن وصاح: "كان سحنون يروي تسعة وعشين سماعا، وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق"[1].

قال محمد بن حارث: "كانت افريقية قبل رحلة سحنون قد عمرت بمذهب مالك لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك بن أنس، ثم قدم سحنون بذلك المذهب، وجمع مع ذلك فضل الدين، والعقل، والورع، والعفاف، واف انقباض فبارك الله تعالى فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب، وصار زمانه كأنه مبتدأ وقد ... قبله فكان سراج القيروان، وابنه أكثيرهم تأليفا، وبن عبدوس فقيها، وحيلة بن حمود زاهدها، وحميديس أصلهم في السنة ، وغيرهم للبدعة، وسعيد بن احداد لسانها وفصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشدهم وقارا وتصاونا، كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم.

وقال سالم في مجالسه: "دخلت مصر ورأيت العلماء فيها متوافرين والمدينة ومكة وبها ثلاثة عشر محرابا، فما رأيت فيهم مثل سحنون وابنه بعده".

وقال القابسي: "يشف على مخالفة ماك وسحنون، ولا أقدر على مخالفتها، واهاب ذلك هيبة عظيمة"

وقال غيره: "كان كلامه لله، وصمته لله، إذا أعجبه الكلام صمت، وإذا أعجبه الصمت تكلم.

ذكر ولايته القضاء وسيرته فيه:

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص80-81- 82.

قال: راوده الأمير أبو العباس، أحمد بن الأغلب جولا كاملا على أن يوليه القضاء فأبى عليه، فعزم عليه بالإيمان التي لا مخرج منها، فلما رأى ذلك سحنون اشترط على الأمير شروطا كثيرة فأعطاه كل ما سأل وأطلق يده في كل ما دعاه إليه، حتى قال له: "اني أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك فإن قبلتهم ظلامات للناس منذ زمان طويل"، فقال له الأمير: نعم لا تبتدئ إلا بهم، وأجر الحق على مفرق رأسي، فتولى القضاء في رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين، وأقام قاضيا ستة أعوام، لم يأخذ على ذلك أرا.

وكان سنة يوم تقديمه أربعا وسبعين سنة، ولم يزل قاضيا إلى أن مات ولما اراد محمد بن الغلب أن يولي سحنون جمع الفقهاء للمشورة، فأشار سحنون بسليمان بن عمران، وأشار سليمان بسحنون، وأشار غيرهما بسليمان، فأدخلوا فرادى، فقالوا كقولهم الأول، وذلك أن أكثر الفقهاء إذ ذاك على رأى الكوفيين وكان سليمان يرى رأيه وقال سليمان: "ما ظننت أنه يشاورني في سحنون حجبت فرأيت أهل مصر يتمنون أن يكون بين أظهرهم، وما يستحق أحد القضاء وسحنون حي[1].

وجاءه عون بن يوسف، فقال له: نهنيك أو نعزيك؟ ثم سكت فقال: "بلغني أنهمن أتاه بغير مسألة أعين عليه، وما أتاه عن مسألة لم تعن عليه".

وكان لا يحكم في الحسبة وإنما قدم عليها أمناء وأول من نظر فيها هو إذ كانت قبل للأمراء دون القضاة، وأول القضاة/ فرق أهل البدع من الجامع وكانوا فيه حلق من الصفرية والإباضية والمعتزلة وأدب جماعة منهم لمخالفتهم أمره وأطافهم، وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة.

وهو أول من جعل في الجامع إمام يصلي بالناس، إذ كان للأمراء وأول من جعل الودائع عند الأمناء، وكانت قبل في بيوت القضاة، وكان يجلس في بيت في الجامع بناه بنفسه، إذ رأى كثرة

[1] – ا أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص83-84.

الناس، وكثرة كلامهم فكان لا يحضر عنده غير الخصمين من يشهد بينهما، وكانت قضاة المالكية يحكمون فيها بعده، وإذ ولى عراقي هدها: وإذا ولى مدنى بناها[1].

عبر عن هذا شيخنا أبو مهدي أنه قال: عيسى بن أحمد الغبريني بأن سحنونا هو أول من ضرب في القضايا بافريقية ليس في الكلام ما يدل عليه.

وحكى عن سعيد بن محمد بن الحداد أنه قال: كنت يوما عند سحنون جاءه غلام الأمير: محمد بن الأغلب فسل على سحنون، وقال له: يقول لك الأمير: "اردد النسو على حاتم فلهمن إماء له"، قال سحنون "فإن كان إماء فمثل حاتم لا يؤمن على الفروج، فانصرف الغلام راجعا، ثم أقبل بوجه غير لذي أقبل به أولا، فقال لسحنون: يقول لك الأمير، إنك تعديت عليه، اردهن عليه كما أمرتك، فقال له سحنون: "قل له: أنت الذي تعديت والله لأردده عليه حتى يفرق بين رأسي وجسدي".

فأقبل إليه ابنه محمد بن سحنون على أبيه وقال له: "لا تفعل يا سيدي، أكتب إليه وألطف فدعا بداوة وقرطاس، وكان جالسا بالأرض وابنه محمد مشرف على مقعده، فكان سحنون يكتب وابنه محمد ينظر ما يكتب، ويقول لأبيه: "دون هذا؟ دون هذا؟ حتى فزع سحنون من كتابه، ثم طبع وأرسله مع حاجبه إلى الأمير إلى قصر حمص.

بعدها قال بوزرائه وأصحابه: إني لا أظن هذا الرجل يريد بنا خيرا، ونحن لا ندري أرسلوا إليه يرسل محتسبيه، ويكتب لهم سجلات إلى أقصى عملى يأخذ من وجدوا من الحرائر.

إن أصل القصة: أن سحنونا رحمه الله تعالى كان جالسا على باب داره وإذ مر به حاتم (الجرزي) ومعه سبي من سبى تونس، فقال سحنون لأصحابه: "قوموا فأتوا بهم"، فذهبوا حتى خلصوهم من حاتم، وهرب حاتم على برذونه، وخرق ثيابه ودخل الأمير فشكا إليه[2] ، وقال للرسول: "قل

---

[1] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص85- 86.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص87-88.

للأمير: جعل الله حاتما شفيعك يوم القيامة"، وأقسم عليه ليبلغني له ذلك، ثم قال سحنون: "هذا الأسود –يعني حاتما– يمضي هكذا"، فأمر بسجنه وطرحت عمامته في عنقه، وحمل إلى الحبس، فلحقه متعب وقال: "يا حاتم لا تلقين الشر بين الأمير والقاضي، وأعطاه معتب من عنده تسعة دنانير، فخلى حاتم عن السبي واخبر معتب سحنونا بذلك فأمر بإطلاق حاتم من السجن.

وروى أبو العرب بن يحي بن عمر قال: "أتى زوكاى بن زريخ من بعض الحروب التي كانت بافريقية بعد حرائر، فأخبر سحنون أن زوكاى أدخل سبع عشرة من سبي الجزيرة قرشيات وعربيات، فأرسل سحنون إلى جميع النواحي والأقطار فاجتمع إليه ألف رجل، فاختاروا ما أمرهم، أمرهم فقال: "امضوا إلى دار زوكاى بن زريخ فقولوا: القاضي يقرأ عليك السلام، ويقول لك أخرج إلى القرشيات اللواتي سبيت من الجزيرة، لا تجعلوا له سبيلا إلى غلق الباب فإنه أن اغلقه ليس سلاحه ولا آمن أن تهراق الدماء، فيتقدم مشا يحكم مثل السبعة ينادون: ابن المسببات ليخرجن بأمر القاضي، إذا خرجن بأمر القاضي، هاذا خرجن من عند آخرهن تركتهم، زوكاى وسبيله".

فلما خرج لهم زوكاى قال لهم: "خدمي أخذته نبسيفي"، فقبضوا عليه ودخل الشهود فأخرجوا المسبيات وتركوا زوكاي وأدخلوا النساء دار سحنون، فركب زوكاي إلى القصر، فرافق الأبواب قد غالق، فبات على المبدان فلما أصبح استأذن على ابن العباس الأمير فقال: "ذلك ويحك؟" فأخبره فأرسل إلى سحنون: "اصرف إليه خدمه اللواتي أخذت" فقال سحنون للرسول: "بلغ الأمير بالله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتهن من داري حتى يعزلني، ويعلم الله أني لا أنظر لي ولا قضاء على رجلين".

ثم دعا ابنه محمدا وأخرج اليه سجله، فحمله مع الفتى، وقال له: "قل له: جعل الله زوكاي شفيعك عنده يوم القيامة".

فانصرف الفتى إلى الأمير فأعلمه بيني سحنون، وذكر له أن ابنه محمدا بالباب بالسجل، وقال: "قد استحلفت أن أؤدي إليه ما أحل امير عنه".

هذا السجل بعث به لتولى أمر المسلمين من ثراه، فقال الأمير: اقرأ على الشيخ السلام وقل له جزاك الله عن نفسك وعنا وعن المسلمين خيرا، فقد أحسنت أولا وآخرا، وقمت بما يجب عليك، امض على أحسن نظرك ان شاء الله[1].

فانصرف محمد إلى أبيه فشكر الله على ما وفقه، واجتمع إليه وجوه أهل القيروان فشكروا له سعيه فقال لهم سحنون: "تقدموا إلى باب الأمير فاشكروه، فادخلهم أبو العباس ووقع ذلك بالموافقة".

ذكر محنته رحمه الله تعالى:

قال غير واحد من العلماء بالأثر "كان سحنون قد حضر جنازة وهب وكان أخاه من الرضاعة فتقدم ابن ابي الجواد الذي كان قاضيا قبله، وكان يذهب إلى رأى الكوفيين ويقول بالمخلوق فصلى عليها، فرجع سحنون و لم يصل خلفه، فبلغ ذل كل الأمير زيادة الله، فأمر أن يوجه إلى عامل القيروان أن يضرب سحنونا خمسمائة سوط، ويحلق رأسه ولحيته، فبلغ ذلكوزيره علي بن محمد فأمر الوزير أن يتوقف، وتلطف حتى دلخ على الأمير وقت القائلة: –وقد نام– فقال له: "ماشي بلغني في كذا؟ "قال: "نعم قال: لا تفعل، فإن الغير، انما هلك يضربه البهلول بن راشد، فقال: "وهذا مثل البهلول؟" قال: "نعم وقد حسبت البريد شفقة على الأمير" فشكره و لم ينفذ أمره.

وبينما سحنون يقرئ الناس إذ أتاه الخبر بما اراح الله منه وقيل له: لو ذهبت إلى علي بن حميد فشكرته؟ قال: ولكني أحمد الله الذي حرك ابن حمد لهذا فهو أولى بالشكر، وأقبل إسماعه، فقال له قوم من أصحابه: لهذا كتب –والله– اسمك بالحبر على الرفوف".

ولما ولى أحمد بن الأغلب الإمارة، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن، وخطب به القيروان توجه سحنون إلى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد فارا، فكان عنده فوجه في طلبه إلى هنالك رجلا يقال له ابن سلطان وكان مبغضا في سحنون بغضا عظيما اختاره لذلك في هيل وجهها معه، فلما وصل إلى

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص90–91.

سحنون قال له ابن سلطان: "وجهني الأمير اليك، وقصدني لبغضي فيك لبلغ منك وقد حالت نيتي عن ذلك أنا أبذل دمي دون دمك، فاذهب حيث شئت من البلاد وأقم فأنا معك" فشكره سحنون وقال: "ماكنت أعرضك لهذا بل أذهب معك"، فخرج وشيعه أصحابه، وقال عبد الحليم للرسول: قل للأمير: "أوحشتنا من صاحبنا وأخينا في هذا الشهر العظيم، وكان شهر رمضان "سلبك الله ما أنت فيه وأوحشك"

وفي رواية: عارضتني في ضيفي فو الله لأعرضنك على رب العالمين[1].

فلما وصل الأمير جمع له قواده وقاضيه ابن ابي الجواد وغيره، وسأله عن القرآن فقال: سحنون أما شيء ابتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمت منه، وأخذت عنه، كلهم يقولون: "القرآن كلام الله غير مخلوق" فقال: ابن ابي الجواد: "كفر اقتله ودمه في عنقي؟ وقال غيره مثله ممن يرى رأيه وقال بعضهم: "يقطع أرباعا ويجعل كل ربع بموضع من المدينة، ويقال: هذا جزاء من ليقل بكذا"

فقال الأمير لداود بن حمزة ما تقول أنت: قال: "قتله بالسيف راحة"

وما كان إلا ومن قليل ومات الأمير.

وقال المازرى في شرح الجوزقي: "لا انصرف الحاجب بسحنون ومشوا به، وبقي بينه وبين القيروان قدر الميل، وإذا بصوت كصوت الغرانيق، هو الخيل يخبرهم: "ان أميركم قد مات"، قال سحنون: فدخلت بحمد الله سالما.

ذكر بقية أخباره:

كان رحمه الله تعالى: يقول: أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علما، يكون عند الرجل باب واحد من العلم يظن أن العلم كله فيه

وكان يقول: "سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص92-93.

وكان يقول: ما أقبح العالم يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه فيسئل منه فقال: هو عند الأمير، وهو عند الوزير، هو عند القاضي فإن هذا وشبه شر من علماء بني اسرائيل، بلغني أنهم كانوا يحدثونهم من الرخص مما يحبون مما ليس عليه العمل، ووجب أجرهم على الله عز وجل، فو الله لقد ابتليت بهذا القضاء وبهم فو الله ما أكلت لهم لقمة، ولا شربت لهم شربة، ولا لبست لهم ثوبا ولا ركبت دابة ولا أخذت لهم صلة وإني لأدخل عليهم فأكلهم بالتشديد، وما عليه العمل، وفيه النجاة، ثم أخرج عنهم، واحاسب نفسي، فأجد علي الدرك مع ألقاهم به من الشدة والغلظة، وكثرة مخالفتي لهم ووعظي فلوددت أني أننجو مما دخلت فيه/ كفافا.

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: "لعل سحنونا عول على ما عزف من فضلهما من أنه إذا بين لهما وجه خطئها رجعا فيعلما أسدا برجوعهما كما فعلا وأن الحكم لا يخشى فواته، وإلا فهو في فضله وورعه لايسئلن في مثل هذا.

قال ابن الحارث: "سمعتهم يقولون: كان سحنون من أيمن عالم دخل المغرب، كأن أصحابه مصابيح في كل بلدة، عد له نحو سبعمائة رجل، ظهروا بصحبته، وانتفعوا بمجالسته[1].

وقال محمد بن أحمد بن تميم: "الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد أكثر من الذين يحضرونه من طلبة العلم، كانوا يأتونه من اقطار الأرض، وكان رحمه الله كثيرا ما يجري كلامه على غائب. وأعطى مرة صرة فيها دراهم لرجل وقال: أخرج فأحاول رجل تلقاه فأعطاها له، فوجد رجلا عليه ثوب أبيض، وهو يحمل تحته شيئا فناوله ذلك فلما حسبها ومن بذلك الشيء الذي تحته، وإذا هو ميتة وقال هذه كانت حلالا والآن حرمت علينا.

وكان يقول: "ترك دانق من حرام أفضل من سبعين ألف حجة يتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة، وأفضل من سبعين ألف فرس في سبيل الله بزادها وسلاحها، ومن سبعين ألف تدنه يهديها إلى بيت الله الحرام العتيق، وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة ومن ولد اسماعيل" فبلغ كلامه

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص94-95.

هذا العبد الجبار بن خالد فقال: "نعم وأفضل من ملء الأرض إلى عنان السماء ذهبا وفضة كسبت وأنفقت في سبيل الله لا يراد بها إلا وجه الله عز وجل.

قال محمد بن عبد الله الرعبيني: "لما سرت إلى الغزو إلى صفاقس مع سحنون فتح لنا مطمورة شعير لعلف دوابنا فماكنا نأخذ منه بكيل، سماحة منه في ذات الله عزو جل قال الخزرى: بينما أنا مع سحنون إذ أتاه رجل فسأله عن مسألتين أو ثلاث ثم قال: ما ليوم؟ وما غدا؟ وما بعد غد؟ فقال له سحنون مجيبا: اليوم عمل وغدا حساب، وبعد غد جزاء.

ذكر وفاته رحمه الله وما يتعلق بذلك:

قال ولد سنة ستين ومائة، وتوفي في رجب من سنة أربعين ومائتين

قلت: قال أبوعلي يوم الأحد قبل نصف النهار لست خلوت منه.

وقال غيره: لسبع خلون.

ودفن من يومه، ووجه إليه محمد بن الأغلب بكفن وحنوط، فاحتال ابنه محمد حتى كفن في غيره، وتصدق بذلك.

قال: صلى الله عليه الأمير محمد المذكور في مصلى باب نافع.

قلت: ولما بلغ عمره ثمانين سنة عمل إطعاما ونادى عليه بغض الخاصة فسئل عن سببه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما من بلغ عمره ثمانين سنة كتبت حسناته و لم تكتب سيئاته[1].

قال أبو بكر المالكي: لما مات سسحنون رجعت القيروان لموته وحزن له الناس.

قال أبو الربيع: سليمان بن سالم "لقد رأيت يوم مات سحنون مشايخ من اهل الأندلس يبكون، ويضربون خدودهم كالنساء، ويقولون: يا أب سعيد ليتنا تزودنا منك نظرة ترجع بها إلى بلدنا.

ورأى بعض المتعبدين قائلا يقول: "من أراد أن يشرب من ماء الحياة فليسع من سحنون

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص98-99- 100.

وقال ابن أبي سليمان: رأيت في شأن سحنون قبل موته رؤيا فقصصتها على معبر

يقال ابن العياض: قال: هذا رجل يموت من أهل السنة.

وقال عبد الله بن الخشاب الأندلسي وكان ثقة: "رأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم تسليما يمشي في طريق، وابو بكر خلفه، وعمر خلف أبي بكر ومالك خلف عمر، وسحنون خلف مالك.

قال ابن وضاح: فذكرت لسحنون فسر بذلك

قال: وقبره بباب نافع معروف مشهور

قلت: وفضائل سحنون أكثر من الذي ذكرنا، ونسأل الله العظيم أن ينفعني باعتقادي فيه، ومحبتي فيه ونسأل الله أن يحشرنا في زمرته[1]،

ومنهم أبو عبد الله محمد بسحنون التنوخي رحمه الله تعالى:

قال: سمع ولده سحنون، ومن عبد العزيز بن يحي المدني، وموسى بن معاوية الصمداحي، وعبد الله بن أبي حسان.

قلت: مثل هذا ذكر التجيني، وزاد المالكي: وعلى أبيه معتمده.

قال: ورحل إلى المشرق فلقى أنا مصعب الزهري وابن كاسب وشبيه بن شيب النيسابوري.

قلت: مثله ذكر التجيني، وفيه بتر لقول المالكي وغيرهم، وجعل عوض شبيه: سلمة وكانت رحلته سنة خم وثلاثين ومائتين.

ذكر ثناء العلماء عليه:

قال: كان غمام الناس بعد أبيه.

وقد قال المالكي: "لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه (ألف في جميع ذلك كتبا كثيرة، تنتهي إلى المائتين"

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص102-103.

والمراد بالكتب: كما تقول كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، وليس المراد أن الكتاب الواحد عبارة عن سفر والله أعلم.

قال عيسى بن مسكي: خير من رأيت محمد بن سحنون، كان جامعا لخصال من الخير منها: العلم والورع، ومعرفة الأثر وكثرة الإيثار والتفقد لإخوان.

وقال عيسى أيضا: ما رأيت في العلم مثل ابن سحنون.

وقال مرة: ما رايت بعد سحنون مثل ابنه.

وقال يحي بن عمر: كان من أكثر الناس حجة، وكان يناظر أباه.

وقال ابن الحارث: كان فتح الله له باب التأليف، وجلس مجلس أبيه بعد موته.

وكان سحنون يقول: "ما أشبهه بأشهب".

وكان يؤلف في حياة والده كان يقول له: "يا محمد احذر أهل العراق، فإنها لها ألسنة حدادا وإياك أن يغلط قلمك فتعتذر فلا يقبل عذرك"[1] .

ذكر جملة من أخباره:

لما عزم على الرحلة للمشرق قال له أبوه: انك على بلدان يسماها إلى أن تقدم مكة فاجتهم جهدك فإن وجدت عند أحد من أهل هذه البلدان مسألة خرجت من دماغ مالك ليس هي عند شيخك يعني نفسه فاعلم أن شيخك كان مفرطا".

وكان رجل من أصحاب ابن سحنون حج، فاجتمع مع رجل يهودي صاحب حمام وناظره في أصول الدين فوجده قويا، فلما عزم ابن سحنون على الحج قال الرجل: أحج معه حتى أجمع بينهما فلما وصل معه لمصر قال له: حفظك الله إن أهل مصر إذا سمعوا بك يأدون غليك فهل لك أن تدخل الحما؟ قال: أجل، فقصد الحمام ذلك الرجل اليهودي، وعند خروجه أنشب مع اليهودي مناظرة، فلما خرج ابن سحنون وجد اليهودي أقوى من صاحبه فأزاله وأخذ يناظره حتى كانت

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ، ص122-123.

صلاة الظهر، فصلاها ثم رجع فلما طلع الفجر وانقطع اليهودي في الحجة، خرج ان سحنون وهو يمسح العرق عن وجهه، وشاع بمصر أن اليهودي أسلم على يدي ابن سحنون فأتى اليه فقهاء مصر، فمن جملة من أتاه: أبو رجاء بن اشهب وسأله أن يترل عنده ففعل.

ولما وصل إلى المدينة ودخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم تسليما، وجد جماعة عظيمة محلفين على شيخ وهو متكئ لكبر سنه وهم يتنازعون في مسألة من مسائل أمهات الأولاد فنبههم على نكتة فاستوى للشيخ جالسا وقررها، فزاد ابن سحنون فقال الشيخ: من أي بلاد أنت؟ فقال من: افريقية، قال: من أي بلد منها؟ قال: من القيروان، قال: ينبغي أن تكون أحد الرجلين إما محمد بن سحنون وإما محمد بن لبدة: ابن اخي سحنون، فإن هذا التنكيت لا ينبغي أن يكون إلا من أهل دار سحنون فقال له: أنا محمد بن سحنون فقام إليه وصافحه وخرجوا من المسجد، وجعل ابن سحنون يملي على الشيخ بالطريق، وهو يكتب المسألة

وقال عيسى بن مسكين: لما وصل كتاب الإمامة الذي ألفه محمد بن سحنون إلى بغداد كتب بماء الذهب، وأهدى إلى الخليفة.

قال الشيخ أبو بكر بن اللباد: "أتى محمد بن سحنون بعد موت أبيه زائرا إلى عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد بقصر زياد، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وتركه جلس و لم يقبل عليه حتى انصرف، فلما كانت الجمعة الآتية انهض ابن سحنون مع اصحابه إلى زيارة عبد الرحيم، فقالو له: رأيناه لم يقبل عليك ولا رحب بك، فقال: ليس هذا تغبني، هذا رجل صالح ترجى يبركة دعائه وكان والدي —رحمه الله تعالى- يأتيه ويتبرك بدعائه ويلجأ إليه عند المهمات من الأمور.

فتوجه إلى عبد الرحيم بعض أصحاب محمد بن سحنون فقال له: أصلحك الله رأينا منك عجبا[1] .

فقال له: وما هو؟ قال: أتاك محمد تلك الجمعة فلم تقبل عليه، لم أتاك اليوم فأقبلت عليه

فقال عبد الرحمي: "والله ما أردت بذلك إلا الله عز وجل، وقبلته لثلاثة أوجه

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص125-126.

الأول: أنه أتاني في تلك الجمعة ورأيت اجتماع الناس حوله فخفت إن أنا أقبلت عليه أفتنه.

الثاني: لأجربه فإن والده كان يعتقدني ويزورني، فقلت: لا أقبل عليه حتى أرى هل يرجع إلي أم لا؟ فإن رجع إلي علمت أن اعتقاده مثل اعتقاد والده.

الثالث: رأيت في منامي – في الليلة المقبلة من تلك الجمعة التي لم تقبل عليه فيها قائلا يقول لي: مالك لم تقبل على محمد بن سحنون وهو يخشى الله عز وجل؟

وروى عن الشيخ أبي الحسن بن القابسي، رحمه الله تعالى أن رجلا كان يشتم محمد بن سحنون وينال من عرضه ويؤذيه، وكان على مذهب أهل العراق، فافتقر الرجل واشتد عليه الحال فقال: والله لأمضين إلى محمد ابن سحنون لما يسمع من كرمه فدخل عليه فسلم عليه، فأقبل عليه محمد بن سحنون وقال له: ما حاجتك؟ فقال له: أصلحك الله جئت تائبا مما كنت أفعل فقال له ابن سحنون: دع هذا واذرك حاجتك، فقال: والله ما اتى بي اليك إلا الحاجة، فقال له ابن سحنون: يا أخي نزل بكهذا وأنا في الدنيا؟ ثم كتب له رقعة وقال له: امض بها إلى فلان الصيرفي، فأعطاه عشرين دينارا فأخذها واشترى منها ما يحتاج إليه وأتى بالحمالين إلى الدار، فقالت له زوجته: ماهذا؟ فقال: أعطاني الرجل الذي كنت أشتمه ثم اقبل الرجل وهو يقول: العراق منه جاءت الفتنة، ومنه أقبل كل شر[1].

كتب محمد بن سحنون كتابا له وقال: امضي إلي قسطيلية، فلما وصل أنزله أصحابه وأضافوه ضيافة حسنة، ثم أعطوه ثلاثمائة دينارا وهدايا من طرائف بلادهم، فظن الرجل أنها لمحمد بن سحنون، لما وصل إلى القيروان دخل إلى محمد فأعطاه كتاب القوم فلما قرأه استرجع وقال: حال الناس وهكذا عهدناهم، فقال له الرجل: إن كان بقي لك عندهم شيء فأنا أرجع إليهم ثانية، قال له محمد: يا أخي انها لك فكأني لم أجد من أبعث إلا أنت وإنما عجبت من تغير الزمان في هذا الوقت.

[1] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص127.

وقال بعضهم: كنت بالمنسير وإذا برجل يقرأ في جوف الليل وهو يصلي: **"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ "**[1]، ويبكي ودموعه نقع على الحصير، من كثرتهما وهو يكرر الآية ومازال يكررها حتى طلع الفجر ولا أدري من يكون فلما خرج إذا هو محمد بن سحنون رحمه الله تعالى[2].

ذكر بقية أخباره:

لما يؤلى والده القضاء اعتنى بسليمان بن عمران حتى استكتبه، ثم عني به حتى ولاه قضاء باجة، فلما مات سحنون، وولى سليمان قضاء القيروان ساءت الحال بينهما إلى توارى ابن سحنون ثم كتب إلى الأمير ببيت عثمان ابن عفان الذي كتب به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل

وإلا فأدركني ولما أمزق

فقال الأمير: محمد بن أحمد بن الأغلب: "ومن يمزقه مزق الله جلده؟"

فقيل له: "سليمان بن عمران فأمر برفع يده عنه، فقامت رئاسة محمد وتوفرت حرمته، فبينما هو يمشي إذ لقبه صاحب الصلاة والخطبة: عبد الله بن أبي الحواجب فأومأ إلى ابن سحنون وقال: يا ابن زان يا ابن الفاعلة فأجابه ابن سحنون جهرا، تقضى حاجتك إن شاء الله تعال، وأعلم الخطيب: سليمان بن عمران بجوابه، وركب ابن سحنون إلى محمد بن أحمد بن ربيعة الخضرمي، من رجال الملك، وسأله أن يسأل الأمير أن يرد عبد الله بن طالب على الخطبة والصلاة ففعل، وأرسل ابن سحنون إلى ابي طالب، وقال له: إذا رأيت ابن أبي الحواجب خرج من المقصورة فقم أنت بين يديه وارق المنبر واخطب، فركع ابن طالب إلى جانب ابن سحنون وسليمان بن عمران حوار المنبر فلما خرج ابن أبي الحواجب من المقصورة ليرقي المنبر قام ابن أبي الحواجب فجذبه،

[1] - سورة الأعراف، الأية 21- 22.

[2] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص128-129.

ورقى ابن طالب المنبر وكان فصيحا، وكان سليمان القاضي قد نعس فما راعه إلا صوت ابن طالب وهو يقول: "الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى وهو في الآخرة يرى"، فركبت سليمان ... والناس ينظرون وابن أبي الحواجب الخطيب قد بهت، وابن سحنون يتبسم، والقاضي يقول: "لا تنكر لله قدرة" فبكى ابن أبي الحواجب، فقال له سليمان: والله لا قصرت حتى تخطب هذه الجمعة المقبلة على المنبر، فكلم سليمان عشرين رجلا من العراقيين من شيخ القيروان وأمرهم أن يزكوا ابن أبي الحواجب، فاستأذن الخضرمي من الأمير، فدخل عليه وقال: "إن قوما يذهبون إلى القول بخلق القرآن"، أتوا مع القاضي ليزكون ابن أبي الحواجب المبتدع، أن ترده إلى الصلاة وتعزل ابن عمه عنها، فقال الأمير: اخرج اليهم وامرهم أن ينصرفوا فخرج الخضرمي وقال لهم: لا تستجيبوا أراد الأمير تخطيط ابن عمه ابن أبي طالب وتريدون عزله، انصرفوا بأمر الأمير" فرجعوا و لم ينصرفوا إليه.

و لم تزل أمور ابن غالب تنمو حتى عزل سليمان، وولى القضاء ابن طالب، والرئاسة في الوقت لابن سحنون بالقيروان، وبتونس لابن غافق، وبقسطيلة لأحمد ابن علول[1].

ذكر وفاته رحمه الله تعالى:

كانت وفاته بالساحل، وأتى به القيروان، وخرج الناس لدفنه، وغلقت الكتاتيب والحوانيت من أجله.

وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره أربعة وخمسون سنة، وصلى عليه ابراهيم بن أحمد ودفن ببا نافع بمقربة من قبر أبيه.

هو قبلة أبيه، وبينه وبين أبيه خطوات، وعند رأسه سارية طويلة، وهو مزار يعرفه الخاصة والعامة ورثى بثلاثمائة مرتبة، والمرتبة هي القصيدة ومن هنا تعرف عمارة لقيروان.

من ذلك:

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص131- 133.

لقد مات رأس العلم وانهد ركنه

وأصبح من بعد ابن سحنون واهيا

فمن لرواه العلم بعد محمد

لقد كان بحرا واسع العلم طاميا

ومن لراوة العلم والرأى والحجا

وقد أصبح المفضال في الترب ثاريا

لقد أفجع الإسلام موت محمد

وأصبح منه جانب العين خاليا

يكن بكل من الغرب عند وفاته

وحق لمن بالغرب إن يك باكيا

وقال ابن الحارث: "اقام الناس على قبره أشهرا عدة حزنا عليه وأسفا على فراقه"

وقال غيره:" لم تتفرق الناس عنه حتى خاف من ذلك ابن الأغلب فيعث إلى ابن عم سحنون المعروف بابن لبدة يفرق الناس"

وهكذا كانت الناس مع وجود أبي عبد الله: محمد بن عبدوس وغيره واليوم يكون في البلدة عالم واحد ليس فيها مثله، فإذ مات فحدهم أن يجدوا عليه حتى يدفنوه ويرجعوا إلى حوانيتهم وأشغالهم، وكأنه ما كان بين أظهرهم ولا نفعهم في دينهم، ولا ذنب عنهم في دنياهم، فذهب الناس و لم يبق في غالب امر إلا الكناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي الفقيه رحمه الله: قال: عياض و لم يسكن قابسا وإنما كان له عم يشد عمامته بشد قابس فسمي بذلك وهو قيرواني الأصل (قلت):وهذا فيه نظر، وظاهر قولهم المعروف بابن قابس يقتضي أن والده كان من أهل قابس، فإما أن يكون أتى للقيروان وتزوج بها وتزايد له بها وإما أن يكون أتى به صغيرا، ولما وليت

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص134.

قضاء قابس وجدت بقربها قرية خالية تسمى بالمعافرين وفيها مسجد يقصد الناس الصلاة فيه تبركا ويقصدونه بالوعدات يقال له مسجد سيدي علي ولا يدرون من يكون عليا؟ فلما خطبت خطبة العيد انجر في كلامي أنه ينبغي للإنسان أن يكثر من زيارة قبور الصالحين، وأن يوصي بالدفن في جوارهم، ثم ذكرت الحكاية الآتية: وهي أن الشيخ أبا الحسن القابسي لما دفن بالقيروان رأى رجل في منامه كان رجلا خرج من قبره فقال: لي اليوم في العذاب أربعين سنة فلما دفن هذا الشيخ أبو الحسن عندنا غفر الله لي ولجميع من في المقبرة، فسألني بعضهم في أي بلدة هو؟ قلت هو ينسب للمعافرين فجزموا من محبتهم في ذلك المسجد وفرحهم بالحكاية المذكورة أنه صاحب ذلك المسجد فزاد تبركهم وصلاتهم به وجددوا ما اختل من بنائه وقالوا: لما كان الشيخ اسمه علي ويعرف بإبن القابسي وبلده المعافرين وهذا المسجد بالمعافرين وسمي عندنا بالتواتر مسجد سيدي على فهو المراد لا غيره، ويزجوا من الله أن يحشرهم في زمرته وقد قال عليه السلام: "من أحب قوما أحشر معهم"

قال: سمع بإفريقية من أبي العباس عبد الله بن أحمد الأبياني، وأبي محمد عبد الله بن مسرور التجيبي، وأبي عبد الله بن مسرور العسال، وأبي الحسن علي بن بدر بن هلال وابن اسحاق السبائي وأبي القاسم زياد بن يونس البحصبي ابن محمد الخولاني (قلت): وتقدم أن اعتماده كان علي الدباغ وظاهر تعيين من ذكر دون غيره يقتضي أنه لم يقرأ على أبي بكر بن اللبار (قبت): ثم رحل إلى المشرق سنة اثنتين وخمسين وثلاثمئة وحج سنة ثلاث وخمسين، ثم عاد إلى مصر فأقام بها يسمع الحديث، فسمع بالإسكندرية من أبي الحسن علي بن جعفر الشابياتي.

قال: عاد إلى القيروان سنة سبع وخمسين.

قال: وله تواليف منها الكتاب الممهد، بلغ فيه إلى ستين جزءا ومات و لم يكمله وهو كتاب كبي كثير الفائدة مبوب على ابواب الفقه جمع فيه بين الحديث والأثر والفقه، وله كتاب الملخص، وكتاب المنبه للفطن، والمبعد من شبه التأويل ورسالة في الإعتقادات، والرسالة الناصرة، ورسالة في الذكر والدعاء، ورسالة أحمية الحصون، وكتاب المناسك، والرسالة المقلة لأحوال المعلمين

والمتعلمين، وغير ذلك من تواليفه، وقد أشغلته العبادة عن التأليف فإن وفاته كلها كانت عامرة بالخير[1].

ذكر ثناء العلماء عليه:

كان عالما عاملا جمع العلم والعبادة والورع والزهد والإشفاق والخشية ورقة القلب ونزاهة النفس ومحبة الفقراء، حافظا لكتاب الله ومعانيه وأحكامه، حافظا للسنة عالما بعلوم الحديث والفقه واختلاف الناس، سلم له أهل عصره ونظروه في العلم والدين والفضل، كثير الصيام والتهجد بالليل والناس نيام مع كثرة التلاوة، وكانت فيه خصال لم تكمل إلا فيه، منها القناعة، والرفق بهل الذنوب وكتمان المصائب والشدائد، والصبر على الأذى وخدمة الأخوان والتواضع لهم والإنفاق عليهم وصلتهم بما عنده، قد نشر الله له لواء الولاية وحلاه بحسن النية.

(قلت) وكان أبو سعيد بن أخي هشام يعظم أبا الحسن القابسي ويقول: أبو الحسن لا يحاسب على مكيال ولا ميزان وإن كان لا يدخل الجنة إلا مثل أبي الحسن فما يدخلها منا أحد، وقال الشيرازي جلس مجلس ابن سبلون بعد وفاته.

وقال أبو الحسن القابسي لها رحلت لتونس إلى أبي العباس الأبياني أنا وأبو محمد الأصيلي وسعيد بن سعادة الفاسي كنا نسمع عليه، فإذا كان بعد العصر ذاكرنا في المشكل فتذاكرنا يوما وطال الذكر فخصني بأم قال لي: يا أبا الحسن لتضربن الليل، آباط الابل من أقصى المغرب، فقلت له ببركتك إن شاء الله ولما نرجوه من النفع، ثم جرى لي معه مرة أخرى كذلك ثم ذاكرني يوما فاستحسن فهمي في ذلك فقال لي مثل ذلك فقلت ببركتك ان شاء الله (قلت): في حلف الشيخ الأبياني دليل على أنه يجوز عنده اليمين على غلبة الظن وليس بعموس، وفي النوادر عن محمد بن الموازانة غموس الشك، وعلى هذا القول فاختلف فيه، ودعا له الشيخ أبو اسحاق الجبيناني عند

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص134-135.

رجوعه عنه أول ما زاره بما دعا به أبو اسحاق السبائي وهو أعلى الله قدرك في الدنيا والآخرة، ولما فدمت اليه داينته ليركبها امسك الجنيباني بركابه كعادت لمن قبله من علم أو خير[1].

قال أبو عبد الله محمد بن عبد المالكي كان يحي ليلة الجمعة فلا ينام منها اليتة، وأما شهر رمضان فكان يقوم ليله كله يتجهد فيه بالقرآن مع قطع نهاره بالتلاوة والذكر والصلاة، وكان إذا أمر بآية في بهجده فربما رددها باكيا إلى الصباح، وقد صلى ليله من الليالي بختمة من أول الليل إلى آخره، فلما صلى الصبح جلس لإلقاء المسائل إلى الظهر، وكان يصوم ويفطر إلا في رجب وشعبان، وكان يصوم أيضا في شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة ويصوم المحرم ولقد صام سنة سنة كاملة ولقد ختم القرآن بقصر أبي الجعد من الظهر إلى العصر ثم صار بعد ذلك يتفهم القرآن.

وأما تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فشيء كثيرا اعظم إسم في صخرة أخذ سنبلة من زرع فتصدق عن صاحبها بقمح كثير[2].

ولما مات ابن أبي زيد بكى عليه القابسي حتى كاد أن يعمى فيه خلاف في كلامه، كان فقيها أصوليا متملكا مؤلفا وكان أعمى لا يرى شيئا وهو مع ذلك من أصح الناس كتبا وأجودهم ضبطا وتقييدا بضبط كتبه بين يديه ثقا بأصحابه

وكان الشيخ أبو الحسن معروفا بالإجابة فكان إذ دخل محرابه وانتفخت عيناه واحمرت رجأ إلى الله عز وجل ورثي ذلك منه انتظرت اجابة دعواته ومنتهاها ثلاثة أيام.

ذكر بقية أخباره:

قال: كانت عجوز بالقيروان صالحة وبلغ من حالها أنها اتته يوما وهو في ميعاده فقالت له: يا علي يا بني تعال: فقام إليها الطلبة ينكرون عليها فقال خلوها فإنها عجوز الحارة فقام إليها، فقالت: يا بني فإني أخرج في الليل إلى الجامع لصلاة العتمة وعرضت لي طريقان: طريق قريب فيها ضوء

[1] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص131.

[2] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص136- 137- 138- 139.

مصابيح أهل السوق وفي أموالهم اشتباه، وطريق بعيد ليس فيها ضوؤهم فهل أتنب الطريق الأولى أم لا؟ فقال لها تجنبي ذلك فإن في أموالهم اشتباهة ورجع الشيخ أبو الحسن عنها وهو يبكي ويقول أي والله على علوش والله ما خطر لي هذا الورع قط، وهذا م يد على أنه لم يخلق أعمى.

وأتت إليه رضي الله عنه يوما آخر فقالت له يا علي ذلك الرجل الطويل الذي كان البارحة يحدثك من الطاق من هو؟ فقال لها: هو الخضر وأنت اليه يوما آخر فصاحت له وأسرت له شيئا فرجع إلى أصحابه وهو حزين يبكي وقال ما بقي اليوم ميعاد، فخرجوا إلى العجوز وهم يذممونه ومضوا إليها وقالوا ما الذي قلت له حتى قطع علينا الميعاد؟ فقالت لهم: فانه حلفتي أن لا أذكره في شيء من هذا الوقت، فلما كان بعد أيام مات الشيخ أبو الحسن فمضى أصحابه إلى العجوز فسألوها ما الذي قلت له؟ فقالت لهم: فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: أتقرأ للشيخ أبي الحسن السلام وقل له: تأهب فإنك عندنا ليلة الإثنين: فحلفني إن لا أذكره حتى بموت، فهذا الذي منعني من ذكره.

(قلت)/ ولما كان قوله عليه لسلام تاهب يشعر بأنه يجدد عملا صالحا حزن بكى لأنه لفراقه للدنيا والله أعلم.

ذكر وفاته رحمه الله تعالى:

قال: توفي رحمه الله ليلة الأربعاء ودفن يوم الخميس صلاة الظهر لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمئة وما ذكره مثله نقل غيره.

وقال: ولهمن العمر ثمانون سنة إلا خمسة أشهر وذكر بعد هذا أن الذي غسله هو ملكي بن عبد الرحمان الأنصاري[1].

قال: وصلى عليه أبو عمران الفاسي فيها بين الماجل ومقبرة تونس في أمم لا تحصى ودفن بباب تونس وضربت الأخبية على قبره بات وعليه عالم كثير، ورثاه الشعراء بنحو المائة ... واقيم المبيت

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص139- 149- 141- 142.

على قبره وانشدت المراثي سنة كاملة، وقال المالكي أجل صالح ممن كان احتسب نفسه للمبيت على قبره والقراءة عليه كان رجلا خرج من قبره فقال لي اليوم في العذاب أربعون سنة فلما دفن هذا الشيخ أبو الحسن بيننا غفر لي ولجميع الموتى، كما قال أيضا وقنط الناس بالقيروان سنة تسع أوسنة ثلاث عشرة وأربعمائة.

وكان شيخنا أبو الفضل البرزلي ينقل أن أبا عمران الفاسي ممن اقام على قبره مدة السنة مع من اقام وأن أبا الحسن الفاسي وقف له في المنام وقال يا ابا عمران أدخل القيروان وفقه أهلها في الدين نورت قبري نور الله قبرك.

وقد ألف فيها تلميذه أبوعبد الله محمد المالكي كتابا اقتضيت منه بذا سيرة[1] .

ومنهم أبو عمران مروسى ابن عيسى ابن أبي حاج الغفوجومي* الفاسي رحمه الله نزيل القيروان:

أصله من فاس وبيته بها بيت مشهور يعرفون بها ببني حاج، (قال): تفقه بالقيروان على الشيخ أبي الحسن القابسي وغيره يعني أبا بكر الزوبلي وعلى ابن أحمد اللواتي السواسي (قال) ثم رحل إلى قرطبة فقرأ على أبي محمد الأصلي، وسعيد بن نصر وعبدالوارث بن سفيان، وأحمد بن بني القاسم الأبرازي، ثم رحل إلى المشرق وأخذ بمصر اللقراءات على أبي الحسن عبد الكريم بن أحمد ابن أبي جدار، وأخذ بمكة عن أبي اسحاق عبد الله بن محمد بن أحمد السرقطسي، ثم حج حجات كثيرة ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وحضر مجلس أبي بكر بن الطيب بن الباقلاني القاضي وسمع منه ومن غيره وعينهم، ثم انصرف الى لقيروان فأقر بها، القرآن مدة ثم درس الفقه واسمع الحديث واشتهر بها الشهرة التامة ورحلت اليه طلبة العلم من البلاد وظهرت امامته، قلت: وتفقه عليه جماعة كثيرة كعتيق السوسي، أبي القاسم السيوري وجماعة من الفاسيين والأندلسيين،

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص142-143.

*– الخفجومي: نسبة إلى قبيلة بربرية.

وطارت فتاواه إلى المشرق والمغرب وكان يجلس للمذاكرة والسماع في داره من غدوة إلى الظهر فلا يتكلم بشيء إلا كتب عنه ان مات.

ذكر ثناء العلماء عليه وهيبته:

قال كان فقيها عالما بفنون العلم منها القرآن وعلومه ةالحديث وعلله ورجاله والفقه البارع سمع الورع التام والهيبة والوقار والسكينة فقليل الضحك قيل أنه مارئي ضاحكا قط إلا مرة واحدة عارفا بأصول الدين (قلت) وكان ابو بكر الباقلاني يعجبه حفزه ويقول: لو اجتمعت في مدرسة أنت وعبد الوهاب بن نصر لاجتمع فيكما علم مالك أنت تحفظه وهو ينصره، لو رآكما مالك لسربكماا ولما وصل إلى بغداد شاع أن فقيها مالكيا من أهل المغرب قدم، فقال الناس لسنا نراه إلا عند القاضي أبي بكر وهو اذ ذاك شيخ المالكية بالعراق وأمام الناس فنهض من أهل بغداد جماعة لمسجد أبي بكر ومعه أصحابه وأبو عمران ثم سأل رجل الشافعي عن مسالة من الاستحقاق فأجابه أبو عمران بجواب صحيح مجرد عن الدليل، فطلبه السائل بالحجة عليه فاطرق الشيخ أبوعمران فقام شاب من اهل بغداد من المالكية فقال للسائل اصلحك الله هذا شيخ من كبار شيوخنا ومن الجفاء أن تكلفه المناظرة من أول وهلة، ولكن أخدمه أنا في نظر هذه المسألة وأتوب عنها فيها، وجرت في ذلك المجلس مسائل، ولما ورد القيروان وجلس بها وبا علمه قال أصحاب أبي يكر بن عبد الرحمان: نسير إليه، وقالوا انه يعز على شيخنا ذلك، وتراضوا في الحضور عنده ثم عزموا على ذلك وقالوا انه لا يحل لنا التخلف عن ملكه، فاسخطوا شيخهم حتى يحكي انه دعا عليهم وهجرهم[1].

ذكر بقية أخباره:

قال أبو العباس الجعفري الأندلسي: قال رجل بالقيروان أنا خير البرية فهمت به العامة ثم لبث فحمل دار أبي عمران فقيل ذلك له، فقال له: أنت مؤمن؟ قال: تصلي وتصوم وتفعل الخير؟ قال

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص159-160-161.

نعم، قال: اذهب بسلام قال الله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**"[1]وجرت بالقيروان مسألة أخرى في الكفار هل يعرفون الله أم لا؟ ووقع فيها تنازع عظيم من العلماء، وكثر التنازع بينهم، فكان رجل مؤدب يركب حماره ويذهب من آحد إلى آخر فلا يترك متكلما ولا فقيها إلا سأله فيها وناظره، فقال: قائل لو ذهبتم إلى الشيخ أبي عمران لشافا من هذه المسألة فآتوا باب داره وأستأذنوا عليه فقالوا اصلحك الله أنت تعلم أن العامة إذا حدث بها حادث إنما تفرغ إلى علمائها وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك ومالنا في الأوساق شغل إلا الكلام فيها، فقال لهم: ان اتنصتم وأحسنتم الاستماع أخبركم بما عندي قالوا ما نحب إلا جابا بيننا على قدر أفهامنا فقال لهم: وبالله التوفيق لا يكلمني منكم إلا واحد ويسمع الباقون فقال لهم الشيخ الكافر إذ قال لمعيوده صاحبة أو ولد وأنه جسم، وعبد من هذه صفته، فلم يعرف الله و لم يصفه بصفته و لم يقصد بعياته إلا من هذه صفته، وهو يخالف المؤمن إذ يقول أن معبوده الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفؤا أحد[2]، فهذا قد عرف الله ووصفه بصفته فقامت الجماعة وقالوا جزاك الله خيرا من عالم فقد شفيت ما في قلوبنا ودعوا له و لم يخوضوا في مسألة بعد هذا المجلس قال: ورحل إلى المشرق مرة ثانية سنة ست وعشرين وأربعمائة فلقي بمكة عبد الله بن أحمد الهروي وأخذ عنه ثم قدم القيروان قبل وفاته بيسير.

ذكر وفاته وما يتعلق بذلك:

قال: ولما حضرت أبا عمران الوفاة جعلت زوجته تمرغ خديها على رحيله فقال لها مرغي أو لا تمرغي أما والله أني ما مشيت بهما إلى معصية قط، وقال: وتوفي في الثالث عشر من رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة ومولده سنة ثمان وستين ثلاثمائة وقال مولده أيضا سنة خمس وستين وحضر الصلاة عليه جميع أهل القيروان والسلطان في موكبه وتجاذبت العامة نعشه، وصلى عليه أبو بكر عتيق السوسي الفقيه الزاهد بوصيته له ودفن بداره وقبره مشهور بالقيروان يتبرك به، وكذلك ان

[1] – سورة البينة، الآية 7.

[2] – سورة الاخلاص.

مرض له ولد أو ما أشبه ذلك وكل من نزلت به نازلة بالقيروان من سرقة ماله أو غير ذلك يكثر من الزيارة للشيخ والدعاء عند قبره يفرج الله عنه ما نزل به في غالب الحال[1].

ومنهم أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف (بابن الحداد رحمه الله تعالى):

والحداد جده لأمه، وعوام القيروان عندنا يقولون: سعيد الحداد وإنما سمي الحداد لحدة ذهنه وهو وهم، وإنما هو ابن الحداد، والمراد ما تقدم.

قال سمع من سحنون (قلت): ثم يزغ أخيرا إلى مذهب الشافعي، من غير تقليد له، بل كثيرا ما يخالفه، وكان يسمى المدونة المدودة ونقص بعض من نقص، فرفضه أصحاب سحنون، وهجروه وأغروا به ابن طالب القاضي، فهم به، ثم نشأت بينه وبين ابن طالب صحبة، فكان له على بر، وبقي مهجورا الباب، قليل الأصحاب إلى أن ناظر أبا عبد الله الشيعي.

بل سمع من غيره من شيوخ افريقية كأبي سنان عوائي الحسن الكوفي بأطرابلس وغيرها، و لم تكن له رحلة ولا حج لأنه كان مقلا وانما اشتهر كأبي سنان، عوائي الحسن الكوفي بأطرابلس وغيرها، و لم تكن له رحلة ولا حج لأنه كان مقلا وانما اشتهر وتمول بعد الشيخوخة والرمانة وسمع منه ابن عبد الله، وابو العرب، وأحمد بن موسى الثمار.

له تآليف منها: كتاب ايضاح المشكل وكتاب المقالات رد فيه على أهل المذاهب أجمعين، وكتاب الاستيعاب وكتاب الأمالي وكتاب عصمة النبيين وكتاب العبادة الكبرى والصغرى وتاب الاستواء إلى كتب كثيرة.

ذكر ثناء العلماء عليه:

قال: كان فقيها صالحا فصيحا متعبدا، وأحد رجال زمانه في المناظرة والرد على الفرق، مقدما ما في ذلك ثقة كثير الخشوع، لم ير أسرع منه دمعة.

قلت: وقال المالكي "كان سعيد بن الحداد عابدا زاهدا ورعا مجاب الدعوة، وكان حسن اللباس وجميل الزي، مبالغا في ذلك تقوم كسوته بعشرين دينار

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص162.

وكان نافذا في النحو عربي اللسان، جهير الصوت إذا لحن في كلامه قال: استغفر الله، م يكرر الكلام معربا وإذا تكلف الشعر أجاد[1].

ذكر مكانه من العلم:

قال ابن الحارث: ألف الشيخ أبو عثمان سعيد بن الحداد: تأليفا رد به على الشافعي، وبعث به إلى المزني[2] وابن أبي سعيد.

وقال المالكي: كان سعيد بن الحداد معظما لمالك، ويسؤ الرأي في أبي حنيفة وأصحابه، وروى عنه أنه قال: تذكرت بقلبي مسائل لأبي حنيفة ركب فيها المحل اضطرارا نحوا آمن اربعمائة مسألة، وتكلم يوما في مسألة فقيل له: إن داود قال فيها كذا؟ فقال لو كان نومي كيقظة داود ما تكلمت في العلم"[3].

ذكر أخباره في مناظراته رحمه الله تعالى:

كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة، وله في ذلك مقامات مشهورة وآثار محدودة، ناب فيها أحسن مناب حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة وكان هو المعتمد عليه في مناظرة الشيعي، فلما اجتمع مع هذا الأخير (أبي عبد الله الشيعي في مجلس المناظرة) قال له: أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكاء غيرهم يعني بأصحاب الكاء محمدا صلى الله عليه وسلم تسليما والحسن والحسين، وعليا وفاطمة، ويعني بغيرهم أبا بكر

فقال أبو عثمان: أي أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل، أو اثنان الله ثالثهما؟ فبهت الشيعي هذه المناظرة ذكرها التجيني.

فقال ابن الحداد: لم يرد بولاية رق، وإنما أراد ولاية الدين.

---

[1] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص163.

[2] – المزني: أشهر أصحاب الشافعي، (ت 138).

[3] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص295-296.

وأرسل عبد الله بن عمر المروذي في طلب العلماء مدتيهم وعراقيهم، فقال: أبي امرت أن أناظركم في قيام رمضان، فإن وجبت لكم حجة رجعنا إليكم، وإن وجبت لنا رجعتهم إلينا قال ابو عثمان فقلت له: "ما تحتاج إلى مناظرة؟ فقال لي: لابد منها فقلت له شأنك وما تريد فقال: ألستم تعلمون وتروون أن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما و لم يقم إلا ليلة ثم قطع وأن عمر بن الخطاب هو الذي استنى القيام؟ وقد جاء في الحديث الذي ترونه وترونه أن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فقلت له: هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله ز وجل ويذم من ركها.

وقال أبو الأسود: موسى لقطان لو سمعتم يعيد بن محمد في تلك المحافل يعني مناظرته للشيعي. وقد اجتمع له جهارة الصوت، وفخامة المنطق، وفصاحة اللسان، وصوابة العاني، لتمنيتم أن لا يسكت.

ذكر إجابة دعائه:

قال التجيني: قال أبو محمد: عبد الله بن التبان عرض لأبي عثمان سعيد بلغم أمال وجهه، فقال: بإجارته ناوليني المرآة ونظر في وجهه ورمى بالمرآة وقام وتوضأ وصلى ركعتين، ثم قال: اللهم بحرمة الإسلام الذي بسط به لحمى ودمي إلا ما رددت علي ما عودتني من فضلك وإحسانك. ثم رفع المرآة فإذا وجهه على أحسن ما يكون.

ذكر زهده رحمه الله تعالى.

قال المالكي: كان رحمه الله تعالى متقبلا من الدنيا في ابتداء أمره حتى كان إذا باضت دجاجة في داره فرحوا لذلك لأنهم يشترون بها بقلا، وكانت كسوته حينئذ بعشرين دينارا، وكانت له همة بيته بهما على اهل الدنيا ويلبس لباس الشرفاء للتيه في أعين الأعداء يعني عبيد الله وشيعته.

وكان يحض على القناعة ويرغب الناس فيها ويقول : القناعة كتر[1].

ذكر شيء من حكمه رحمه الله تعالى:

[1] – أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص299.

قال المالكي: كان اشيخ أبو عثمان بن الحداد رحمه اله تعالى يقول: تقديم من أخره الله، وتأخير من قدمه الله فتنة في الأرض وفساد كبير

وقال: ليس كل ذنب يجب فيه العفو، ولا كل حالة يجب فيها الحم

وقال: ما ينبغي للإنسان أن يضيع مكسبه ولا يسرع يده فيما يملك لو لم يتماسك بالفور وإلا لشمتت الأعداء لئلا يحتاج الإنسان إلى غيره[1].

وكان يقول: القلب الحي كاللحم الحي، اليسير يؤلمه والقلب الميت كاللحم الميت، الكثير لا يؤلمه

ذكر بقية أخباره رحمه الله تعالى

قال البنيني: قال ابو محمد: عبد اله ابن التبان: سئل أبو عثمان سعيد عن قول الله عز وجل :" **وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ** " [2] ، فقال: مذاهب العرب يجعلون الليلة سابقة اليوم، ومذاهب العجم يجعلون اليوم سابق الليل.

قلت: يعني فعلي الأول تكون "لا" زائدة، وعلى الثاني تكون "لا نافية"، والله تعالى أعلم.

وسئل عن الاستغفار فقال: هو عبارة عن الرجوع إلى الله، أي رجعت نادما ليغفر لي.

وسئل عن الاسلام فقال: هو الانقياد، والإيمان: هو التصديق.

ذكر وفاته:

توفي أبو عثمان في رجب سنة اثنتين وثلاثمائة، وكان مولده سنة تسع عشرة ومائتين.

قلت: ويقال سبع عشرة.

وذاكر أنه لما تخرج البريد —سحرا- يبشر أمير بني عبيد، ورثي بأشعاره كثيرة.

قال: ودفن بباب سلم، وقبره ظاهرا معروف يزار[3].

---

[1] - المصدر نفسه، ص301- 302.

[2] -سورة يس، الآية400.

[3] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص313- 314- 315.

ومنهم أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد واسم أبي زيد عبدالرحمان النفراوي رحمه الله* نسبا بالقيرواني مولدا ومنشا ومدفنا:

قال: سمع بافريقية من أبي بكر محمد بن محمد بن اللباد وعليه كان اعتماده في الفقه، وسمع من عبد الله بن مسرور بن الحجام، وأبي عبد الله محمد بن العسال، وحبيب بن الربيع، ودارس بن اسماعيل الفاسي الجراوي، والحسن بن نصر التوزي، وأبي الحسن علي بن محمد الخولاني، وأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم وعبد الله بن سعيد الحداد، وأجازه من أهل المشرق أبو سعيد بن الأعرابي، وجماعة من البغداديين، وتفقه عليه جلة من القرويين والأندلسيين وأهل المغرب.

ذكر ثناء العلماء عليه:

قال: كان من أهل العلم والعبادة والورع والفضل والإحسان بالمحل الأعلى انتشرت امامته في العلم شرقا وغربا، وأحد الزمان جلالة وعلما، وفريد العصر عقلا وفهما، مع ورع حاجز، وحسن سمت ووقار، وارتفاع همة، وعذوبة ألفاظ، وملاحة ايراد، وجزالة معان، ضربت اليه الأكباد من سائر البلدان، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، كتبه تشهد له بذلك، فصيح اللسان ذا بيان ومعرفة بما يقوله، ذابا على مذهب مالك قائم بالحجة عليه، بصيرا بالرد على أهل الأهواء، يقول الشعر ويجيده، ويجمع الى ذلك صلاحا ناما وورعا وعفة، وحاز رئاسة الدين والدنيا، واليه كانت الرحلة في الأقطار وكان مؤيدا في فتاويه وتواليفه كلها نبيلة منها كتاب النوادر، وكتاب المختصر للمدونة، وكتاب الرسالة، وكتاب الاقتداء وكتاب الذب عن مذهب مالك، ورسالته في رد السائل، وكتاب المضمون الرزق... وغيرها كثيرة وشرحها ونسخت[1].

ذكر جوده وسخائه:

*- النفزي: ولا سواء بينهما لأنه يوجد بالقطر التونسي شمالا نفزه- وجنوبا نفزاوة وأكثر التقول النفري.

[1] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص109-110.

قال: كان رحمه الله من الأجواد وأهل الايثار والصدقة كثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم، كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم، وقد ذكر أنه بعث إلى القاضي أبي محمد عبد الوهاب بألف دينار عينا، ووصل يحي بن عبد الله المغربي حين قدم القيروان بمائة وخمسين دينارا ذهبيا، وجهز ابنه الشيخ ابن الحسن القابسي بأربعمائة دينار عينا.

وبعث إلى الفقيه أبي القاسم بن شلبون –في مرضة مرضها- بخمسين دينارا ذهبا، وأن بعض طلبة الأندلس وصل إلى الفقيه أبي محمد للقراءة عليه فأكرمه وأنزله وأحرى عليه ما يحتاج اليه من نفقة وجعله امام مسجده [1].

ذكر كراماته وبقية أخباره:

كان رحمه الله تعالى يفتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غوامض المسائل ودقايقها، فيقول بعض المؤرخين أنا فيجيبه، قال: ذكر أن المؤدب محرز بن التونسي رحمه الله قصد إلى زيارة أبي ممد فلما دخل إلى داره أثره بابنه الفقيه أبي محمد ليدعو لها وكانت قد لقعدت قد عالها فقامت على قدميها ومشت من ساعتها، فكثر التعجب من ذلك فقال المؤدب محرز والله ما قلت إلا: اللهم بحرمة أبيها عندك اكشف ما نزل بها، فشفاها الله ببركة أبيها.

قال: وكان رحمه الله كثير الاشفاق على ما كان عليه من الاجتهاد في الخير.

ذكر وفاته وما يتعلق بذلك:

قال: توفي أبو محمد يوم الإثنين عند الزوال الموفى ثلاثين من شهر شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة (قلت): وعاش ستا وسبعين سنة. (قال): يصلي عليه الشيخ أبو الحسن القابسي بالريحانية عند باب أصرم يوم الثلاثاء في جمع لا يحصون ودفن بداره وروى عنه أنه لما سمع بوفاته سقط إلى الأرض وقال الآن انكشفت عورتي لما كان ينوب عنه في الفتوى، وبكى عليه حتى كاد أن يغمى، (قال) ظاهر هذا أنه لم يخلق أعمى ولا عمى قبل موت أبي محمد وهو خلاف ما يأتي لعياض في قوله كان

[1] – المصدر نفسه، ص 111- 113- 114.

القابسي فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا وكان أعمى لا يرى، وذكر أبو محمد أنه رأى في منامه أن باب داره سقط فمات عن قريب (قال) وقد رثى بمراث كثيرة[1].

4- عنوان الدراية فيمن عرف بين العلماء في المائة السابعة ببجاية[2].

تأليف: أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله (644- 714ه)

حققه وعلق عليه: عادل نويهض:

هذا الكتاب للعلا الشيخ أبي العباس الغبريني من أهم مصادر التاريخية في القرن السابع هجري في بجاية، بالمغرب الأوسط سجل حافل بالتراجم عشرات العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم.

من مشاهير أعلام الجزائر وتونس والمغرب والأندلس، نشر لأول مرة في مدينة الجزائر سنة 1910 بعناية الأستاذ محمد بن أبي شنب.

بجاية: مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط، تقع شرقي في الجزائر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط فكتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، ترجم فيه لأكثر من مائة وأربعين من رجال القرن السابع الهجري، وأكثرهم عاصر العهدين الموحدي والحفصي فهذه المدينة كان لها أثر في الصلاة وعلى الانتاج الأدبي والدييني والفقه وأصول وتصرف الخ.

اسم المؤلف ونشأته وتعليمه واسلوبه ونظمه:

هو أحمد بن أحمدبن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني وكنيته أبو العباس أما الغبريني، نسبة إلى 'بني غبري" ميلاده (644ه- 1246م)، حفظ القرآن وعلوم الفقه، والتفسير والحديث والعربية فتأثر إلى حد كبير بسلوك فئة قليلة من شيوخه من الزهاد والمتصوفين فسلك سبيلهم فعمد على تسجيل

[1] - أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، المصدر سابق، ص116- 117- 118.

[2] - أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، أفريل 1979، ص7.

ما سمع منهم، فمعظم كتابه في السنوات الأخيرة من حياته كان متأثرا تأثرا قويا بالسجع فلقد علمنا بعض لقصائد والأبيات الشعرية لا تزال مخطوطة في مكتبات المغرب الأقصى.

وفاته: أجمع الكثير من المؤرخين أن الغبريني قد توفي بمدينة بجاية سنة 714ه، 315م، لإصابته بالطاعون وهنالك من يقول غيرهم ابن قنفذ القسنطيني في كتابه الوفيات آن وفاته 704ه، فالأغلب يقول وأجمع عليه، أن التاريخ الأول هو صحيح[1].

هذا الكتاب وقيمته التاريخية:

ذكروا فيها أسماء العلوم التي أخذوها عن معاصريهم من علماء الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ وغيرها، فهذا الكتاب حفظ لنا صفحات مجيدة عن حياة مشاهير المغرب الأوسط ابتداءا من القرن الثالث الهجري تبين لنا مدى اهتمام الجزائريين خارج حدود وطنهم وذكروا أسماء من أخذوا عنهم أو سمعوا منهم من أعلام المشرق العربي بالعلم والحج اليه فكتابنا هذا: تميز عن غيره بالشمول في التعريف بغير شيوخ المؤلف تسجيل لبعض الأحداث التاريخية. وفي الأخير لابد القول أن الطريق التي اتبعها الغبريني في كتابته لتراجم أعلام المائة السابعة، كانت غير ذاتية في معظمها[2].

ذكر الشيخ:

1- أبو مدين شعبت بن الحسين الأندلسي رضي الله عنه: (594ه- 1198م):

الشيخ الفقيه المحقق، الواصل القطب شيخ مشائخ الإسلام في عصره، الإمام والزهاد وخاصة اللخلصاء من فضلاء العباد، سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي من ناحية اشبيلية فتح الله عليه بمواهب قليلة واسرار ربانية، كان الشيخ أبو يعزى، رحمه الله تعالى يثني عليه ويشكره وبتبريك بثنائه لعظم حضره وجلالة قدره، وتحلس من مواهب الله بأحسن الحلى، مما تقرر عنده

[1] – أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص17.

[2] - أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص17.

من رسم الصفة، وذكر أنه انتهى إلى سورة تبارك الذي بيده الملك فقال نعم كانت سورتي، لو تعديتها لأحرقتني. ثم التفت إليها بنزعة صوفية مشيرا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، اشتغل بملازمة العبادة ولزوم القراءة واستعمل حرفة الخياطة للمعيشة.

وبعد اشتهاره ببجاية سعي به عند خلفاء بني عبد المؤمن، (ت558ه) بمراكش فأمر بطلوعه إلى مراكش وكتب إلى والي بجاية ذلك وأمر أن يحمله محمل، فلما وصل إليه الأمر اجتمع عليه اكابر الصحابة وعز عليهم فراقه وتألموا حاله فقال رضي الله عنه لا عليكم، شعيب شيخ كبير ضعيف لا قدرة له على المشي منيته قدرت بغير هذه البلدة ولابد من الوصل إلى محل منيته، إلى أن وصل تلمسان ونزل بها بالموضع المسمى بالعباد، فقال لهم لا بأس بالنوم بهذا المكان، فوفاته هناك منيته وتشرفت تلك البقاع تربته، وهذه جملة كراماته رضي الله عنه وقبره هناك معمر مشهود، وحوض مورود، والدعاء عنده مستجاب، وهو أحد المعالم التي عرف بالتجربة استجابة لدعاء عندها.

فبعد ذكر التلمساني، بفضل الشيخ أبي مدين وبعد وصفه إياه بعض أوصافه الجليلة، قال ظهر فيهه صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الموت المرء على من عاش، أي الخاتمة أحسنها لآخر رمق الله الحي توفي نحو التسعين وخمسمائة[1].

ذكر بعض العلماء قال: رأيت ذا القرنين في المنام فسألته عن قوله تعالى: " **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ** "[2]، ما هذه العين التي تغرب فيها الشمس والشمس أكبر من الدنيا نيف وستين مرة، وقال ابن نقيب السماوات والنجو والقمر حين يعدم الخلق؟ فقلت ى أدري، فقال لي في عظمة الله وقدرته، والعين هي الظلمة والقدرة، فقلت ما عندي غيره فقال، ولا عند جبريل، ثم قال لي، قل للشيخ أبي مدين أنت قطب والدراري دائرة بك، وأنت سر لبجاية الناجية فبثك العلم في بجاية رحمة لهم وعناية، وكان سبب هذا أنه وقع ذكر في هذه العين التي

[1] – أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص 16-20.

[2] – الأية من سورة الكهف.

تغرب فيها لشمس، فقال أبو مدبن لصاحب الرؤيا إن رأيت أحدا من الأنبياء فسأله عن هذه لعين، وقال يعضهم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه أبو مدين وابو حامد رضي الله عنهما، فسأل ابو حامد الشيخ أبا مدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له فما روح المعرفة؟ قال اللذة، قال فما روح اللذة؟ قال نظرة غليه، فغشيهم نور عظيم فأخذتهم الملائكة وصعدت بهم حتى غابوا لهواء.

هنا يدل على علو مقامه، وبديع قصد ومرامه، ليصل إلى عالم المقربين بن الأخيار قال رضي الله عنه: الحق تعالى، مطلع على السرائر والضمائر في كل نفس، وقال: اياك أن تميل إلى غير الله فيسلبك لذة مناجاته، وقال أيضا: من رزق حلاوة المناجاة زالعنه النوم، وقال: من عرف الله استفاد منه.

في ليقظة والنوم وقا لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن جمعت له أربعة، الزهد والعلم والتوكل واليقين، وقال: اجعل الصبر زادك، والرضى مطيئك، والحق مقصدك ووجهتك، وقال: من اشتغل بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذل، وقال: جعل الله تعالى قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس وقلوب العارفين محلا للذكر والاستيناس، وقال: لا ينفع مع الكثير عمل ولا يضر مع التواضع بطالة، وقال توكل على الله حتى يكون الغالب على ذكرك فإن الخلق لم يغنوا عنك شيئا[1].

وقال بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة، وقال: من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه، وقال الدعوى من رعونة النفس، وقال: من خدم الصالحين ارتفع بخدمته، وقال: من حرم احترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه وقال: ثمرة لتصوف تسليم كلك، وقال: من ترك التدبير والإختيار طاب عيشه وقال: التعظيم امتلاء القلب باجلال الرب، وقال: الغيبة عن الحق خيبة.

[1] - أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص 21- 29.

وقال: كل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسمه فليست تحقيقه، وقال المروءة موافقة الأخوان فيما لم يحظره العلم عليك، وقال: من أراد الصفاء فليلزم الوفاء[1].

وقال أس هذا الشأن على الزهد والاجتهاد وقال: التدارك بالبلاء تحقيق بالرضى وقال:الفقر أمارة على التوحيد ودلالة على التفريد (وحقيقة الفقر أن تشاهد سواه)، وقال: الزهد فريضة وضيلة وقربة، فالفرض في الحرام، والضفل في التشابه، والقربة في الحلال وقال: علمة الاخلاص ان يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق...

هذه كلمات وطيبات ونبذ متخيرات من كلامه رضي الله عنه، وكل قضية منها لو اتقتصر عليها لقتصر وتمسك بمجردها الفطن اللبيب المختصر، فإنها تضمنت من جوامع المعاني ما يطول فيه التفصيل.

2- ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن حسين بن سعيد ابراهيم، الأزدري الإسبيلي رحمه الله (510- 571ه)، (1116- 1185م).

ومنهم الإمام الشيخ الفقيه الجليل، المحدث الحافظ المتقن المجيد، العابد الزاهد، القاضي الخطيب أبو محمد عبد الحق عبد الرحمان بن عبد الله بن حسين بن سعي بن ابراهيم الأزدري الأشبيلي (ت 581ه) رحل إلى بجاية وتخيرها وطنا وكمل بها خبرة، فألف التآليف وصنف الدواووين وولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قلية وكان ذلك في مدة ابن غانيه المعروف بالميورقي للمتوني، أنه رحمه الله كان يقسم لية أو ثلاثا ثلثا للقراءة، وثلثا للعبادة، وثلثا لقيام للنوم، كان مصاحبا ومواليا للفقيه أبي علي لمسيلي رحمه الله.

ومنه نقل من أثق بنقله، ما نقله من كلام محي الدين أبي بكر محمد بن علي ابن العربي الحاتمي الطائي، وقد ذكر الشيخ أبا مدني رضي الله عنه فقال: كان الشيخ جمال الحفاظ، زين العلماء، عماد الرواة راس المحدثين أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي الخطيب المحدق فد وأخاه في بجاية وأقر له بالسبق في طريق الحق، وكان إذا دخل سيدنا أبي مدين ويرى ما أيده الله تعالى به

[1] - المصدر نفسه، ص31.

ظاهرا وباطنا، يجد في نفسه حالة سيئة لم يكن يجدها قبل حضوره مجلسه، فيقول عنه ذلك هذا وارث على الحقيقة انتهى.

قلت: كا حصل في الجانبين وجمال التقى من الطرفين.

وله رضي الله عنه تآليف جليلة نبل قدرها، اشتهر أمرها، وتداولها الناس رواية وقراءة وشرحا وبينا، له الأحكام الكبرى لفي الحديث والأحكام الصغرى فيه، وله كتاب العاقبة في علم التذكير وله كتاب التجهد[1].

وله اختصار الرشاطي وهو أحسن من الأصل، وسمعت أنه شيخنا الفقيه أبي محمد ابن عبادة رحمه الله أنه ألف كتابا كبيرا في الأحكام في الحديث وهو أضعاف الأحكام الكبرى، وسمعت أنه ألف كتاب عن اللغة وسماه بالحاوى وهو في ثمانية عشر مجلدا، ورأيت كتابا مجموعا من شعره كله في الزهد وفي أمور الآخرة رضي الله عنه، والذي كثر تداوله بين الناس هو الأحكمان الكبرى والصغرى والعاقبة.

وبقد اشتهرت كتبه بالمشرق ووقع النقل منها، ونقل عنه صاحب الجواهر الثمينة[2].

في آخر كتاب الزكاة من كتابه فضلا نقله أبومحمد عبد الحق في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام ونصه: قال المؤلف، وقال عبد الحق البجائي، وفي بعض نسخ ابن شاش(هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن نجم بن شاش بنترار المصري، شيخ المالكية في عضره بالديار المصرية مات مجاهدا سنة 616ه)

وكانت له أخلاق حسنة فاضلة، سمعت شيخنا الفقيه أبا محمد عبد الحق يقول: كان الفقيه أبو محمد عبد الحق الإشبيلي متخليا عن الدنيا وكان كثيرا ما يجلس مع الفقيه أبي علي المسيلي رحمهما

[1] – أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص32- 41-42.

[2] – هو أبي محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن القطان، من حفاظ الحديث، ولد بنفاس وأقام بمراكش.

الله، ولد في ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة، وارتحل إلى بجاية بعد الخمسين وخمسمائة، وتوفي بها في آواخر ربيع الثني من عام اثنين وثمانين وخمسمائة وكان تاريخ وفاته مكتوبا في رخامة عند قبره. وحكي أن بعض النصارى أخذ هذه الرخامة وسافر بها إلى بلاده ثم أعادها إلى مكانها لأنه تشاءم بها ثم سرقت بعد و لم تعد.

وقبره خارج باب المرس وهو من القبور المزورة المتبرك بها، وكثيرا ما رأيت الطلبة يقرؤون تآليفه فند قبره رضي الله عنه، وأما الشيخ المبارك أبو علي المراكشي فإني ختمت قراءة العقبة بين يديه على قبره حمهما الله، ويتصل سندنا بالفقيه أبي محمد عبد الحق المذكور، ومن طريق الفقيه المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن لصدفي، عن الفقيه أبي زكرياء بن عصفور (هو يحي بن عصفور أبو زكريا السبدري)، وعن أبي الحسن علي عن صاحب الصلاة عنه[1].

3- أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي رحمه الله: (....- 669ه/ ....- 1071م)

ومنهم شيخنا الشيخ الفقيه المحصل، العدل الرضى التاريخي المحدث، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي (ت 669ه) من قلعة بني حماد حاضرة الدولة الحمادية في المغبر الأوسط أسماها دين بلكين سنة 1008م) أدركته يدرس بالجامع الأعظم بالغداة بمجلس القضاة منه، وكان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي، حسن النظر والتوجيه وحافظا للتأريخ وذاكرا لجسد صالح من الحديث، وكان مشاورا شاهدا بالديوان، سمعته رحمه الله يقول في مجلس التدريس: ان لي منذ انتزعت من الديوان ستة أعوام، وأن من هو هناك في خطته بقدراته اكتسب في هذه المدة ستة آلاف دينار، وأني اكتسبت فيها ستة آلاف حديث وحديث بدينار أشرف من دينار.

وكانت قراءته رحمه الله ببجاية، لقي بها مشايخ كالشيخ أبي زكريا اللفتني، وأبي زيد الزناسي، وأبي العباسي المليانى، وغيرهم.

---

[1] – أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص43- 44.

وكان من أسباب التوفيه له أنه أخذ أسيرا فوافق في السر بعض الفقهاء، فنتزع في القراءة عليه ثم خلص الله كليهما، فجد بعد خروجه واجتهد إلى أن حصل ما حصل، وقاده زمام التوفيق إلى ما اليه وصل.

قرأت عليه رحمة الله وسمعت منه وأخذت عنه، وهو أول من بدأت قراءة الفقه عليه، وكان يبدأ في مجلسه بالرقائق وبعد ذلك بقراءة الفقه والحديث ولرواية، وكان محبا في العلم وأهله، ومات على انقطاع الدنيا وتخل عنها واشتغل بنفسه، وكانت وفاته عام تسعة وستين وستمائة، وكانت له ببجاية وجاهة ونباهة، وكانت جموع الأمراء في الأمور المجتمع لها لا تنعقد إلا بوجوده هو، وكان لسان الناس فيها[1].

5-جاء في كتاب التذكار لابن غليون عدة شخصيات نجد منها:

الشيخ عبد الله الشعاب:

وممن كان على سنة الجنيد رضي الله عنه وهو بطرابلس[2] الغرب العارف بالله تعالى عبد لله الشعاب، كان تاجرا بالمدينة المذكورة وكان بعض الناس ابتدأ المسجد الذي هو به الآن الذي نسب غليه، عجز عن اتمامه فحركته همته لإئمامه، فأتى القاضي وطلب منه إحضاره بالمسجد، فلما حضر أمره القاضي بالإتمام فأقر بالعجز فأذن للشعاب في اتمامه فأتمه ولزم السكنى به، ودعا إلى الله على نهج الكتاب والسنة وكان يجتمع بالخضر عليه السلام في مسجده، وكان مجاب الدعوة لوقته، سمع يوما بكاء امرأة باب المسجد فخرج سألها عن الحال، فأخبرته بأن لها ابنا أسره العدو وسألته الدعاء بخلاصه، فدعا وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت إلى بيتها، فإذا ولدها أصبح في السكة يسأل عن دارها فعرف بها، فخرجت فسألته عن الحال، فأخبرها عن ضرره في البحر

[1] – أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، المصدر السابق، ص65- 66.

[2] – انظر: معجم البلدان، مج 4، طرابلس: يفتح أوله، وبعد ألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضا مضمومة، وسين مهملة ويقال أطرابلس وأول من بناها أشباروس قيصر وتسمى أيضا مدينة إياس، وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان.

وسلامته ووصوله عن قرب العهد، فتوجهت المرأة إلى الشيخ يشكره[1]، تعرفه بوصوله، وأن ذلك ببركة دعائه، فهنأها بسلامته قبل خبرها، وقال: إنما أنجاه الله ببركة دعائك لما علم من اضطرارك، وتوفي رضي الله عنه وتفعنا به سنة 243ه.

الأستاذ العلامة الشيخ أحمد زروق:

وهو فقيه العلامة العارف بالله تعالى الإمام الأوحد، الحبر الفهامة الجامع بين الشريعة والحقيقة، صاحب التصانيف المفيدة، أبو لعباس أحمد ابن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوس الفاسي، عرف بزروق، لقب معناه غير قائم به وغنما هو لقب لجده، فاستمر الوصف لعقبة كما هو شأن انتقال الألقاب من الأصول إلى الفروع.

كان زاهدا فاضلا منقطعا إلى الله سبحانه وتعالى عارفا به دالا عليه، له همة عالية تخرج عليه جماعة وانتفع به الناس شرقا وغربا، وله بركات ظاهرة، وكرامات باهرة في الحياة وبعد الممات.

حدثني العارف بالله تعالى المحقق العلامة شيخنا سيدي محمد العياشي، قال: حدثنا العارف بالله سيدي محمد[2] اليمني، قال: لما توجهنا من أرض المشرق إلى أرض المغرب ونزلنا برقة سألنا الله تعالى ببركته أن يجعلنا في جواره لما تقرر عندنا أن زروقا له العيافي في أرض المغرب بعد موته قال: فلم نزل في أمن وسعة إلى أن حللنا مدينة فاس وتوجهنا إلى أرض السودان فلما توغلنا فيها أصابنا حر شديد و لم يكن معنا من الماء شيء، فسألنا الله تعالى ببركته فبينما نحن في كرب وإذا بدابة عليه قرب ماء ومعها سائق من دنا منا، وقال: خذوا لستم بجواري من برقة وكان محل الشيخ معلوما لقراءة القرآن العظيم يأوي إليه المتعلمون فلما غلب أولئك الخلق على الأوقاف والفتوحات، وتجاذبوها بينهم،انقطع منه الطالب والمطلوب إلى أن وفق الله سبحانه وتعالى إلى أمير المؤمنين أحمد بن يوسف لرد النظر إليه، فرفع أيدي مقتسمي الوقف عنه، وولاه الفقيه الخير الصالح سيدي أحمد

[1] – أبي عبد الله محمد بن الخليل ابن غليون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، ص249- 156.

[2] – أبي عبد الله محمد بن الخليل ابن غليون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، المصدر السابق، ص255- 256.

بن عمر وأخاه سيدي دخيلا سنة 1144ه، فعاد المحل لشبه حالته الأولى، ورد المحصول الوقف لبيته وتتابع الطلاب والوارد دون وفق الله الأمير لهذا.

الأستاذ الشيخ عبد اله بن أحمد بن غليون:

وممن ولد بها في عملها وهو من أهلها، الفقيه الصالح الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمان بن غليون، نشأ بمصراته، وأخذ عن سيدي الشيخ أحمد المكنى وسيدي محمد بن مساهل وارتحل لجربه، وأخذ عن الفقيه الفاضل الشيخ سيدي ابراهيم الجمني رحمه الله، وارتحل عنها إلى مصر، وأخذ عن العارف بالله تعالى أبي عبد الله الشيخ سيدي محمد الخرشي[1]، وعن الشيخ العالم الشيخ عبد الباقي الزرقاني رحمهما الله تعالى و الجماعة كان رحمه الله تعالى كريما حليما، يتقي ما يشين عرضه حكى أنه كان رحمه الله تعالى بدرنة، ووجد عليه فقهاؤها من إقبال الأمير محمد بن محمود باي عليه، فأجمع أمرهم عن أن يغضبوه بلإغرامه شيئا من الدنيا، قد برزوا لذلك حيلة بأن بعثوا لإمرأة من بنات الخطأ بالبلد وآمروها أن تأتيه وهو بالديوان وتناديه وتدعي عليه بخمسين أصلانيا أمانة وضعتها عنده ووصفوه لها، ففعلت قلما أتته علم من ذكائه رحمه الله تعالى أنها خديعة قصدوه بها، فبادر بالإقرار لها بذلك واستلف ذلك ودفعه لها و لم يغضبه ذلك، وعفا رحمه الله تعالى عن فاعل ذلك، عند ارادة الأمير محمد باي الانتقام منه، توفي في صفر سنة 1115ه[2].

6-جاء في كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الشريف المليني المديوني التلمساني

سيدي عبد السلام التونسي:

[1] - المصدر نفسه، ص257- 268.

[2] - أبي عبد الله محمد بن الخليل ابن غليون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، المصدر السابق، ص269.

الذي دفن الشيخ سيدي أبو مدين بجواره في روفسة قرأ على عمه عبد العزيزونزل تلمسان الوهبان كان عالما زاهدا من أكابر أولياء الله تعالى لا تأخذه في الله لوعة يلبس الصوف ويأكل الشعير من حرث يده والسلاحف البرية إلى أن مات رحمه الله عليه وقبره بالعباد[1].

الإمام سيدي محمد بن يوسف السنوسي:

قال تلميذه الملالي الشيخ الفقيه الحافظ المتقن العلم المثقف الصالح أبو حسن كان محققا متقنما حافظا يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضره بين عينيه قل ان ترى مثناه حافظا حدثني أنه قرأ عليه أخوه محمد السنوسي في صغره الرسالة انتهى وكان من أكابر تلاميذ الحسن قال شيخنا الحسن أبركان فيه قولان للمتأخرين البجائيين والتونسيين جوازا ومنعا رسالته عن مستند الناس فيما جرت عادتهم به أن الرجل لا يأخذ المقص من صاحبه بل يضعه على الأرض فحينئذ بأخذه قال سألت شيخنا الحسن أبركان عنه فقال هكذا رأينا شيوخنا يفعلون فاقتدينا بهم وأيضا بعض لصالحين أن من نزل مترلا وجمع أثقاله في حوز الله وهو محبوب انتهى وكان كثيرا المطالعة لكتاب السهو والفقيه لسيدي محمد هواري يقرأ سهوه واعتنى به أن لا يجوع ولا يعطش ولا يعرى وأنه ضمنه في الدنيا والآخرة كذا نص عليه في التفسير الذي جعله في فصل السهو ومعناه من سيدي ابراهيم التازي نفعنا الله به ورأيته يختم السهو بالنظر كل يوم للتبرك غير مامرة انتهى وذكر أيضا أن هذا السهو وجعله المؤلف للأولاد و لم يتعرض لوزن شعرة ولا عربية واياك والاعتراض تأمل ولا تنتفع وكذا سمعناه من سيدي ابراهيم التازي انتهى وتوفي صاحب الترجمة في صفر الخير عام خمسة وتسعين وثمانمائة وقد كان أخوه الشيخ السنوسي رأى في منامه قبل موته دارا عظيمة ملئت بالفرش المرتفعة فقيل له انها لأخيك على يدخل فيها عروسا انتهى من كلام الملالي[2].

لسيدي محمد بن أبي مدين تلمساني:

---

[1] – محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط ، الثعالبية، الجزائر، 1908، ص126- 143.

[2] – محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص144- 145.

تلميذا لشيخ السنوسي قال أبوعبد الله ابن العباس هو شيخنا الفقيه الإمام محي ما درس من علوم الشريعة علم الاعلام الحائز قضب السبق في المنقول والمعقول خصوصا علم الكلام اذ لولا هو لتلاشى علم الكلام بل علم المعقول بأسره يمعزب ان السيد الفاضل العلامة أبو عبد الله ابن أبي مدين تفقهت عليه بالدارية في مقدمة الشيخ السنوسي وفي عقيدته الكبرى والصغرى ومختصره المنطقي وسمعت عليه دولا من البخاري رواية انتهى توفى في جمادى الآخرة عام خمسة وعشر وتسعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه.

سيدي يحي بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز:

الفقير الولي الصالح الأستاذ الأعربي كان من قضاة العدل والدين والفضل والصلاح لا تأخذه في الله لومة لا إثم و لم بركة عظيمة ومن كرامات ما حدثني به خديمة قال لي عندنا هوي في دار شيخ الإسلام من الزرع ابدا والشيخ رضي الله عنه صاحب زرع في زمان الغلاء لم يبقى الزرع إلا عنده وذكر المتقدمون أنه وقع غلاء كبير في تلمسان حتى تعطلت من المساجد ولنغلقت وبعث السلطان لأهل البلد وطلبهم في الزرع للشراء فلم يجده عند أحد فقال له سيدي يحي أنا أعطك جميع ما يخصك من الزرع وهذا كله من بركته رضي الله عنه ونفعنا به وحشرنا في زمرة هؤلاء السادات الأخيار أهل تلمسان وفقهائها لا يقدر أحد على احصاء عددهم كثرهم ففضنا بهم الله[1].

7-جاء في كتاب السفينة القادرية لشيخ عبد القادر الجيلاني فيما نقله أهل عصره م الكرامات والخوارق

قالك كتب إلى أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي الجبائي قال دكان شيخ يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب وأنا حاضر فحضر في نفسي كيف الخلاص من العجب، فالتفت إلى شيخ وقال: إذا رأيت الأشياء من الله وإن وفقك لفعل الخير وأخرجت نفسك من البيت سلمت من العجب، وقال كتب إلى وقالم إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه في مجالس الشيوخ وتتأدب بهم

[1] – محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص371.

فحينئذ يحصل لك الإنقطاع وإلا فتمضي فتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت فإذا أشكل عليك شيء من أمر دينك خرجت من زاويتك تسأل عن أمر دينك وإنما يصح لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره وقال ابن النجار: بلغني عن أبي نصر الزيتي القاضي قال: عزمت على أن أقصد الشيخ عبد القادر وأسأله أن يدعو لي ن يكفيني الله شر جماعة يؤذونني فاتفق أني لقيته في باب جامع القصر فأردت أن أقول له ذلك، فنظر إلي وتبسم وقال: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فأغناني عن السؤال[1].

وقال كذلك في تصديق بعذاب القبر ثلاث مقامات.

قال ابن جمرة رحمه الله: الخوف ينقسم إلى قسمين: خوف عوام المؤمنين وله حدود وكذا رجاؤهم ونهاية خوفهم من دخول النار، ثم هم يرجون ما وعدهم ربهم من جزيل عطاء والثواب، وخوف خواص المؤمنين لا حد له لأنهم يخافون عدله وعظمته ولذلك إذا طرق أحدهم طارق الخوف مات إذا لم يداركه الله برحمته هذا وإن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخفاء ما يطرق الأعمال من الآفات والعبد إذا تفكر في ذنبه وشدة عقاب ربه رهب وخشي أن لا تقبل توبته، وفي بعض النسخ بعد قوله وأنا الخائف زيادة وأنا ضعيف، وعليها فهو تكرار أتى به للتأكيد، ثم قال "الهي أسألك الأمان الأمان في القبور وظلمتها وضيقتها"، أي الهي أطلب منك السلامة من هول القبور والأصل في الأمان أن يستعمل في سكون القلب، يقال: أمن زيد من كذا إذا سلم منه، لفظ الأمان الثاني تأكيد وفيه اشارة إلى شدة خوفه وكثرة التجائه إلى الله والقبور جمع قبر وهو محل دفن الميت وضيق القبر ى يخفى بحسب الظاهر وكذا ظلمته بعد وضع ... وأعظم أحواله الشدة التي تقع للإنسان من قنطته[2].

[1] – عبد القادر الجيلاني الحسني، السفينة القادرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1423ه- 2002م، ص39- 40.

[2] – عبد القادر الجيلاني الحسني، السفينة القادرية، المصدر السابق، ص228- 229.

المبحث الثاني: مراجع مغربية:

1- **أعلام التصوف في الجزائر:** منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى إعداد الأستاذ عبد المنعم القاسمي الحسيني:

قال صاحب المرجع يمثل موضوع التصوف أهمية كبيرة في حياتنا الفكرية المعاصرة، وهو من القضايا الشائكة والمعقدة في تاريخنا الثقافي والديني، فالكثير من الباحثين مازال يتردد بين الإعلاء في قيمة هذه الظاهرة الدينية وبين الحط منها فمتتبعها يحتاج إلى كثير من الصبر والتؤدة وطول النفس والإطلاع والرجوع إلى المصادر والمراجع العديدة.

والجزائر بدورها كبقية دول العالم الإسلامي عرفت انتشار ظاهرة التصوف، كان لها دور هام في إثراء التجربة الصوفية في العالم الإسلامي، وضمن هذا الإطار وفي هذا السياق يأتي هذا العمل الذي بين أيدينا، يتناول أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى تعرف فيه برحلات التصوف وأعلامه[1].

أولهم: ابراهيم بن أبي بكر الأنصاري (609ه- 697ه/ 1212م- 1298م):

ابراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني الوشقي نزيل سبتة يكنى أبا اسحاق، ويعرف بالتلمساني

ولد آخر ليلة من جمادى الآخرة سنة 609ه- 12112م بتلمسان ونشأ بها وانتقل به ابوه إلى الأندلس وهو ابن تسعة أعوام فاستوطن بغرناطة ثلاثة أعوام ثم انتقل إلى مالقة وسكنها مدة، وبها قرأ معظم قراءته ثم انتقل إلى سبتة.

كان فقيها مبرزا في الفرائض عارفا بعقد الشروط، أديبا شاعرا محسنا، نظم في الفرائض وهو ابن عشرين سنة أرجوزة محكمة وهي الأرجوزة التي عرفت شهرة واسعة في بلدان المغرب العربي وله أيضا منظومات كثيرة في السير وأمداح نبي الله صلى الله عليه وسلم، من ذلك المحضرات على

[1] - عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام الجزائر في التصوف منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، 1425ه- 2005م، ص7.

أوزان المغرب، ومنها في المولد النبوي الكريم، وله مقامات في العروض، كما نظم سيرة ابن هشام على قافية اللام[1].

قال ابن عبد الملك: "كان التلمساني صاحب تيقظ وحضور ذكر وتواضع إقبال وجميل لقاء ومعاشرة واشتغال بما يعنيه من أمر معاشه وتخامل في هيئته ولباسه، قرأ خالد البلوي صاحب الرحلة قصيدته اللامية الشهرية، توفي بسبتة عام 697ه- 1298م[2].

الحسن بن أبي القاسم بن باديس : (701ه- 787ه/ 1301م- 1385م):

الشيخ الفقيه الصوفي القاضي الشهير المحدث: الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني، أبو علي، ينتمي إلى أسرة ملك وإمارة.

ولد سنة 701ه- 1301م درس بقسنطينة وببجاية حيث آخذ عن ناصر الدين المشدالي وابن غربون البجائي، ابن عبد الرفيع القاضي وغيرهم، وأخذ بالمشرق عن صلاح الدين العلائي المقدسي وخليل الملكي وابن هشام النحوي صاحب المغنى، وذلك في رحلته إلى الحج سنة 756ه- 1355م[3].

كان من مشايخ الطريقة القادرية التي أخذها عن شيخه العلائي بالقدس.

قال عنه تلميذه ابن قنفذ في الوفيات ما يلي: "شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث أبو علي حسن با أبي القاسم بن باديس"، أدرك في حداثة سنة من المعارف العلمية ما لم يدركه غيره في كبر سنه، ولغلبة الإنقباض عليه قل النفع به في التدريس.

عارض حملة السلطان المريني أبي عنان سنة 758ه، على مدينة قسنطينة، ورغم محاولة السلطان أبي عنان التقرب منه وكسب رضاه، إلا أنه عارض الوجود لمريني وهذا ما دفع أبا عنان إلى سجنه ثم تغريبه عن بلده، وكذلك سجن أخاه أبا القاسم بن باديس أسند غليه منصب قضاء الجامعة بتونس

---

[1] – عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام الجزائر في التصوف منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص40.

[2] – عبد المنعم القاسمي الحسيني، المصدر نفسه، ص41.

[3] –نفسه، ص42.

آخر ربيع الأول من سنة 778ه- 1376م، وفي أواخر صفر 781ه- 1379م، استعفى من قضاء الجماعة تونس، فقدمه السلطان إلى قضاء بلده بقسنطينة كانت له علاقات وثيقة بعلماء تلمسان في عصره.

له عدة تقاييد منها: فوائد الدور فرائد الفكر في شرح مختصر السير، وهو شرح لكتاب ابن فارس اللغوي في السيرة، توجد منه نسخة خطية بمكتبة عبد الحي الكتامي، ونقل منها كثيرا في كتابه "التراتيب الإدارية" ونوه به كثيرا في عدة مواضع من الكتاب وقال عنه: "هو سفر ضخم واسع البحث غزير المادة"، النفحات القدسية: قصيدة سينية مشهورة، نظمها أواخر ذي الحجة عام 756ه أثناء رحلته إلى الحج "فأسى بها دعائم المدرسة القسنطينية في التصوف"، على حد تعبير أستاذنا الدكتور أبو القاسم سعد الله، وقد تبارى العلماء في شرحها وتقليدها بل والتبرك بها لأنها في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني، اللمحات الأنسية على النفحات القدسية...

توفي عام 787ه- 1385 بقسنطينة ودفن بزوالية[1].

محمد بن علي البحيري : (ق14ه- 19م)

حاج الحرمين الشريفين وزائر المقامين المنيفين: أبو عبد الله السيد محمد بن أبي الحسن علي بن أبي سيف البحيري أصلا العبادي دارا، في مجاورة الغوث أبي مدين الإشبيلي الحائز لمنقبة الفتوى بتلمسان، وكان قبل مدرسا بمدرستها النظامية.

قرأ على أشياخ عديدة من جملتهم والده، قرأ عليه القرآن وشيئا من العربية بالثغر الوهراني ثم انتقل بعد وفاة والده إلى زاوية عمه القطب الأشهر أحمد بن أبي سيف بالعين الكبيرة من جبل أترار، ثم سافر إلى مازونة وقرأ بها مختصر خليل على شيخ الشيوخ الراسخ القدم في علم الفروع غاية الرسوخ السيد أحمد بن هني وهو شيخ الجماعة بها، وأجازه اجازه عامة.

[1] – عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام الجزائر في التصوف منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، المرجع سابق، ص136.

وقرأ بعد انتقاله من مازونة إلى مدينة المعسكر على بعض المحققين من شرفاء المشارف العلماء الغطارف، ثم رجع إلى زاوية عمه المذكور فدرس فيها ثم ارتحل إلى المشرق وحج أربعا واعتمر وجاور بالمدينة المنورة عي ... ألف صلاة وألف سلام مدة من أربع سنين، وقرأ بها على أشياخ عديدة منهم سراج الدين المديني الدار قرأ عليه التفسير في مدة إقامته[1].

ولازم مجلس الآداب والتربية للعلامة شيخ الإسلام والصوفية أبي عبد الله سيدي محمد بن السنوسي المجاهري وأخذ عنه ورد الأذكار، وكان من أهل صفة داره آناء الليل وأطراف النهار، وشافهه بما أجازه، ودعا له بالخير والصلاح وفاز منه بما حازه، ومن أشياخه بمصر أبن لقمان، الشيخ عليش وغيره من سقاة الظمآن كالشيخ الباجوري الشافعي خليفة شمس الدين اليافعي، وأجازه صنوة الأرضي المحقق الأحظى ابن عبد الله المدعو ب:"الزجاي" بما كتبوا له على الثبت للأمير المصري وكذا السقا وغيرهم مما يطول بنا ذكرهم ويشق بنا تتبعهم.

وممن آخذ عن هذا الإجازة لعلامة المحقق السيد محمد بن دحمان العبادي المدرس في دار العلوم بتلمسان، والشيخ المحقق محمد بن عبد الله العجلي، والفقيه السيد محمد من حفدة ولي الله سيدي "الخوان الحلمي"، نفعنا الله ببركاته، مدرسا بمسجد القرويين بفاس لهجرته إليها.

جاء في وصفه في ذخيرة الأوائل ما يلي: ... "حاصله أمر هذا السيد صاحب الترجمة في مذاكرة الشرائع عجيب وفي المحاضرة ذكي الفريحة نجيب، مالكي المذهب، يذهب للبحث في عويصات الفقه كل مذهب، فلا تقوته في مجلس التعليم سائله ويأخذ التحقيق من سائله، حريص على أخذ العلم من أهله، وهذا دليل على أن الفرع طيب من أهله، ينفق من مختصر خليل لنفسه، ويدخر منه لدنياه ولآخرته[2].

---

[1] - عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام الجزائر في التصوف منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص137.

[2] – المرجع نفسه، ص334.

2- جاء في كتاب الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس لمحمد بركات البيلي في التصوف في الأندلس[1]

تصاعد الزهد في الأندلس مؤديا إلى التصوف على نحو ما حدث في بلاد المغرب الإسلامين وكما أنه كان من الصعوبة بمكان تحديد بداية قاطعة للتصوف في بلاد المغرب فقد كان الأمر كذلك بالنسبة للأندلس لكنه اذا صعب علينا تحديد بداية قاطعة للتصوف في لأندلس فليس من العسير أن تتعرف على أسباب ظهور نزعة التصوف في هذا العصر الإسلامي.

لقد ظهر التصوف في الأندلس نتيجة تصاعد الذي ألم بالعوامل المسببة للزهد على نحو ما أشرنا سابقا، فقد كثرت رحلات الأندلسيين من زهاد وغير متزهدين إلى المشرق والتقى بعضهم بمتصوفة المشرق فتأثروا بهم ونحو نحوهم في الإغراق والمغالاة ي الزهد وصولا به إلى نزع إلى التصوف بعد أن تأثر بمن لقيه من المتصوفة فعلى سبيل المثال التقصير في حداثته ثم أنعم الله عليه فأقلع عما كان فيه وتصدق بأكثر ماله وخرج حاجا ودخل العراق فسمع من بنداره محمد بن بشار وغيره وتعبد حتى صار منقطع القرين وتوفى في صدر أيام الأمير عبد الله الذي تولى سنة 275ه، وأبو محمد عبد الله بن مسرة بن نجيح، من أهل قرطبة رحل به أخوه ابراهيم بن مسرة وكان تاجرا إلى المشرق وهو صغير فسمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار وغيره وعاد إلى الأندلس فردد فيه ما سمعه بالمشرق حتى اتهم بالقدر مع أنه كان فاضلا دينا طويل الصلاة ورحل ثانية إلى المشرق في آخر عمره وتوفى بمكة سنة 286ه، وكان عبد الملك بن عبد السلام المعروف بابن قلمون من أهل قرطبة قد سمع من محمد بن وضاح بن يزيغ وغيره وزهد في الدنيا منقطعا إلى الله عز وجل ثم رحل إلى المشرق فالتقى بعباده وأخذ عنهم وجاور بمكة متصوفا فلم يزل على منهج الأبدال حتى توفى بمكة وورد نعيه إلى الأندلس سنة 302ه[2].

[1] - محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص173.

[2] – محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص174.

3- المطرب شاهير المغرب تأليف الشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي[1]:

التصوف والصوفي والولي:

كلمة صوفي فقد تضاربت في أصلها الأقوال قديما، وحديثا في التحقيق بما كانوا عليه من التجريد والإنقطاع إلى الله تعالى وقيل هو نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله عز وجل، لأن لك حالة الصوفي وقيل نسبة إلى الصفوة من خلق الله تعالى، لأن الصوفية هو القوم المختارون من سائر البشر، وقيل نسبة إلى الصفاء أي صفاء القلب من غير الله بالإخلاص العبودية، والتجريد مما سواه وقيل: نسبة إلى صفوة

ردها المحققون إلى أنه منسوب إلى الصوف لأن للباس الصون كان من شعار الأنبياء والنساك والمتعبدين هذا مرجع إليه لسراج في (اللمع)، ص40.

والقشيري في "الرسالة" ص3،4 بالشرح، والكلاباذي في التعرف (ص29_ 30)

و ذكر أبونصر السراج أن التسمية "صوفي" أنها كانت موجودة في زمن التابعين وفي آواخر أيام الصحابة وقال الإمام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى في رسالة "الصوفية والفقراء" قد نقل التكلم به يعني لفظ الصوفية.

أما الصوفي في العرف، فهو العارف بالله، المتحقق بمقامات اليقين، المتخلي عن الرذائل المتجلي بالفضائل.

أما التصوف فقد قال فيه الإمام جنيد: هو استعمال كل خلق سني وترك كل خلق ديني وقال ابو الحسن الشاذلي التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية.

أما قول بعض الأئمة مثل: أبو القاسم سيدي عبد الكريم القشيري في رسالته المشهورة التي كتبها إلى جماعة الصوفية: اعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقيل لهم: الصحابة ثم صحب الصحابة التابعين ثم قيل: أتباع التابعين ثم الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع فكل

[1] - عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان االرباط، ط04، 1423ه، 2003م، ص13.

فريق ادعى أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة المراعون الحافظون قلوبهم باسم التصوف اشتهر قبل المائتين ه.

وقال العلامة المؤرخ الإجتماعي عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته المشهورة (ص 467- 469) يتحدث عن أنواع العلوم وهذا العلم يعني التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة[1].

أن أصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والإنفراد عن الخلق والخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، فرجال كتبت أهل طريقتهم فمنهم: ما جمع الغزالي رحمه الله تعالى بين الأمرين في كتاب "الأحياء"، فدون فيه أحكام الورع والإقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف غفي الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط.

وقد بين القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة صافية الكفاية، فتكلم على المراقبة والمحاسبة والتوبة والإبانة والذكر والفكر والمحبة والتوكل والرضا والتسليم والزهد والصبر والإيثار والصدق والمجاهدة ومخالفة النفس، وتكلم عن النفس اللواة بالسوء والمكمئنة وعلى الأولياء والصالحين والصديقين والمؤيدين وغير هذا مما تكلم فيه أهل التصوف والطريقة —رضي الله عنهم- وأيضا أطلق عليهم الأولياء أهل الله والصالحين والسادات وهي اطلاقات صحيحة صادقة: هنالك مقربون سابقون وأبرار مقتصدون[2].

أما في الاخرة فإن كل مؤمن صالح له شفاعات في اقاربه ومعارفه وأصحابه، فقد نص الصوفية والعارفون إلى هذه الشفاعات منهم العارف الدباغ...الخ.

التصوف في مغربنا العربي:

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص14.

[2] – المرجع نفسه، ص16.

كان أول ظهور الصوفية في المائة الثانية من الهجرة النبوية بعدها انتشروا في المشرق الإسلامي ووجد فيهم أئمة كبار من أبرزهم: ذو النون المصري، أبو القاسم الجنيد، وأبو عبد الرحمان السلمي، والقشيري وغيرهم من شيوخهم وتلامذتهم على الرغم من ظهور التصوف والصوفية بقي غربنا ببمعزل عنه لم يعرفوه كما عرفه المشارقة.

لهذا لم يوجد في هذا العصر صراع بين المتفقهم والمتصوفة.

في وسط المائة الخامسة دخلت بعض كتب التصوف للمغرب، قد جاء بها من مكة المكرمة أبوعبد الله محمد ب سعدون القيرواني من بلاد مراكش (ت سنة 485ه) في أواخر هذا القرن فوجئ العلماء ب أحياء علوم الدين للإمام الغزالي فتصفحوها و رأو فيها مالم يألفوه فأفتوا بإحراقها وتحريم قراءتها بعدها تداركوا فرجعوا فيه.

في سنة 515ه، حصلت فتن ومعارك أهلية باضمحلال دولة المرابطين وسقوطها فهنا ظهر التصوف كان أيام المرابطين وانتشر في المغرب والأندلس لاسيما بعد دخول "الإحياء" لهذه الديار[1].

سيدي علي بن حزارم:

سيدي علي بن حرازم من علماء فاس الكبار وصوفيته المشاهير، أدرك آواخر دولة المرابطين وشارك في الموافقة على حادث احراق "إحياء علوم الدين"، للإمام الغزالي رضي الله عنه، وعاش مع الموحدين وفي دولتهم نحوا من اثنين وعشرين سنة.

اسمه الكامل: أبو الحسن علي بن اسماعيل بنمحمد بن عبد الله بن حزرهم بكسر الحاء وسكون الراء وكسر الزاي والهاء، وضبطه آخرون خرازم والأول أصح، والثاني: هو المشهور على اللسنة ترجمة التادلي، وابن الخطيب...

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المصدر السابق، ص17– 39.

اتفقوا على أنه ولد بفاس وبها نشأ، وتلقى العلوم، وأنه كان من كبار العلماء فقها وحديثا وحفظا، له مشاركة في شتى العلوم، وكان عابدا زاهدا ورعا متصوفا متحققا به، يعد من تلامذة القاضي أبي بكر بن العربي ومن معاصر به ما تقدم ويأتي.

وكان سيدي علي من ابتدء أمره قد قرأ "الأحياء" فور دخولها للمغرب وجرد ما فيها من المسائل المنتقدة على الغزالي ليردعليه فيها: ووافق على احراق الكتاب بعض، فرأى عقب ذلك رؤيا هائلة تأثر بها تأثرا عظيما وكانت السبب في تصوفه ورجوعه عن رأيه وفتواه الجائرة توفي سنة 559ه، ودقن خارج باب الفتوح في فاس والدعاء عند قبره مستجاب وعند ضريحه اجتمع القطب سيدي عبد العزيز الدباغ بالخضر ولقته الورد.

من مناقبه:

ذكر التادلي في "التشوف" قال: سمعت أبا عمران بنن يوسف يقول: أدركت ابن حزرهم وأنا صغير ودعا لي.

وقبل وفاته دخل الحمام وقال لخدمته لم يبقى لكم في خدمتي إل هذا اليوم فلماخرج منه أتى مترە فاستلقى على فراشه، فلما جاء وقت صلاة العصر أتاه بعض تلامذته ليوقظه للصلاة فوجده ميتا.

ملاحظة:

الضريح منسوب إليه بقبيلة أنجرة بضواحي طنجة ليس له وإنما هو كما يقال مترل كان قدنزل به فاتخذه الناس مزارة يتبركون به، ويفد إليه الكثيرون للإستشفاء فيعافون بإذن الله تعالى ثم ببركة هذا الولي[1].

مولاي أبو يعزى

وفي هذا العصر ظهر في المغرب مولاي أبو يعزى، ذلكم الإمام العارف الرباني الزاهد، ذو الأحوال العجيبة والآيات الغريبة صاحب الشهرة والصيت، أبو يعزي بلنور الهزرميري العسكوري بلغ المعالي في المعارف والمقامات مع أميت وعجمة لسانه، خدم نحوا من أربعين وليا لله تعالى.

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص48-50.

ومن أشهر شيوخه مولاي بوشعيب السابق قبله، كان عنده مقام الخادمة، فكان يطحن له ويعجن ويخبز ويسقي الماء بالليل، فإذا جاء النهار تفرغ للعبادة في المسجد، فكانت زوجة أبي شعيب تقول: ما رايت كهذه المملوكة تعمل بالليل ولا تظهر بالنهار، فلما أخبرها زوجها بأنه أبو يعزى حفت أن لا يخدمها أبدا.

وأخذ عنه كبار الفقهاء والعلماء منهم: الإمام عبد الجليلي القصري السبتي وكبير مشايخ وقته أبو الصبر، وأب مدين الغوث وغيرهم.

وتوفي ببلاده في أول شوال سنة 572ه، وقد أناف على المائة سنة بنحو الثلاثين، ودفن بجبل ابروحان، ويعرف الآن بتاغيا من قبيلة زايان قريبا من مدينة أخربيكة ن عمالة مكناس، والداء عند روضة مستجاب ترجم أبا يعزى الكثيرون من المشارقة والمغاربة واثنوا عليه ووصفوه بالقبطانية، وكان قد عاصر الشيخ مونا عبد القادر الجيلاني، فكان يقول لأصحابه: لا أعلم أحدا في عصري مثلي غير رجل أسود بالمغرب يكنى أبا يعزى ويسمى بلنور وذكره الشيخ أوب الصبر أيوب بن عبد الله الفهري:: فقال: لقيت الشيخ الزاهد الفاضل الرقيع آية وقته أبا يعزى بلنور، وككان أعجوبة في الزمان وعدة افيمان، بلغ من مقامات اليقين مبلغا لا يبلغه إلا الأفراد من العارفين، وقال العارف االشعراني في "الطبقات" انتهم إليه تربية المريدين بالمغرب وأخذ عنه أكابر شايخنا الأعلام.

من أخباره في الزهد والتقشف التنسك:

كان أبو يعزى رضي الله عنه عزف عن الحياة وأعرض عن الدنيا كلية، أقام بجبال الأطلس المتوسط يعبد الله تعالى سنين طوالا نحوا من عشرين سنة، لا يعرف عند الناس إلا باسم صاحب الحصير، ثم نزل السواحل فأقام بها ثمانية عشر عاما لا يدعى إلا باسم نبات أبو بلكة، وما كان يأكل إلا منن بات الأرض لا يشارك الناس في شيء من معايشهم[1].

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب .بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص 55– 56.

انه عرف قيمة هذه الدنيا فتزهد فيها وتركها لله عزو جل واكتفى منها بما يسد رمقه ويحفظ عليه حياته و لم يحتفل بمتاعها ولا بمشهياتها وزهد يعزى كان قديما فقد كان متصفا بالإيثار وهو لا يزال في مرحلته الأولى من حياته، كان في بداية أمره راعيا، ولقد صور لنا بعض أصحابه زهد بأحلى صورة يجاز كما ذكر التادلي "التشوف" يسنده إلابي عبد الله الباجي، قال: رأيت الشيخ أبا يعزى يجمع له الخبازي وهو اسم نبات من البقولات فيطبخ ويجفف ويرفع فإذا أراد أن يأكل منه جعله في القدر يأخذ منه لقمة أو لقمتين وهو يزأر كالقاهر لنفسه، ويقول لها: ليس لك عندي إلا هذا. بعض أخباره في الكرامات لإن لكرامة الحقيقية هي الإستقامة والتوفيق للقيام بالعبودبة الخالصة الصادقة ومعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة وبي يعزى من الخوارق والآيات الشيء الكثير المشهور: قال الشيخ الصالح الفقيه وقته أبو الصبر عن كبار تلامذة ابي يعزى ورفقاء أبي مدين سمعت الشيخ أبا يعزى يقول: ما لهؤلاء المتكبرين لكرمات الأولياء؟ والله لو كنت قريبا من البحر أريتهم المشي على الماء.

كان أبي يعزى يكاشف بذنوب العبد ثم يفضهم وحمة لهم ليتوبوا من ذلك كا متنازلا ومتواضعا مع زائرية واعدته مع عامة الناس، وأما مع العلماء والفقهاء فكان يلحس أقدامهم ويقول لهم مرحبا بموالينا مرحبا بمصابيح الدنيا (تعظيمه للعلم واحترام أهله)

إن أبا يعزى رضي الله عنه من الذين توجهوا الإصلاح بواطنهم وتهذيب نفوسهم مع تخريب الظاهر فحكمه الله عز وجل من الكائنات وسخر له خلقه.

وعلى كل حال فأخبار أبي يعزى كثيرة ونوادره في هذا الباب غريبة وعجيبة ترحب التادلي في "التشوف" وترجمة ابن الخطيب في "أنس الفقير وعز الحقير"، والشعراني في "الطبقات الكبرى" والفاسي في "مرآة المحاسن"، وغيرهم[1].

مولانا عبد السلام بن مشيش

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص60.

وههنا يجئ دور الشريف النسيب العارف الكبير والقطب الشهير الجبل الشامخ، شيخ المشايخ الصوفية وإمام أئمة الطريقة الشاذلية، أبي محمد سيدي عبد السلام بن مشيش ن أبي بكر بن علي بن جرمة ب عيسى بن سلام بن مزوارى بن علي بن محمد بن مولانا ادريس دفين زرهون وفاتح المغرب بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثني بن مولانا الحسن السبط بن سيدنا ومولانا علي ومولانا وسدتنا فاطمة الزهراء بنت سيد العالمين عليهم من ربهم جميعا الصلاة والسلام.

(مدفون بالقرب من قرية مجمولة بقر داره التي كان يسكنها خربها بعض الجهلة، وهذا الضريح موقعه اليوم على بعد مي من خمصين بني عروس إلى جهة القبلة وأنت صاعد في قرية مجمولة).

مولانا عبد السلام وقبيلة بني عروس:

بلدة مولانا عبد لسلام وقبيلة أجداده الكرام هي قبيلة بني عروس وهي من القبائل الجبلية القريبة من ساحل المحيط، وتحيط بها عدة قبائل بلية وهي بينها كالعروس.

وعمالتها مدينة تطون ودائرتها الخميس وأربعاء عياشة والجبل الذي يقع فيه الضريح مرتفع شاهق ناطح السحاب شدد البرودة في فصل الشتاء وهواؤه بارد طيب ممتاز في فصل اللصيف، وموقعه شرق جنوبطنجة وغرب جنوب تطوان، أما طنجة فبينه وبينها نحو من مائة وبضعة كيلومتر وتمتاز هذ القبيلة المباركة عن غيرها من القبائل المجاورة لها بكثرة الشرفاء وآلي البيت النبوي الأطهار العلميين من أولاد مولانا عبد السلام وأهل بيته، (سيدي مشيش ويقال بشيش بالباء فضريحه في وسط جبل العلم لجهة الغروب بموقع يقال له أغيل).

ولا تخلو هذه القبيلة من مجاذيب وبهاليل ومباركين وأرباب الأحوال، فطيب الله تراك با ابن مشيش وقدس سك فما أبرككم على هذه البلاد لا أعدمنا الله بركاتكم أجدادكم.

ولادة مولانا عبد السلام وتاريخ ذلك ومسقط راسه... وما يتبع ذلك:

ففي هذه القبيلة الشريفة ولد هذا الإمام العظيم في القرية التي كان يسكنها والده سيدي مشيش وهي الحصين أسفل جبل العلم لجهة القبلة، حيث يوجد لحد الآن الدار المولود فيها، وقد جعلت كتابا يتعلم فيها القرآن ونعما ذلك[1].

و لا يعرف على التحقيق تاريخ ولادته، ويرى بعض المؤرخين من الشرفاء العلميين وغيرهم أنه ولد سنة 559هأو 563ه، وبقرية الحصين نشأ وتعلم الكتابة ولا قراءة، ويقال: إنه لم تمر عليه اثنتا عشرة سنة حتى حفظ القرآن الكريم بالروايات السبع، ويقال: إن شيخه في القرآن هو الولي الصالح سيدي سليم دفين قبيلة بني يوسف فقال: ومن مشايخه في العلم الأكبر سيدنا الحاج الضي...

آخذ الطريقة من العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن الحسن الشريف العطار المدني الشهير بالزيات شرفة الغمازية، على شاطئ المتوسط ويعرف عندهم بفيقه مولاي عبد السلام، وهناك ضريح الشريف الصالح الشهيد سيدي أحمد التزيي قتل من جراح شظية قنبلة طائرة وأصابته سنة 1346ه، ولا يعرف لمولانا عبد السلام أصحاب ولا تلاميذ غير القطب أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه.

بسط ترجمته وأخباره ومناقبه ومراحله:

إن ترجمته قد تناولها أقلام كثر من العلماء والمؤرخين، وقد أفرده جماعة بالتآليف، ويجد عدة منها في الخزانة العامة والخزانة الملكية بالرباط.

وقد ذكر العارف ابن عطاء الله "طائف المنى" كثيرا من أخباره نقلا عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه.

وقال ابن عطاء الله أيضا في "الطائفة" عن الشاذلي، قال: كنت يوما بين يدي الأستاذ يعني ابن مشيش فلق في نفسي: ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال: ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه: يا ابا الحسن ليس الشأن من يعلم الإسم الشأن من يكون هو عين الاسم

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص90-92.

فقال الشيخ من صدر المكان: أصاب وتتغرس فيك ولدي (كان أكبر أولاده وهو ولي الله سيدي محمد، المدفون مع والده في روضته) وتعرض له الإمام أحمد بن عياد في "المفاخر العلية" (ص14-15) عندما تعرض لرحلة أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، قال: لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله، وكان بالعراق شيوخ كثيرة، وكنت أطلب القطب، فقال لي الشيخ أبو الفتح: تطلب القطب بالعراق وهو في بلادك؟ ارجع إلى بلادك جده، فرجعت إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذي الشيخ الولي العارف الصديق القطب الغوث أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف الحسني.

قال أبو العباس: توفي رضي الله تعالى عنه شهيدا سنة اثنتين وعشرين وستمائة أو فيما بعد بقليل، ودفن في قنة (أو القمة بالميم)، ومقتله فوقها بقريب، يقال: إنه توضأ فيها عند الفجر وقصد الصعود لمحل عبادته وارتقابه للفجر فقتلوه هناك[1].

قال ابن عجيبة: كان له من الولاد أربعة محمد وأحمد وعبد الصمد وعلال.

وقال: المنقول عن سيدي عبد الله الغزواني رضي الله عنه أن روضة مولانا عبد السلام مشتملة على ثلاثة قبور الوسط منها: هو قبر الشيخ والذي خلف ظهره ولده سيدي محمد والذي بين يديه قبر خديمة بن خدامة رضي الله تعالى عنهم.

وقال ابن عجيبة: وأما علو قدره وجلالة منصبه فذلك أمر شهير، وقد تغلغل في علوم القوم التي مرادها على التخلف بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وقال ذلك الحظ الأوفر.

فالصورة حظ الأبدان والنفوس، والمعنوية حظ القلوب ولعقول والعلمية حظ الأرواح والسرار فباله من شراب ما أعد به، فطوبى لمن شرب منه ودام و لم ينقطع عنه نسأل الله تعالى عنه لتلميذه أبي الحسن فقال له: الله الله والناس نزه... الخ، ما ذكرناه سابقا قم قال: وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عن: أوصاني حبيبي، يعني أستاذه ابن مشيش فقال: بيأبا الحسن لا تنقل قدميك إلا

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص92- 97.

حيث ترجوا ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالب من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين له على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا".

قال ابن عجيبة: وإنما يلقى الله به سبحانه لا بشيء سواه.

وقال حصر ذلك كله أأربع: الورع وحسن النية، وإخلاص العمل ومحبة العلم[1].

ولا تتم له هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أوشيخ ناصح.

كما انه انقطع للعبادة في مغارة بجبل العلم بعد أن أدركه الجذب وهو ابن سبع سنين.

وترجمة العلامة الشريف اللهيوي العلمي في حصن الإسلام، وأطال في ذلك أيضا بذكر أولاده وأهل بيته رضي الله تعالى عنه.

أما وفاته فكانت على المشهور سنة 625ه.

ونستطيع القول أن نأخذ مما ذكرناه هذه النقول عن حياته ما يلي:

أولا: ما يحصل له من الجذب الإلاهي وهو لا يزال صغيرا.

ثانيا: امر مرحلته الأخيرة فهي مجرد تعبد وانقطاع وزهد وفناء.

ثالثا: صريح كلام سيدي العربي القاسي، يدل على أن مولانا عبد السلام كان يسكن القشور بينما اللهيوي يقول أنه يسكن بقربه أديار.

رابعا: أن ضريح الشيخ لم يكن معروفا حتى عرفه العارف بالله سيدي عبد الله الغزواني (درس العلم بفاس، ولحق بمراكش نبي عدة زوايا ، منها زاوية سيدي عبد الله المشهورة إلى الآن ببني يدير، أنجب شيوخا منهم سيدي يوسف التليدي، ويدي عبد الله الهبطي وغيرهما، كان يتردد لضريح مولانا عبد السلام وزيارته)[2]، تلميذ سيدي عبد العزيز التباع.

خامسا: مسجده الذي يتعبد به وهو المعروف اليوم بجامع لملائكة عند المنارة.

---

[1] - عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص97.

[2] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق،ص101.

سادسا" نأخذ من كلام مولانا عبد السلام ووصاياه بلوغه الكمالات في التوحيد والحقائق الإلاهية وتوغله في التصوف وصلاته المعروفة بالم...

سابعا: له بعض الخوارق من مكاشفا به بحال أبي الحسن الشاذلي.

ثامنا: ما ذكروه عن قتلة رضي الله تعالى عنه فقتله ابن أبي الطواجن بواسطة بعض أصحابه.

تاسعا: زحف الجيش من سبتة لقتال الساحر عند قتل مولانا عبد السلام.

وعلى كل فشهرة مولانا عبد السلام رضي الله تعالى عنه قد عمت المشارق والمغارب وضريحه من أعظم مزارات المغرب المشهور من أدناه إلى أقصاه، إلى عصرنا هذا من عارفين وصوفية وعلماء وفقهاء وأدباء ومؤرخين وأمراء عامة رجالا ونساء كبارا وصغارا والتبرك بزيارته والدعاء عند قبره.

ولا يخلو هذا الضريح من الزوار والوافدين عليه صيفا وشتاءا، والدعاء عند قبره مستجاب كالترياق المجرب، وقد زاره العلامة الكبير الصوفي الشهير سيدي الحسن اليوسي من رجال القرن الثاني عشر وتحدث عنه وذكره في "محاضرته" (ص85).

وكان شيخنا المرحوم الحافظ سيدي أحمد بن الصديق يزوره كل سنة.

وكنا نشاهد يخلع نعليه عند دخوله حرم الشيخ ويمشي حافيا حتى الضريح وكان يظهر عند زيارته من الأدب والإحترام مالا يتعاطاه إلا أمثال رضي الله تعالى عنه.

وقال الإمام العارف بالله سيدي محمد بن جعفر في السلوة نقال عن بعضهم: لأن ذلك كله من تعظيم الحرمات ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه، ثم قال في النهاية أنه لا شيء أنفع للقلوب من زيارة الصالحين، والعلماء العاملين.

ملاحظة اختتامية:

وقد تشغل بعض الباحثين وهي أن يقال: التادلي وهو ممن عاصره لم يشر إليه أصلا في كتابه "التشوف" و لم يذكر ابن العربي الخاتمي في كتبه وهو ممن عاصره.

والجواب أن مولانا عبد السلام رضي الله تعالى عنه كان يعيش في جبل العلم بعيدا عن العمران والقرى فضلا عن المدن والحواضر و لم تكن له زاوية رسمية ولا أباع خاصون حتى يشتهم ويقصده الناس للزيارة.

ومالنا نذهب بعيدا حتى في عصرنا هذا كثيرا من أكابر العارفين والصالحين مهملين مجهولين لا يعرفهم إلا آحاد الناس وهم المثقفين والأدباء والمؤرخين والباحثين[1].

مع آخر الموحدين وأوائل المريميين:

سيدي أبو الحسن الشاذلي (علم صوفي):

وممن كان يعيش ففي هذا العصر والمائة السابعة من الأكابر أبو الحسن الشاذلي، ذلك القطب الكبير والغوث الشهير شيخ الطريقة الشاذلية وإمامها أبو الحسن سيدي علي من عبد الله بن عبد الجبار، ينتمي نسبه إلى سيدي عمر بن مولاي إدريس المثنى بن مولاي إدريس الأكبر دفين زرهون وفاتح المغرب.

ولد أبو الحسن سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بقبيلته الأخماس (أنجبت عدة شخصيات كبيرة كالإمام علي بن عبد الحق أبي الحسن الصغير والعارف بالله سيدي محمد بن سعادة والعارف سيدي عبد الوارث لصلوتي، والعارف سيدي يوسف التليدي وغيرهم من الأكابر ومن الأخماس من عمالة شفشاون تكتفها عدة قبال)، الغمارية بفرقة بني زرويل بقرية اشتنواغل، ولا يزال البيت الذي ولد فيه محفوظا متبركا به إلا الآن، ببلدةهنشأ وحفظ القآن وطلب العلم، ورحل لفاس فقرأ على كبار العلماء وقته حتى أصبح من كبار علماء الظاهر بحيث كان يعد للمناضرة في العلوم الظاهرة.

قثم تاقت نفسه لعبادة الله عز وجل، فتزهد وتنسك وجاهد نفسه وراضها صياما وقياما، وتلاوة وذكرا وساح رجال ولزم الخلوة والإنطاع عن الناس أخذ أولا طريقة القوم على وه التبرك بفاس

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق،ص102- 106.

عن الشيخ ولي الله سيدي محمد بن حرازم بن الشيخ سيدي علي بن حرازهم، ثم اجتمع بالعارف أبي الفت الواسطي المطاف إلى العراق فقال له: تطلب القطب بالعراق وهو في بلادك؟ ارجع إلى بلادك تجده، فرجع إلى المغرب فاجتمع بمولانا عبد السلام كما قدمنا في ترجمته.

ثم انصرف متوجها للديار لشرقية فمر في طريقه على تونس وأقام بها مدة بشاذلة، ثم أوذي من طرف بعض أمرائها فرحل لمصر وسكن الإسكندية وحج مرارا، وأخذ عند أكابر ائمة الإسلام ومن أبرزهم وارث سره العارف الكبير سيدي أبو العباس المرسي والعارف مكين الدين الأسمر سلطان العلماء العز بن عبد السلام –رضي الله عنهم، وكان معاصرا لإبن العربي الحاتمي وأبي الحسن الششري المفسر وغيرهم من الأكابر ترجمة كثير من المؤرخين ومن أجمع ما وضع في حياته وأخباره كتاب "أبي الحسن الشاذلي"، لشيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وأثنى عليه جماعة من الأكابر وحلوه بأوسمة رائقة ووصفوه بالقطبانية الكبرى وذكر عنه أنه قال: والله لقد تسألوني عم المسألة لا يكون لها عندي جواب، فأرى الجواب مسطرا في الدواة والحصير والحائط[1].

وفيه: عن أبي العباس المرسي في واقعة جولانة في الملكوت وسؤاله أبي مدين

وقال فيه: عن أبي العباس المرسي في واقعة جولانة ففي الملكوت وسؤاله أبي مدين وقوله له: ما تقول في شيخي أبي الحسن الشاذلي؟ فقال: زاد علي بأربعين علما، هو البحر الذي لا يحاط به.

فأبوا ابحسن الشاذي رضي الله عن من أفراد هذه الأمة وأكابر أقطابها ويعتبر المحور الذي تدور عليه الطرق الشاذلية المنتشرة في العالم الإسلامي وغيره، ويعد المجدد لطريق التصف في القرن السابع الهجري والناشر لها والواعي إليها وقد ترك بعده وخلف وراءه أئمة كبارا للتصوف والصوفية لم يكن منهم إلا سيدي أبو العباس المرسي لكان كافيا يغيره من العباقرة والإعلام.

وكان له اعتناء بالكتابة في بعض الجوانب، وقد ترك لنا بعض آثاره في التأليف ك "حزب البر" الذي يقول في أوله: يا الله يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم و"حزب النصر" الذي جاء في افتتاحه اللهم بسطوة جبروت قهرك... الخ.

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص122-123- 124.

ولهذه الآحزاب آثار وخواص روحية ومادية، وقد اعتاد قرائتها الصوفية وخاصة الشاذلية.

وتوفي سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه بصحراء عيذاب بمصر في طريقه للحج سنتة وخمسين وستمائة، ولا زال ضريحه موجودا إلى الآن، وقد جدد بناؤه مع غرق للزوار في هذا العصر على يد بعض المصريين، فعليك من ربك السلام يا سيدنا أبا الحسن الشاذلي جزاك الله عنا وعن الإسلام خيرا يا ابن الزهراء[1].

سيدي أبو مدين الغوث:

وفي نفس هذا العصر وفي المائة السادسة أمام دولة الموحدي تي على آخر من أعلام الصوفية وقطب من كبار أقطابهم ذلكم هو شيخ المشايخ وسيد العارفين وقدوتهم الإمام المشهور سيدي أبو مدين الغث شعيب بن الحسن الأندلسي الفاسي اليحائي، من كبار تلامذة أبي يعزى وعلي بن حرازم وعلي بوغال ومن شيوخ أبي محمد عبد الرزاق الجزولي وأبي محمد صالح دفين آسفي ولالة فاطة الأندلسية القصرية وآخرين ومن معاصري القطب ابن مشيش والشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي وأبي العباس السبتي دفين مراكش وغيهم.

ولد بقطنيانة من عمالة اشبيلية ثم خرج من بلاده صغيرا فدخل طنجة وسبة رجال في المغرب فدخل مراكش ثم رحل لفاس فأقام بها مدة طويلة يدرس العلم ثم يسكن بجاية وتوفي بتلمسان وبها دفن سنة أربع وتسعين وخمسمائة في عهد الأمير يعقوب المنصور الموحدي.

بسط حياته:

نشأ سيدي أبو مدين بالأندلس يتيما وكان يعمل في رعاية الغنم لإخوته ثم تاقت نفيه لتعلم القراءة فقرأ أولا فلحقه بعض اخوته فأرغمه على الرجوع بعد أن هدده بالقتل، فرجع ثم فر ثاني ليلا وسلك طريقا آخر فأدركه آخوه بعد طلوع الفجر فسل عليه سيفه وأراد قتله فتلقاه يعود كابيده فانكسر السيف وتطاير قطعا، فلما رأى ذلك/ قال له: يا أخي اذهب حيث شئت، فسار ثم ركب البحر ونزل بطنجة ثم منها إلى سبتة فآجر نفسه مع الصيادين طلبا للعيش، ثم انصرف لمدينة

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص124- 125- 126.

مراكش فانخرط في الجندية ثم توجه لمدينة فاس فلزم جامعها فتعلم الوضوء والصلاة ثم سأل عن مجالس العلماء، فيجلس في حلقة أبي الحسن علي بن حرازم وقال: كنت اذا سمعت تفسيرآية من كتاب الله ومعه حديث واحد من آحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قنعت بهما وانصرفت إلى خارج فاس لموضع خال من لناس اتخذته مأوى للعمل بما يفتح علي من الاية والحديث، ثم أعود إلى فاس فآخذ ىية وحديثا كذلك فأعمل عليهما وكان إذ مر وجد في طريقه كلابا فتبصبص وتفرح به.

اتصاله بأبي يعزى:

وشيخه الوحيد الذي فتح له على يده هو مولاي أبو يعزى، وقد حدثنا عن سبب اتصاله به وما حصل له معه في ابتداء أمره، فأخبر أنه: كان بفاس وأخباره ترد علي وكراماته يتداولها الناس فملأ حبه قلبه فقصد زيارة مع الفقراء ثم تمرغ في مجلس الشيخ فعمي، فلما أصبح دعاه الشيخ فمسح بيده على عينه فأبصر [1]

ثم مسح صدره فذهب ما كان يجده من الخواطر وألم الجوع وشاهد للحينه عجائب البركات، ثم قال أبو يعزى للحاضرين إن هذا سيكون له شأن عظيم ثم أذب له في الإنصراف.

فما أروع لزيارة وما أجملها فنعم الزائد ونعم الزور فسيدي أبو مدين العالم الفقيه المحدث الصوفي العابد يتنازل ويذهب مع الفقراء في توتضع نابذا كل ما عنده من علم وحال.

الله أكبر ما أروع أخبار الصالحين وما أحوج العالم الإسلامي اليوم إليهم لو كان مؤمنا بهم.

اتصاله بالشيخ عبد القادر:

ومن شيوخ ومولاي أبي مدين مولانا عبد القادر الجيلاني –رضي الله تعالى عنه- فقد لقيه بالديار المقدسة وأخذ عنه وألبسه خرقة الصوفية وكان يعتبره من أجل شييوخه –رضي اله عنهما- وأول شيخ آخذ عنه سيدي أبو مدين التصوف أبو عبد الله الدقاق في "التشوف"

من ثناء اكابر عليه وذكر بعض مناقبه:

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص64.

ترجم سيدي أبو مدين جماعة من الأعلام والمؤرخين وحلوه بأوسمة رائقة، فقال فيه اب لزيات التادلي "التشوف رجال التصوف": إنه يخرج به ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات وقال عنه: انه كان مبسوطا بالعلم، مقبوضا بالمراقبة، كثيرا الإلتفات بقلبه إلى الله تعالى، وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث، خصوصا "جامع الترمذي" كان قائما عليه، وكان سلام كتاب "الإحياء" ويعكف عليه...الخ.

وترجمه الشيخ يوسف اللخمي في "بهجة الأسرار" فقال فيه: من اعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين وعظماء العارفين وأئمة المحققين صاحب الكرامات الخارقة، وهو أحد أوتاد المغرب وأحد أركان هذا الشأن... الخ[1].

ووصفه ابن الخطيب في "نس الفقير" بالعارف المحقق القطب، وقال: انه كان زاهدا في الدنيا عارفا بالله تعالى ومقامه الخاص به لا يحلقه فيه احد: التوكل على الله، وبلغ من الورع مقاما عليا، ونال من الزهد والتحقيق ما تبعه فيه المتقون واقتدى به المحققون ولازمه المصدقون.

وقال الغبريني "عنوان الدراية": إمام العباد والزهاد وخاصة الخلصاء من فضلاء العباد فمواهبه ربانية استفادها بالتوجه والعمل.

كان الشيخ أبو يعزى رحمه الله تعالى يثني عليه ويشكره.. الخ.

وذكره سلكان العارفين سيدي محيي الدين الخاتمي رضي الله تعالى عنه، في كتبه فأثنى عليه كثيرا شهد له بالإمامة، وبقوله: سيدنا أبو مدين خلاصة الأبرار، وذكره في الفتوحات الملكية كثيرا قال فيه إنه كان حاله عدم الإعتماد[2] على غير الله في جميع أموري في حق نفسه وفي حق غيره وأنه كان من أقطاب أهل الورع وخاصته.

وذكر نحوها في الفتحات وصرح فيها بأنه الذي ذهب إلى جبل قاف صحبة رجل من الأبدال... الخ ويعلمها حادثتان، والمقصود أنه ذكره كثيرا واثنى عليه ونوره بقدره.

---

[1] - عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب .بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص65.

[2] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب .بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص66- 67- 68.

وترجمه العارف الشعراني في اللواقح وقال فيه: هو من أعيان مشايخ المغرب وصدور المربين، وشهرته تغني عن تعريفه ثم نقل عن الشيخ ال[ي لحجاج الأقصري، قال: سمعت شيخنا عبد الرزاق رضي الله تعالى عنه يقول: لقبت الخضر عليه السلام سنة 580ه، فسألته عن شيخنا أبي مدين، فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت ويره من الإدارة، ذلك آتاه الله تعالى مفتاحا من السر المصون بحجاب القدس مافي هذه الساعة أجمع الأسرار المرسلين منه... الخ.

وقال عنه أيضا: وجمعت المشايخ على تعظيم وإجلاله وتأدبوا بين يديه وكان طريفا جميلا متواضعا زاهدا ورعا محققا مشتملا على كرم الأخلاق ...الخ

وعن أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه قال: جلت (كانت روحية، وراثة نبوية فهي جملة الخوارف والكرامات)، في الملكوت فرأيت سيدي أبا مدين متعلقا بساف العرضش وهو يوئذ رجل أشقر أزرق قلت له: وما علوك وما مقامك قل: علومي أحد وسبعون علما ومقامي رابع الخلفاء ورأس السبعة الأبدال.

كما قال باختصار: إن أبا مدين بلغ غاية الغايات الخ.

فحياك الله وطيب ثراك يا ابا مدين، لقد تفضل الله عليك فعرفته وحططت رحلك مع الموحدين أهل الفناء فسعدت فهنيئا لك.

وقال ابن العربي: أبو مدين إذا حضر له خاطر في نفسه وجد جوابه مكتوبا في ثوبه.

من كلامه في العلم والسلوك والتوحيد:

ولسيدي أبي مدين رضي الله تعالى عنه كلام رائق مفيد له أثره الخالد صدر عنه في شتى الموضوعات سئل عن الحب، فقال: أوله دوام الحي ووسطه الأنس بالمذكور وأعلاه أنن لا ترى سواه وقال: مقامي لعبودية وعلومي الألوهية وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية.

وكان يقول: حسن الخلق معاشرة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه مع العلماء بحسن الإستماع والإتقار، ومع أهل المعرفة بالسكون والإنتظار ومع أهل المقامات بالتوحيد والإنكسار[1]

[1] – عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، المرجع السابق، ص68- 77.

وكان يقول من عرف نفسه م يغتر بثناء الناس عليه ومن خدم الصالحين ارتفع بخدمته، ومن حرم الاحترام الأولياء ابتلاه الله بالمقت من خلقه وانكسا العاصي خير من ميوله المطيع.

وكان يقول: من تحقق بالعبودية اطرأ أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى وأقواله بعين الافتراء وأيضا قال: إياك أن تميل إلى غير لله فيسلبك الله لذة مناجاته.

ويقول: لا ينفع مع الكبر عمل ولا يضر مع التواضع بطالة، يقول بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة، ويقول: من لم يصبر على مولاه ابتلاه الله بصحبة العبيد.

أخريات سيدي أبي مدين ووفاته ومدفنه:

بقي مترجمنا سيدي أبو مدين على حالته من الإرشاد والصلاح والدعوة إلى الله تعالى وتربية المريدين طول حياته ليل نهار، وكان مقره الأخير بجاية من بلاد الجزائر وعندما كثر اتباعه وانتشر أصحابه حسده بعض الفقهاء وعلماء الرسوم الجامدين الذين لازالوا ولا يزالون ضد هذه الفرقة، وعند وصوله إلى تلمسان مرض مرضه الأخير ولما اشتد عليه لذلك وعقب ذلك بقليل وافاه أجله المحتوم فخرجت روحه الطاهرة وذلك سنة 594ه، ودفن في مرقده الأخير بجبل العباد خارج تلمسان طيب الله ثراه وأسبل على مرقده شآبيب رحماته[1].

4- معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب للشيخ عبد الله أحمد بنعجيبة:ك1224ه، تقديم وتحقيق د. عبد المجيد خيالي:

التصوف: هو سيد العلوم ورئيسها، ولباب الشريعة وأساسها وكيف لا، وهو تفسير لمقام الإحسان الذي هو مقام الشهود والعيان، كما أن علم الكلام تفسير لمقام الإيمان، وعلم الفقه تفسير لقام الإسلام.

وسميته معراج التشوف إلى الحقائق التصوف وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

[1] - المرجع نفسه، ص77- 78- 81.

1- **التصوف:** علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، أو تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق في شهود الحق، ومع الرجوع إلى الأثر فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة.

2- **إشتقاقه:** إما من الصفا، لأن مراده على التصفية، أو من الصُفةُ، لأنه إتصاف بالكامالات، أو من صفة المسجد النبوي، أو من الصوف، لأجل لباسهم الصوف تقللا من الدنيا وزهدا فيها إختاروا ذلك، لأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام.

3- **الإشتقاق:** يقال: "تصوف إذا لبس الصوف" كما يقال: "تقمص إذا لبس القميص" والنسبة إليه صوفي.

قال الجنيد: "الصوفي كالأرض ويطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا المليح"[1].

4- **الخوف:** إنزعاج القلب من لحوق مكروه أو فوات مرغوب، وثمرته: النهوض إلى الطاعة، والهروب من المعصية، فإظهار الخوف مع التقصير دعوة فخوف العامة من العقاب، وفوت الثواب...، وخوف الخاصة من العتاب وفوت الإقتراب، خوف خاصة الخاصة من الإحتجاب بعروض سوء الأدب.

5- **الرجاء:** سيكون القلب إلى إنتظار محبوب بشرط السعي في اسبابه، وإلا فأمنية وغرور، قال الله تعالى:" **مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** "[2]، فرجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب. ورجاء الخاصة حصول الرضوان والإقتراب، والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير، ولا يطير إلا بهما، ربما يرجح الرجاء عند العارفين، والخوف عند الصالحين[3].

---

[1] – عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب، تقديم وتحقيق: د. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص25.

[2] – سورة العنكبوت، الآية 5.

[3] – عبد الله أحمد بن عجيبة، المرجع السابق، ص28.

6- **الصبر:** قال الله تعالى: " **وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ** "[1] .حبس القلب على حكم الرب، فصبر العامة حبس القلب على مشاق الطاعات ورفض المخالفات، وصبر الخاصة حبس النفس على الرياضات والمجاهدات وإرتكاب الأهوال في سلوك طريق الأحوال مع مراقبة القلب في دوام الحضور، وطلب رفع الستور وصبر خاصة الخاصة: حبس الروح، أو السر في حضرة المشاهدات والمعاينات، أو دوام النظرة والعكوف في الحضرة.

7- **الشكر:** قال الله تعالى: " **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** "[2] ، فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم، أو الإعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

ومرجعه لثلاث: شكر باللسان: وهو اعترافه بالنعمة، بنعمة الإستكانة. وشكر بالبدن وهو اتصافه بالخدمة، وشكر القلب: وهو شهود المنعم عند حصول النعمة.

8- **الورع:** هو الإبتعاد عن الشبهات والمعاصي، كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته، فورع العامة ترك الحرام المتشابه، وورع الخاصة ترك كل ما يكدر القلب ويحد منه كزازة وظلمة.

فالورع الذ يقابل الطمع كل المقابلة هو ورع خاصة الخاصة وجزء منه يعدل آلافا من الصلاة والصيام.

9- **الزهد:** خلو القلب من التعلق بغير الرب. أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها. فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن القرب إلى الله في كل حال[3]. وزه خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات وعن الرغبة في غير الحبيب و سبب المحبة. لا يسير للقلب إذ تعلق بشيء سوى المحبوب.

10- **التوكل:** قال سهل بن عبد الله رحمه الله: " أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين الغاسل يقلبه كيف شاء. لا يكون له حركة ولا تدبير"[4].

وقال القصار: "التوكل هو الإعتصام الله تعالى"[5] .

---

[1] – سورة النحل، الآية 127.

[2] – سورة ابراهيم، الآية 7.

[3] – عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب المرجع السابق، ص29.

[4] – المرجع نفسه، ص30– 31.

[5] – نفسه، ص163.

ثقة القلب بالله تعالى حتى لا يعتمد على شيء سواه، والتعلم بالله عز وجل والتعويل عليه في كل شيء علما بأنه عالم بكل شيء. أو تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، فأدناه أن يكون مع الله كالموكل مع الوكيل، الشفيق الملاطف، وأعلاه أن تكون كالميت مع الغاسل، فالأول للعامة، والثاني للخاصة، والثالث لخاصة الخاصة.

حاولنا في هذا الفصل أن نكون .... إلى أبعد حد ووقفنا عند أهم المحطات التاريخية التي شهدها التصوف في بلاد المغرب العربي، وهذا ما جعل بلاد المغرب يكون أكثر حظا في دخول التصوف إليه عبر المشرق

خاتمة

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة للتصوف و ما يحيط به من خلفيات، نخرج بنتائج مفادها:

- أن التصوف طهارة للقلب والتوبة إلى الله عز وجل.

- أن التصوف فكر إسلامي نشأ مع نشوء الإسلام بل والأكثر من ذلك مع هبوط الدين إلى هذه البسيطة، وهو تهذيب للنفس وتطهير القلب من الرذائل والخطايا، وذلك عن طريق العزلة والخلوة والإبتعاد قدر الإمكان عن مخالطة البشر، ومجاهدة النفس للحد من الشهوات.

- كما يعتبر الزهد على أنه الرغبة في معرفة الخالق والتقرب منه.

- يزهد الإنسان في متاع الحياة الدنيا بسعي منه للحصول على متاع دار الآخرة.

- ظهر الزهد ليرد على تيار اللهو والمجون والإنغماس في ملذات الدنيا.

- عانى التصوف من جملة من الأمور شوهت صورته بقصد أو بغير قصد.

- المصطلح الصوفي يسبب للكثير من خصومه خلل في الفهم جعلهم يهاجمونه ويتهيمونه بما يقلل من قيمته وأهميته، وقد رد الصوفية على هذا الجدل بقولهم:" من لم يفقه أحوالنا، لم يفقه أقوالنا".

- يرتقي بالإنسان إلى تهذيب سلوكه عن طريق السمو عن الملذات الدنياوية والشهوات للفوز برضا الله.

- تفاوت نظرة المسلمين إلى التصوف وقد إنقسموا حوله إلى أنصار يرون في التصوف طريق الولاية وسبيل الصفاء والعرفان، ونيل الكرامات وخرق العادات. وإلى خصوم يرون التصوف بدعة وضلالة وإستعلاء على الشريعة، ويدعون الحقيقة. وإعلاء للباطن على حساب الظاهر.

- حفل التصوف بجملة من التحليلات النفسية والتربية الأخلاقية التي كانت موضع إعجاب الدارسين في الشرق والغرب.

- كان للصوفية المسلمين دورهم في نشر الإسلام في الكثير من بقاع الأرض في آسيا وإفريقيا قديما، وأوروبا حديثا، وهو دور معروف لدى المؤرخين.

- المصطلحات الصوفية تساعدهم في التعبير عن تجاربهم الروحية في التقرب إلى الله تعالى.

- المصطلحات الصوفية تعبر عنها الألفاظ والكلمات والتراكيب، ولها معان خاصة.

- تختلف الطرق التي إتبعها المشايخ الكرام في تربية مريديها بإختلاف أذواقهم الروحية، إختلاف البيئة الإجتماعية التي يظهرون فيها، وإختلاف أهدافهم.

- إختلاف النظر للتصوف خاصة عند أربابه اللذين ألفوا في هذا العلم الذوقي وكل رأى إلى التصوف بما حدث له من أحوال فكانت أقوالهم في التصوف مختلفة بإختلاف أحوالهم.

- ويعتبر كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان مصدرا وثيقا في الحياة العلمية والإجتماعية بالقيروان فهي مدينة جديرة بعناية الباحثين والمؤرخين. كما كانت مصدر إشعاع للحركات الأدبية والفكرية إلى جميع بلاد إفريقية ومن دخلها من الصحابة والتابعين، ونخبة القادة الموفقين وكتاب المعالم من أكمل مصادر البحث في هذا الشأن. وقد عرف الدباغ بالأمانة والثقة فيها ينقله ويحرره.

- إن التادلي في كتابه التشوفإلى رجال التصوف كان قد تصوف أو خالط رجال التصوف وظل آخذا بمسلك الإعتدال في أمره ويتضح ذلك في عدة أمور منها:

- أن الرجل يصدف ...عن الدنيا في أخرياته بل إشتغل بالقضاء حتى مات.

- أن الأشعار التي أتى بها لتعكس كالمرايا المصقولة تلك المعاني العميقة في أخبار الرجال ليس مما تلمس فيها الشطحات أو الدعاوى الأحادية، وإنما هي أشعار تحنن وشكوى وزهد وموعظة.

- وقد صدر الإمام القشيري في رسالته القشرية بمقدمة عرض فيها بإيجاز وعمق وتركيز على خصائص التصوف وسلوك الصوفي ومناخه العقيدي وتياره التاريخي وللرسالة القشيرية طبعات قديمة لم يكن فيها أناقة الإخراج ولا جمال المظهر ولا كمال التحقيق.

- إن أثر الجنيد في كتابه رسائل الجنيد "أول عمل يجمع رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة" إذن لم يكن محدودا في فترة زمنية معينة وعلى بلدان محددة، بل إنه عن طريق أرائه قدجاوز الزمان والمكان لقد بحث في العديد من القضايا التي تدخل في صميم القضايا الصوفية والمهتم بدراسة التصوف الإسلامي.

- كتاب الطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي من أهم الكتب التي ألفت في التصوف والصوفية وهو كتاب يترجم للأئمة الصوفية تراجم مختصرة ويورد لكل واحدمنهم طائفة من أقواله وتصور مذهبه ورأيه وقد ظل هذا الكتاب مخطوطا إلى سنة 1930.

- جاؤ كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي لوصف طريق المريد إلى مقام التوحيد فلقد صنف الشيخ أبي طالب محمد ابن علي بن عطية الحارثي المكي رضي الله عنه كتاابه إلى ثمانية وأربعين فصلا.

- لقد لاقى كتاب إحياء علوم الدين لإمام الغزالي منذ تأليفه إعجاب العلماء فهوكتاب جامع للأخلاق والسلوك والمواعظالإسلامية مما جعله متميزا على ما سواه كتبه كموسوعة شاملة لكل ما يهم الفرد المسلم في أمور دينه في العقيدة والعبادة ويشمل مصالح الفرد والجماعة ويهدف إلى الإرتقاء من التعليمة إلى مستوى السلوكية الذي يدفع إلى الجمع بين العمل والعلم.

- يهدف كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان التعريف بعلماء هذه المنطقة وحياتهم الإجتماعية والتاريخية والسياسية والعلمية والأدبية والثقافية.

- مجموع الفتاوى هو كتاب يجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. حوى العديد من كتب العقيدة والتوحيد والفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الأخرى كتب فيه 37 مجلدا أصليا وطبع في 20 مجلد.

- تهدف دراسة كتاب عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية لأبي عباس أحمد الغبريني، يعدمصدرا مهما ومادة علمية زاخرة لإنتاج العلم والأدب ببجاية خلال القرن السابع هجري/ 13 ميلادي فهو يقدم لنا صورة واضحة وصادقة عن الأوضاع الثقافية والعلمية لحاضرة بجاية، وإستقطاب العلماء من مخلف الحواضر العلمية المغربي وحتى المشرقية وتصوفهم.

- كتاب السفينة القادرية ويسمى أيضا "بمجموع القادرية" ويشتمل على الصلاة الكبرى في شرح الصلاة الصغرى، والصلوات الأخرى، من إنشاء الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الجيلاني رضي

الله عنه، ويشرح الشيخ سيدي محمد بن أحمد الشهير القادري رحمه الله. ويشمل أيضا على التعليق الموسوم بمواهب الجلية في شرح حزب الوسيلة للشيخ سيدي محمد الأمين الكيلاني رحمه الله.

- الفتوحات المكية م أهم كتب ابن عربي في التصوف كتبها في بداية عمره كرسالة تسمى الفتح (الفتح المكي) ثم أكملها بعد زمن حتى أصبحت تحتوي على أكثر من 4000 صفحة.
- وفي الختام نصل إلى أن التصوف منهج وأسلوب مازال منتشرا إلى يومنا هذا ولابد من دراسته دراسة نقدية بناءة لكي نرجعه إلى أصوله الإسلامية الصحيحة.
- وهكذا نرى أن النزعة الصوفية بمعناها الإنساني العام أو بمعناها الإسلامي الخاص تحتاج إلى تتبع دقيق لا يكتفي بظواهر الأشياء.
- فهكذا الصوفية، وهكذا أفعالهم، فمن أنكر هذا المذهب فلقلة معرفته.

الملاحق

وقف مولانا المقام الشريف الملك الاشرف ابو النصر قايتباي نصره الله تعالى
هذا الجزء الذي قبله وبعده على طلبة العلم الشريف لينتفعوا وجعل مقره تمدرست
التي انشاها بالصحراء وشرط الواقف المذكور رضي الله عنه لمن يتولاه
خمس وتسعون وثمانمائة
شهد على مولانا المقام
الشيخ زين الدين
محمد خضر الدمياطي
شهد على مولانا المقام
عبد الرزاق ابن عبد الرزاق
الجزء الثامن والعشرون
للشيخ
الامام حجة الاسلام بركة
الانام ابي حامد محمد بن
محمد بن محمد الغزالي
الطوسي رضي الله
عنه
احياء علوم الدين
التي انشاها بالصحراء وشرط الواقف المذكور رضي الله تعالى عنه لمن يتولاه
المدرسة المذكورة الابرهيمية وثوبه وبها شهد يوم
خمس وتسعين
شهد على مولانا المقام

الملاحق

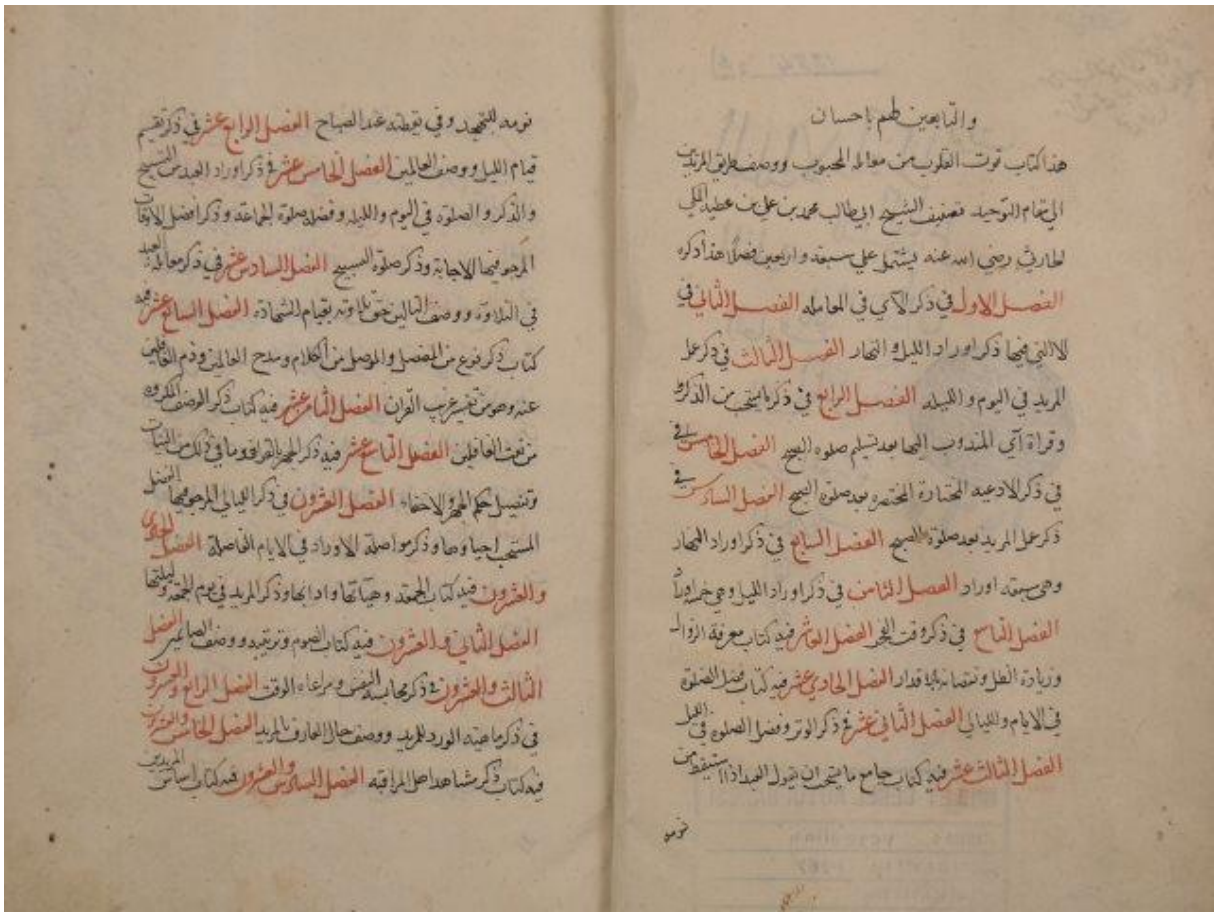

والتابعين لهم باحسان

هذا كتاب قوت القلوب من معاملة المحبوب ووصف طريق المريد
الى مقام التوحيد مصنف الشيخ ابي طالب محمد بن علي بن عطية المكي
لطارق رضي الله عنه يشتمل على سبعة واربعين فصلا هذا ذكره
الفصل الاول في ذكر الآي في العامله الفصل الثاني في
الآلي فيها ذكر اوراد الليل والنهار الفصل الثالث في ذكر ما
المريد في اليوم والليلة الفصل الرابع في ذكر ما يجب من الذكر
وقراءة آي المندوب اليها بعد تسليم صلوة الصبح الفصل الخامس في
في ذكر الادعية المختارة المختصرة بعد صلوة الصبح الفصل السادس في
ذكر ما على المريد بعد صلوة الصبح الفصل السابع في ذكر اوراد النهار
وهي سبعة اوراد الفصل الثامن في ذكر اوراد الليل وهي خمسة اوراد
الفصل التاسع في ذكر وقت الفجر الفصل العاشر فيه كتاب معرفة الزوال
وزيادة الظل ونقصانه بالمقدار الفصل الحادي عشر فيه كتاب فضل الصلوة
في الايام والليالي الفصل الثاني عشر في ذكر الوتر وفضل الصلوة في الليل
الفصل الثالث عشر فيه كتاب جامع ما يجب ان يقول العبد اذا استيقظ من

نومه

نومه للتهجد وفي يقظته عند الصباح الفصل الرابع عشر في ذكر تقسيم
قيام الليل ووصف العاملين الفصل الخامس عشر في ذكر اوراد العبد من التسبيح
والذكر والصلوة في اليوم والليلة وفضل صلوة الجماعة وذكر افضل الاوقات
المرجو فيها الاجابة وذكر صلوة التسبيح الفصل السادس عشر في ذكر معاملة العبد
في التلاوة ووصف التالين حق تلاوته بقيام الشهادة الفصل السابع عشر فيه
كتاب ذكر فيه من الفضل والموصل من الكلام ومدح العاملين وذم الغافلين
عنه وهو من تفسير غريب القرآن الفصل الثامن عشر فيه كتاب ذكر الوصف المكروه
من نعت الغافلين الفصل التاسع عشر فيه ذكر الجهر بالقرآن وما في ذلك من البيانات
وتفصيل حكم الجهر والاخفاء الفصل العشرون في ذكر الليالي المرجو فيها المسئل
المستجاب احياؤها وذكر مواصلة الاوراد في الايام الفاصلة الفصل الحادي
والعشرون فيه كتاب الجمعة وهيآتها واداباها وذكر المريد في يوم الجمعة وليلتها
الفصل الثاني والعشرون فيه كتاب الصوم وترتيبه ووصف الصابرين الفصل
الثالث والعشرون في ذكر محاسبة النفس ومراعاة الوقت الفصل الرابع والعشرون
في ذكر ما عهد الورد للمريد ووصف حال العارف المريد الفصل الخامس والعشرون
فيه كتاب في ذكر مشاهد اهل المراقبة الفصل السادس والعشرون فيه كتاب اساس المريدين

الملاحق

الملاحق

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

1- المصادر:

1416ه- 1996 م، ، ج 5، دار الجيل، بيروت.

1. ابن الزيات، التشوف إلى معرفة رجال التصوف، تحقيق: محمد توفيق.
2. أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه وعلق عليه: عادل نويه ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، أفريل 1979.
3. أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي، الرسالة القشرية، سيرة ذاتية ومناهج، مفاهيم صوفية، لأقطاب التصوف الإسلامي، تحقيق: العارف بالله الإمام عبد الحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، 1409 ه- 1989 م، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.
4. أبو زيد عبد الرحمان محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه)أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي الشنوخي، صححه وعلق عليه ابراهيم 1388، مطبعة السنة المحمدية، شارع -1968 ، شبوح، ج 1، مكتبة الخانجي بمصر 1998 م، ط 2 شارع شريف باشا الكبير، عابدي.
5. أبي سراج الطوسي، للمع، حققه: د. عبد الحليم محمود+ طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر- مكتبة المثني ببغداد 1280 ه - 1960 م،

أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، تحقيق: د. أحمد الشرياصي، مؤسسة دار الشعب، ط2، 1419ه- 1998 م ،

6. أبي عبد الرحمان السلمي، المقدمة في التصوف، تقديم وتحقيق: الدكتور: يوسف زيدان، ط 01 دار الجيل، بيروت، 1419 ه- 1999 م
7. أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفاء، ت سنة 430 ه/ ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء 2، بيروت، سنة 1416 ه- 1996

8. الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين، ومعه المغني عهد حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء منه الأخيار للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي ، دار ابن حزم، ط 1، 2005م- 1426 ه، بيروت، لبنان.
9. الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الأولى، 1423 ه- 2002 م.
10. تقي الدين أبو العباس، أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جزء علم السلوك،
11. د. محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، كلية الآداب، جامعة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، سنة 1991
12. الرسالة القشيرية، الإمام أبو القاسم القشري، تح: العارف بالله الإمام عبد الحليم محمود، ود. 1989م، - محمود بن شريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1409
13. رسائل الجنيد أول عمل يجمع كل رسائل الإمام الجنيد وأقواله المأثورة، تحقيق: د جمال رجب سيدبي، تصدير: د عاطف العراقي، ط 1، دار اقرأ، 1425 ه- 2005 م، سورية لبنان- بيروت،
14. صابر طعيمة، دراسات في الفرق الشيعية، الباطنية، الصوفية، الخوارج، ط 1، مكتبة المعرف، المملكة العربية السعودية، 1400 ه- 1980 م
15. عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم ذوي الشأن الأكبر- مقدمة إبن خلدون-، ج 1، دار لفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 832- 808هـ/ 1406م،-1332
16. عبد القادر الجيلاني الحسني، السفينة القادرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة
17. عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، إخ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار،
18. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر.
19. محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط ، الثعالبية، الجزائر، 1908
20. محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 420ه- 1999 م.

المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416 ه/ 1995 م.

2- المراجع:

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط 4، مجمع اللغة العربية بالقاهرة مكتبة الشروق الدولية، بدون بلد ، 1425 ه/ 2004 م،
2. أبو بكر محمد بن اسحاق البخاري الكلابذي المتوفي سنة 380 ه) 990 م(، كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف
3. أبو وفا التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، كلية الأدب، بجامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
4. أبو وفاء التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، كلية الأدب، بجامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
5. أبي عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي 100- 175هـ، كتاب العين، تح: د مهدي المخزومي د ابراهيم السمرائي، ج 4
6. أبي عبد الله محمد بن الخليل ابن غليون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها 2004.، من الأخيار، دار المدار الإسلامي، ط 1.
7. أحمد محمود صبحي، التصوف ايجابياته وسلبياته، دار المعارف، القاهرة.
8. الأستاذ عبد الحميد الجوهري، التصرف مشكاة الحيران، افريقيا الشرق، بدون بلد، 01/01/1996
9. التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة، قاموس المحيط المعجم الوسيط
10. حقائق عن التصوف، العارف بالله عبد القادر عيسى رحمه الله، دار العرفان بحلب، ط 16 مصححة ومنقحة، حلب، سوريا.
11. د مصطفى حلمي أستاذ، ابن تيمية والتصوف، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، م شارع منشأ محرم بك، الإسكندرية، مصر،
12. د. أبي قاسم السمرائي، أربع رسائل في التصوف لأبي قاسم القشيري، مطبعة مجمع العلمي العراقي

13. د. عبد الحليم محمود، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ط 3، دار المعارف
14. د. منال عبد المنعم جد الله، التصوف في مصر والمغرب، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاؤه.
15. سهام خضر، رابعة العدوية بين الأسطورة والحقيقة، دار الكتب العالمية، لبنان
16. الطاهر المعموري، الغزالي وعلماء المغرب، دار النشر التونسية، 1990
17. عبد الحليم محمود، قضية التصوف المنقذ من الضلال، مكتبة الأسرة.
18. عبد الحميد الجوهري، مشكاة الحيران.
19. عبد الرحمان بدوي، شطحات صوفية،ج 1
20. عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويليه كتاب كشف النقاب عن سر لب الألباب، تقديم وتحقيق: د. عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء.
21. عبد الله بن أحمد بن عجيبة 1224 ه، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ويلييه كتاب كشف النقاب عن ستر الألباب، تق وتح: د. عبد المجيد خيالي، مركز ال تراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب
22. عبد الله عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان اال رباط، ط 04 1423ه، 2003 م.
23. عبد المنعم القاسمي الحسيني، أعلام الجزائر في التصوف منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط 1، دار الخليل القاسمي، 1425 ه- 2005 م،.
24. عبد الوهاب فرحان، أبو مدين شعيب مكانته في التصوف العربي، جامعة الأمير عبد القادر
25. عمر عبد الله كامل، كلمة هادئة في التصوف بين الافراط والتفريط.
26. القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش، د. عبد الحليم محمود، دار المعا رف، كورنيش النيل، .القاهرة، 1119
27. لرينولد نوكولسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، نقلها إلى العربية وعلق عليها: أبي العلا عفيفي أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول، مطبعة لجنة التأليف الترجمة والنشر 13/ 197م

28. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفي سنة 817 ه، القاموس المحيد مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف،
29. محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993.
30. مفهوم التصوف وتطوره، عمارة السياسي، جامعة الوادي

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام:

- أبو القاسم جنيد ص46.
- أبو حامد الغزالي ص48.
- أبو القاسم القشيري ص105.
- عبد الرحمان السلمي ص47.
- أسدي الدباغ ص158.
- حسن البصري ص48.
- رابعة العدوية ص37.
- الإمام الشعراني ص49.
- أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني. ص159.
- أبو عباس الغبريني ص199.
- الإمام سحنون ص168.
- أبو عمروا البهلول بن راشد الحجري ص164.
- محمد بن إمام سحنون ص182.
- إبن القابسي ص185.
- أبو سعيد الأعرابي ص124.
- أبو بكر الكتاني ص122.
- الحسين بن منصور الحلاج ص120.
- أبو يزيد البسطامي ص142.
- ذو النون المصري ص113.
- أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبادة القلعي ص203.
- أبو عثمان سعيد بن محمد الغساني معروف بإبن حداد ص191.

فهرس المدن

فهرس البلدان:

1-النيسابور (ص 42)
2-طرابلس (ص 182)
3-طوس (ص 42)
4-العراق (ص أ)
5-فارس (ص أ)
6-قرطبة (ص 120)
7-الكوفة (ص أ)
8-تونس (ص 53)
9-حلب (ص 149)
10-خرسان (ص 62)
11-دمشق (ص 124)
12-.إربل (ص 62)
13-الإسكندرية (ص 52)
14-مكة (ص54)
15-مصر (ص 43)
16-القيروان (ص 146)
17-إفريقية. (ص 147)
18-بجاية. (ص 185)

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
اهداء	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: ماهية التصوف وأهم رجالاته	
المبحث الأول: تعريف الزهد لغة وإصطلاحا	9
العبارات التي وردت على ألسنة الزهاد وقولهم في الزهد	12
مفهوم الزهد في الإسلام	14
التصوف والزهد	15
المبحث الثاني: التعاريف الصوفية	19
التصوف عند إبن خلدون لغة وإصطلاحا	19
التصوف عند أبي عبد الرحمان السلمي	22
التصوف لأبي سراج الطوسي في كتاب اللمع	31
التصوف في الرسالة القشيرية لإمام أبو القاسم القشيري	32
المبحث الثالث: أهم الشخصيات والطرق الصوفية وشرح مصطلحاته	37
الشخصيات الصوفية	37
العبارات الصوفية	49
الطرق الصوفية	54

الفهرس

الفصل الأول: دراسة المصادر المشرقية أصلا والمغربية وصولا	
المبحث الأول: المصادر المشرقية	64
كتاب الملل والأهواء والنحل لابن الحزم	64
كتاب الفتاوى لابن تيمية	65
كتاب إحياء علوم الدين لأبو حامد الغزالي	66
كتاب الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي	93
كتاب رسائل الجنيد للإمام أبو القاسم الجنيد	95
كتاب الرسالة القشرية لإمام أبو القاسم القشيري	105
كتاب الطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي	112
المبحث الثاني: المراجع المشرقية	124
كتاب الغزالي وعلماء المغرب للطاهر عموري	124
كتاب التصوف إيجابياته وسلبياته لأحمد محمود صبحي	126
كتاب التصوف بين الإفراط والتفريط لعمر عبد الله كامل	132
كتاب قطب الشهيد عبد السلام بن بشيش للدكتور عبد الحليم محمود	134
كتاب قضية التصوف للدكتور عبد الحليم محمود	136
الشطحات الصوفية لعبد الرحمان بدوي	140
مشكاة الحيران	142
الفصل الثاني: مصادر التصوف والمراجع المحلية بالغرب الإسلامي	
المبحث الأول: المصادر المغربية	148
التشوف إلى معرفة رجال التصوف	148

الفهرس

قوت القلوب لأبي طالب المكي	151
معجم الإيمان في معرفة أهل القيروان	156
عنوان الدراية في من عرف بين العلماء في المائة السابعة في بجاية	197
التذكار لإبن غلبون	204
البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لإبن مريم	206
السفينة القادرية لعبد القادر الجيلاني	208
المبحث الثاني: المراجع المغربية	210
أعلام التصوف في الجزائر	210
الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب	214
المطرب شاهير المغرب للشيخ عبد الله عبد القادر التليدي	215
معراج التشوف إلى رجال التصوف	232
الخاتمة	238
الملاحق	
قائمة المصادر والمراجع	
فهرسة الأعلام	
فهرسة المدن	
فهرس الموضوعات	